



عَدَدًا مَرْتَبًا بِالسُّوقِ (الَّذِي) الْفَتْحِ
مِنْ أَقْدَمِ الْعُصُورِ إِلَى الْفَتْحِ الْيُونَانِيِّ

وَتَمَّزَّجَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاسَنِيُّ وَالْحَقُّورِيُّ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

أبو العباس

محتوى الكتاب

صفحة	
ح	قائمة بالأشكال والرسوم
س هـ	أهم الاختصارات الواردة بالكتاب
١ - ٦	مقدمة
٧ - ١٧	المصور السابقة للكتابة العصر التاريخي
	١ - جهود فراعنة الدولة القديمة في حماية بلادهم وإنشاء علاقات تجارية مع جيرانهم
١٨ - ٣٦	ب - عصر الفوضى الأول وتوقف النشاط المصرى في الخارج
٣٧ - ٥٩	ح - الدولة الوسطى واستئناف العلاقات الخارجية ٤٠ - ٥٩
٦٠ - ٧١	و - عهد الفوضى الثانى والحكوس
٧٢ - ١٣٣	هـ - الدولة الحديثة وتوسعها الاستعمارى
١٣٤ - ١٤٩	و - العصر المتأخر وتغير ميزان القوى فى الشرق الأدنى ١٣٤ - ١٤٩
١٥٠ - ١٥٧	الصراع الأشورى النباتى على مصر

١٥٨ - ١٦٤	عصر النهضة المؤقت في مصر
١٦٥ - ١٧٢	سيادة الفرس وحكمهم لمصر
١٧٣ - ١٧٩	عائمة
١٧٩ - ١٩٣	اللوحات
١٧٩ - ٢١٥	فهرس أبجدى
٢١٧ - ٢٢١	المختار من المراجع العامة

قائمة الاشكال والرسوم

صفحة

- شكل ١ - جنود إحدى المقاطعات من المرتزة النوبيين ١٧٩
- شكل ٢ - إحدى الأميرات وهي نوبية الأصل أثناء تصفيف شعرها ١٨١
- شكل ٣ - قبيلة آسيوية فادمة إلى مصر ١٨٣
- شكل ٤ - دمية فخارية كتبت عليها نصوص سحرية ١٨٥
- شكل ٥ - منظر يمثل معركة حربية من عهد تحتمس الرابع ١٨٧
- شكل ٦ - آسيويون يحضرون الجزية ١٨٩
- شكل ٧ - جزية النوبة ١٩١
- شكل ٨ - خريطة الامبراطورية المصرية في أقصى اتساع لها ١٩٣

Wien, phil. - bist. Kl., Sitz. ber., 198. Bd., 8
Abh.), Wien, 1921.

11. LR Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Égypte
(Mem. Inst. Fr. XVII - XXI), 1908 - 1917.
12. Melanges Maspero (Mem. Inst. Fr. 66), 2 vols.,
Cairo, 1935 - 8 and an Index, Cairo, 1954.
13. Luckenbill, ABAR. أظرفرقم ٢٨ فف المنظار من المراجع العامة
14. PSBA Proceedings of the Society of Biblical
Archaeology, London 1910 ff.
15. Reisner, Kerma. Reisner, G. A., Excavations at
Kerma I - III (Harvard African Studies V, VI),
Cambridge, Mass., 1923.
16. SNR. Sudan Notes and Records, Khartoum,
1918 ff.
17. Urk. I,IV Sethe, K. Urkunden des aeg. Alter-
tums, hgb. von G. Steindorff, I), Leipzig, 1914
18. Urk. III Schafer, H. Urkunden der Alteren Athio-
pen Konige, hgb. von G. Steindorff, 2 Fasc.,
Leipzig, 1905 - 8.
19. ZAS Zeitschrift fur agyptische Sprache und
Altertumskunde, Leipzig, 1863 ff.
20. ZDMG Zeitschrift der deutschen morgenlandis-
chen Gesellschaft, Leipzig, 1846 ff.

مقدمه

من المعروف أن الانسان لاجتماعى بطبعه وأنه كلما تدرج في مراحل الرقى وتعددت حضارته كلما تشابكت مصالحه مع مصالح غيره وكثر اتصاله بجيرانه وبالمحيطين به وازداد ارتباطه بهم .

وقد ارتبطت شعوب الشرق الأدنى منذ أقدم العصور بعضها ببعض وكان لذلك أكبر الأثر في تاريخها ولذا نجد أن كثيرا من المؤرخين يتناولون تاريخ الشرق الأدنى بالبحث على اعتبار أنه يمثل إقليما متكاملما ارتبطت وحداته المختلفة بروابط وثيقة تجعل من دراسة بعضها دون البعض الآخر أمراً يكاد يكون متعذرا ولكنهم مع ذلك لا يتعرضون لذكر هذه الروابط أو العلاقات إلا عند مناقشة الأحداث التاريخية الهامة التي تحتم الإشارة إليها .

ولما كانت مصر منذ أقدم عصورها تعد من بيئات الاستقرار المتأخرة في هذا الأقليم إذ يوجد فيها الانسان من الطمأنينة ورجد العيش ما يدفعه إلى البحث عن المزيد من الرفاهية ويفرض عليه الدأب على العمل للوصول إلى مستوى معيشة أفضل من ذلك الذى يعيش فيه فقد استغل المصرى موارد بيئته قدر الطاقة بل وكثيرا ما كان يحاول الحصول على موارد أخرى من البيئات المجاورة .

ولم يكن اتصال المصري بجيرانه أمراً عسيراً أو مستحيلاً إذ أن مناطق الشرق الأدنى تتميز بسهولة الاتصال فيما بينها نسبياً ولا تكاد توجد فيها عوائق طبيعية تحول دون ذلك وبما دعم هذا الاتصال أن تلك المناطق كانت تتميز في مواردها بحيث كان في الامكان أن تستكمل حاجياتها من موارد جيرانها .

ورغم ما يبدو من تشابه الظروف الطبيعية التي كانت تسود في بعض جهات الشرق الأدنى القديم مثل أحواض الأنهار العظيمة في مصر والعراق حيث نشأت أعظم حضارات العالم القديم فإن تبادل المنافع فيما بينها قد أدى إلى تبادل بعض المظاهر الحضارية حتى أصبح من العسير أن ندلى برأى قاطع في أى الحضارات كانت أقدم من غيرها وأياً كانت أكثر اقتباساً من الأخريات .

ومما يمكن من أمر فقد أخذت مصر تؤثر في جيرانها وتتأثر بهم وارتبطت معهم بعلاقات ثقافية وسياسية في معظم عصورها وفي نفس الوقت كانت تجاهد في المحافظة على كيانها وطابعها ومواردها ضد أطماع الطامعين لجاء تاريخها بل وتاريخ سائر الشرق الأدنى القديم مرآة للعلاقات التي سادت بين وحداته المختلفة .

فوضوعنا الذي نعالجه في هذا البحث أى « علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم من أقدم العصور حتى الفتح اليونانى ، ضرورى إذآ لفهم

الأحداث التاريخية الهامة التي حدثت في أرجاء هذا الاقليم — وهو محاولة للتعرف على ما وراء هذه الأحداث على أنه ينبغي أن لا يفهم من ذلك أنه دراسة لتاريخ مصر في فترة معينة وإنما هو يهدف الى ابراز مدى تأثير مصر وفعاليتها في جيرانها ومدى تأثيرها بهم في عصورها الفرعونية بصفة عامة — ولعله لا يخفى على القارىء أن الكشوف الأثرية مازالت تترى وستظل مستمرة الى ما شاء الله فن البدهي إذاً أن ماورد في موضوعنا من حقائق قد يتعرض الى بعض التعديل على ضوء مايجد من هذه الكشوف وعلى ضوء دراسات الباحثين ضد اعادة النظر في بعض ماسبق أن أقره المؤرخون أى أنه أبعد من أن يكون قد استقر بصفة نهائية ولكن لا بد لنا من أن نقف بجهودنا عند حد قبل أن نستأنف نشاطنا فيه من جديد.

وقد يجد القارىء صعوبة في تحليل تلك العلاقات التي كانت تسود بين جهات الشرق الأدنى القديم او بعضها على الاقل وذلك لارتباطها بعوامل مختلفة : بشرية واقتصادية ونفسية واجتماعية متعددة لانجد من بين الوثائق التاريخية مايشير اليها — كما أنه قد يسوء الحكم أحيانا على بعض شعوب هذا الاقليم لكثرة ماساد بينها من منازعات ولانتشار روح العداء فيما بينها بدلا من تبادل علاقات الود والصفاء ولكنه لايشك يدرك الكثير من خفايا هذه العلاقات ويسهل عليه تصورهما لو أنه جرد نفسه من عامل الزمن وعاش بخياله في العصور التي سادت فيها بل ويحتم

الانصاف كذلك أن يفكر بعقلية أبناء تلك العصور وأن يتصور نفسه فردا منهم لأن حضارات تلك العصور وإن تعددت مظاهرها كانت لفرط قدمها — تتسم بطابع لا يتفق وامرجتنا وميولنا الحالية .

ولاجدال في أن كافة الأمور المرتبطة بالعلاقات التاريخية لا يمكن استيعابها في مبحث واحد ولا يتسع المجال هنا لمناقشتها جميعا وجدير بالمتخصصين في فروع المعرفة أن يتعمقوا في بحثها كل في فرع تخصصه ويمكننا هنا أن نتبع هذه العلاقات وفق تسلسلها التاريخي مسترشدين في ذلك بما نعرفه عن تاريخ مصر في عصورها الفرعونية .

وسيجد القارئ في فصول هذا البحث أن مصر كانت في علاقاتها بأقاليم الشرق الأدنى أكثر اتصالا بالجهات التي تقع إلى الجنوب منها بالاقطار الآسيوية وأن هذه العلاقات استمرت في معظم العصور الفرعونية وإن اختلفت في طبيعتها بين وقت وآخر وكان لهذه العلاقات أكبر الأثر في تاريخها وقد بلغت مصر أوج عظمتها وقوتها في أئمناء ارتباطها بتلك الجهات أها عندما اتجهت إلى الاقطار الآسيوية فلم يقدر للعلاقات التي استمرت بينها وبين تلك الاقطار طول البقاء ولم يكن لها من أثر إلا الاتجاه بمصر نحو الضعف والانهيار لانها في الحالة الأولى وجدت في بلاد النوبة موردا لا ينضب معينة من المواد الخام والأيدى العاملة والجنود مما زاد في امكانيات الدولة ورفع من شأنها ومجدها وفي نفس

الوقت كانت مصر بالنسبة لتلك البلاد مصدر الثقافة والمدنية وسبب
انماشها الاقتصادية أيضا ولذا كان ارتباطهما معا مصدر الخير والرفاهية
لكل منهما — أما في حالة ارتباط مصر بالاقطار الآسيوية فإن مصر لم
تحصل من جراء ذلك إلا على قد ضئيل لسببها من الموارد وتورطت في
كثير من المشكلات التي نشأت عن اختلاف تلك الاقطار في حضارتها
وأهدافها ولذا لم يقدر لهذا الارتباط البقاء بل وأخذ نجم مصر في
الأقول ولم تصل إلى شيء من المجد — وخاصة بعد أن انقطعت صلتها
بالنوبة ... إلا في فترات قصيرة من تاريخها الطويل .

وقد يرى البعض أنه لا بد من أن يكون ماضيها وحده هو الذي
يسير على هديه وأن نتصرف في علاقاتنا الخارجية بصورة مطابقة تماما
للصورة التي تصرف بها أسلافنا في أوج عظمتهم ولكن ذلك لا يمكن
أن نأخذ به الآن إذ أن الظروف القائمة حاليا لا تشبه تلك التي سادت
هذه العصور السحيقة لأن الطبيعة تناولت بالتغيير كل ظروف الحياة في
مختلف أنحاء العالم فلم يعد المناخ كما كان منذ آلاف السنين واختلف
السكان في كل مكان مما كانوا عليه من قبل إذ دخلت في بنائهم الجنسي
عناصر لم يكن لها وجود وتغيرت الثقافات وأصبح الانتقال بفضل
وسائل المواصلات الحديثة — ميسورا إلى أقصى جهات العالم واتسع
أفق العلاقات بين الأمم وظهرت قوى جديدة لها مكائنتها وخطرها
بين الشعوب ولذا أصبح من المحتم أن نسلك سلوكا مغايرا لما سلكه أسلافنا

حتى في أعظم جهودهم ولكن ينبغي أن لانفسى تجاربهم وأن نحاول
الافادة منها وعلينا أن نوفق في علاقاتنا بين هذه التجارب من جهة وبين
الظروف والأحداث الحالية من جهة أخرى حتى نصل الى ما نرجوه من
مكانة عالمية إذ لاشك في أن أمم العالم أصبحت تتنافس جميعها في الخروج
في سياستها عن النطاق المحلي أو الاقليمي وتحاول قدر طاقتها أن تصبح
عضوا فعلا بين سائر الامم وأن تسهم في خير الانسانية ولنا في نهضتنا
الحديثة - ومركزنا العالمي الممتاز كبير الأمل في تحقيق أهدافنا .

والله ولي التوفيق ؟

دكتور محمد أبو المحاسن عصفور

مارس سنة ١٩٦٢

العصور السابقة للكتابة

نشأة حضارات الشرق الأدنى القديم واتصالاتها

لم يترك الانسان في أقدم مراحل ظهوره شيئاً من المخلفات التي يمكن أن يعتمد عليها الباحث في معرفة شيء عن أطواره لأنه كان في تلك العهود السحيقة يعيش على ما تجود به الطبيعة فكان يلتقط ما يصادفه من ثمار مناسبة لطعامه ويحاول أن يسد رمقه بتصيد صغار الحيوان أو أضعفها ولم يستعن في سبيل الحصول على طعامه أو الدفاع عن نفسه إلا بما يتيسر له الحصول عليه من أغصان أو عظام الحيوان أو قطع الأحجار الملائمة يستخدمها كما هي دون تهذيب - كذلك لم تستطع حتى الآن العثور على بقايا يمكن الجزم بأنها تمثل أقدم الأجناس التي ظهرت على سطح الأرض ولذا اهتمت العلماء في تقديرهم لعمر الانسان على أساس احتساب تاريخ نسبي لطول الفترة التي قضاها قبل أن يصل إلى المراحل اللاحقة التي أمكن دراسة مخلفاته فيها وعلى هذا تباينت آراؤهم في هذا الصدد ومنهم من تغالى كثيراً فقدر عمر الانسان على الأرض بزمن يصعب تصديقه على أن الغالبية تميل إلى أن الانسان قد عاش فترة لا تقل عن ٥٠ الف سنة تقريباً .

ومن المسلم به أن الجهات التي تقع على عروض واحدة أو متقاربة

تشابه في ظروفها المناخية نسيدي وخاصة في العصور السحيقة ولهذا يمكن القول بأن مناطق الشرق الأدنى القديم كانت لا تختلف في ظروفها المناخية كثيرا عن بعضها البعض وما دام الانسان في أقدم مراحل لم يعتمد في معاشه إلا على جمع ما يقنتات به والاحتيايل على غيره من حيوان ضعيف فإن مظاهر النشاط البشرى لم تختلف في جهة من هذه الجهات عن غيرها كثيرا في هذه المرحلة .

ويعد جنس البحر المتوسط أو الجنس البني من أنشط العناصر في شمال أفريقيا والشرق الأدنى بصفة عامة وإن كان الجزء الشرقى من حوض البحر المتوسط قد تعرض في العصور القديمة للكثير من الهجرات السامية كما أنه تعرض في العصور المتأخرة نسيدي لبعض هجرات العناصر الهندو أوربية وهكذا نجد أن التشابه كان كبيرا بين أجزاء الشرق الأدنى القديم سواء في الظروف الطبيعية أو بين السكان الذين احتلوا تلك الجهات .

ولا بد تبعا لسنة الانتخاب الطبيعي أن يكون هناك تفاوت بين الأفراد والجماعات قوة وضعفا وأن يتصرف كل من هؤلاء حسب قدراته كما تحتم ظروف الجوار أن تنشأ بينهم علاقات متباينة فيفرض القوى سلطانه أو حمايته على الضعيف أو أن تقوم بينهم علاقات الود ويتعاونون على مجابهة ما يحيطهم من ظروف حتى يبيثوا لأنفسهم حياة أفضل وهكذا اتحد الأفراد في مجتمعات كانت صغيرة في أول الأمر

ثم ما لبثت أن صارت تمكبر ويتسع نطاق تماونها ونشاطها وأدى هذا بالضرورة إلى وجود تنظيم اجتماعي وسياسي كذلك .

ومع أننا لانعرف الأصل الجنسي لسكان الشرق الأدنى القديم إلا أن أقدم ما عثر عليه من بقايا يدل على أن جنسين مختلفي التكوين كانا يعيشان جنبا إلى جنب في معظم أجزائه وأحد هذين الجنسيتين دقيق التكوين طويل الرأس (جنس البحر المتوسط) والآخر كان متين البنية عريض الرأس نسيباو يبدو ذلك واضحا بصفة خاصة في بلاد ما بين النهرين وفي مصر (١) ثم صارت الغلبة للعنصر دقيق التكوين أي جنس البحر المتوسط ولكن بينما كانت العناصر السامية هي السائدة في بلاد ما بين النهرين ومعظم بقاع الشرق الأدنى القديم نجد أن العناصر الحامية كانت هي الغالبة بين سكان وادي النيل وظل الحال كذلك منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد تقريبا — رغم توالي الهجرات التي تعرضت لها بقاع الشرق الأدنى القديم — إلى أن عرفت العناصر الهندوأوربية طريقها إلى هذه الجهات فأثرت في بنائها الجنسي .

وتدل شواهد الأحوال على أن جهات الشرق الأدنى القديم أثناء العصر الحجري القديم الأسفل سادتها حضارات لا تختلف عن تلك التي

(١) عن بلاد ما بين النهرين أنظر طه باقر « تاريخ العراق القديم » (بغداد سنة ١٩٥١) ص ٧٧ ، من مصر أنظر Faulkenburger, "Craniologie" (١٩٥١) ص ٧٧ ، من مصر أنظر "E'gyptienne" (Mainz 1946), P. 24.

سادت بقية أجزاء العالم القديم في ذلك العصر ولا يمكن التكهن بالعلاقات التي سادت بين سكان وادي النيل وبين سكان بقية مناطق الشرق الأدنى القديم في ذلك العصر السحيق بل وليس هناك ما يدل على اتصال الجماعات التي عاشت في مختلف أنحاء الشرق الأدنى بعضها ببعض .

وقد أخذت الظروف المناخية التي كانت سائدة في العالم القديم تتغير وأصبحت العروض الدنيا بما فيها إقليم الشرق الأدنى تميل إلى الجفاف فبدأت البيئات المختلفة تتميز بعضها عن البعض وبذلك أخذت بوادر التخصص الإقليمي في الظهور منذ أواخر العصر الحجري القديم الأعلى — وما أن حل العصر الحجري الحديث إلا وأخذت كل بيئة تتجه في حضارتها اتجاها خاصا كان يميزها عن حضارات سائر البيئات الأخرى المناظرة لها ولذا يميل الكثيرون إلى اعتبار أن تشابه بعض هذه الحضارات في شيء من مظاهرها إنما يرجع إلى اقتباس إحداها من الأخرى أو تأثرها بها .

ويبدو أن الجفاف الذي أخذ يشتد في تلك الأصقاع قد حرض الإنسان على العمل على أن يؤمن حياته فاستأنس الحيوان ولم يغامر بالابتعاد كثيرا عن مجارى المياه الدائمة ثم عرف الزراعة وارتبط بالأرض التي يعيش عليها كما يبدو أن كثيرا من التحركات البشرية والهجرات قد حدثت خلال ذلك ولذا اختلط الأمر على كثير من الباحثين عن أصل السكان في معظم جهات إقليم الشرق الأدنى وغيره

من جهات العالم القديم وبالطبع لم يفقد الرافدون على تلك الجهات صلاتهم نهائيا بالمناطق التي جاءوا منها كذلك فإن السكان في أنحاء إقليم الشرق الأدنى القديم -- رغم استقرارهم في المناطق التي استوطنوها -- لم يبعيدوا في عزلة تامة بل اتصلوا بغيرهم حيث نجد في مخلفاتهم بعض الأدوات التي صنعت من مواد لا توجد في بيئاتهم المحلية ومنها ما كان يجلب من جهات نائية .

ولا شك في أن تلك الجماعات التي أخذت في الاستقرار كانت في أول الأمر قليلة العدد وتساكن في مناطق محدودة للغاية ومن ذلك مثلا ما نعرفه عن بداية عصر الحجري الحديث إذ تكاد تنحصر الجهات التي عثر فيها على آثار تمثل حضارات هذه الفترة في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وفي شمال سوريا وفي منطقتي جريكوتل الفسول بفلسطين وتركز حول سيالك في إيران وفي المنطقة التي تحددها سلاسل طوروس والسفوح المطلّة على سهول سوريا في آسيا الصغرى -- أما في وادي النيل فتكاد تقتصر حضارة البدارى على منطقة البدارى نفسها كما وجدت آثار حثيثة لها في أرمنت وفي المحاسنة (١) وقد احتسكت كل من هذه

(١) عثر De Bono في الأبيطة بوادي حمامات على مداخل شبيهة بما عثر عليه لحضارة البدارى -- وكذلك عثر Shaw في وادي Grassy في جنوب الصحراء الليبية على مداخل وجدت به آنية نفارية من نوع فخار البدارى ولكن اتبناها الى هذا العصر غير مؤكدة -- أنظر ==

الجهات بغيرها من المناطق بدليل ما عثر عليه من مواد جاءت من أماكن بعيدة وانتشار بعض مظاهر حضارتها خارج حدودها فقد انتشرت بعض أنواع فخار العراق وخاصة من حضارة حسونة على طول الطريق بين دجلة والبحر المتوسط وعلى ذلك تأثرت بها صناعة الفخار في سوريا كما أن أهل حضارة سيالك في إيران جلبوا أنواعا من الأصداف لا توجد إلا على بعد نحو ٦٠٠ ميل من مراكز استيطانهم ومن المرجح أيضا أن بعض العناصر الحضارية خلال العصر الحجري الحديث وصلت إلى الحضبة الوسطى في آسيا الصغرى من أماكن لا يقل بعدها عن نحو ٣٠٠ ميل تقريبا (١) ولم تشذ عن ذلك حضارة البدارى إذ أن الأصداف التي وجدت فيها كانت إما من البحر الأحمر أو الخليج العربي ويبدل ما عثر عليه فيها من بازلت على احتكاكها بشمال الوادى أما النحاس فقد جلب إليها من سينا أو من الصحراء الشرقية في النوبة ومن الباحثين من يرى أن معرفة أهل هذه الحضارة للفخار الملون ولزراعة الحبوب

= De Bonn "Rapport Exped. roy. au desert oriental (Keft - Kossier)" , ASA51, 59 - 19;

W. B. K. Shaw, " Two Burials from the South Libyan ' Desert' in JEA 22, 28 - 50 : pl. IV, 3

(١) أنظر

Seton Lloyd, "Early Anatolia" (Pelican 1956), p. 53

واستثناس الحيوان ترجع إلى تأثير حضارى من غربى آسيا (١) بينما يرى البعض أن الصحراء الليبية هى الموطن الذى انحدرت منه الحضارات إلى وادى النيل وإلى غيره من جهات أفريقية التى لم تتأثر كثيرا بالجفاف نظراً لأن الانسان أخذ يجر الصحراء وانتقل منها - لاشتداد جفافها - إلى الوديان (٢) ولكن لا يمكن أن ندل برأى قاطع فى هذا السبيل وخاصة لأن أبحاث ما قبل التاريخ بصفة عامة مازالت فى حاجة إلى المزيد من الجهود حيث أن كثيرا من مناطق العالم القديم لم تسمح مسحا أثريا كافيا كما أنه لا بد من إعادة النظر فى كثير من النتائج التى توصل إليها العلماء فى هذا الشأن لأنها بنيت على أساس حفائر وأبحاث تنقصها العناية والدقة العلمية الكافية .

E. Baumgartel, "The Cultures of Prehistoric (١)
Egypt" I, 22-3

مازال بعض الباحثين يتمسك بهذا الرأى رغم أن السيدة باوجمارتل عادت فأرجحت حضارة البدارى الى أصل أثريق فى الجزء الثانى من هذا الكتاب الذى صدر أخيرا - أنظر .

E. Baumgartel, " Cultures " II (1980), 140

Arkell, "The Relations of the Nile valley with (٢)
the southern Sahara in Neolithic Times" in Actes
du Congrès Panafricain de Préhistoire. (Alger
1952) . pp. 345 - 6

ومع هذا فلا بد من أن نعترف — حسب ما نشاهده من عتائق هذا العصر — بأن سكان وادي النيل في ذلك الوقت كانوا على صلات تجارية وحضارية بأهل المناطق المجاورة في مختلف الاتجاهات : في الشمال والجنوب والشرق والغرب .

أما في عصر التمهيد للكتابة أو قبيل العصر التاريخي فإن مراكز الاستيطان كانت أكبر وأكثر انتشارا من ذي قبل وعمرت أجزاء لم تكن آهلة بالسكان ومن ذلك ما نلاحظه في بلاد ما بين النهرين إذ أن الجزء الجنوبي منها لم يعثر به على آثار قبل ذلك العصر ويغلب على الظن بأنه لم يكن صالحا للسكنى كذلك تعدد المناطق التي عثر فيها على آثار من هذا العصر في سوريا وفي إيران وفي آسيا الصغرى على أنه يجب أن لا يفهم بأن هذه الجهات جميعها قد مرت بهذا الدور في وقت واحد أو أن جميع أجزاء الوطن الواحد وصلت إلى مرتبة حضارية واحدة إذ أن التخصص الأتليعى قد أخذ يزداد وضوحا وأصبحت الحضارة في كل منطقة تتميز عما عداها ومع هذا فإن الصلات الحضارية بين أنحاء الشرق الأدنى القديم تدل دلالة واضحة على احتكاك شعوبه بعضهم ببعض الآخر ونشاط العلاقات التجارية بينهم فقد استعملت بلاد النهرين نوعا من خرفا من الفخار ثبت أنه جاء من إيران كما أن إيران تأثرت ببعض المظاهر الحضارية من بلاد ما بين النهرين وغسيرا (١) وانتشرت كذلك بعض

R. Ghirshman, "Isan" (Pelican 1951), pp. 46 ff. (١)

المؤثرات الثقافية من بلاد ما بين النهرين إلى سوريا والأناضول
ووادى النيل .

وتشتمل حضارة الجزء الأول من هذا العصر (نقادة ١) في وادى
النيل في منطقة تمتد من قار الكبير شمالا إلى هيرا كونيوليس جنوبا وفي
جباينة منعزلة في خوربهان على أن أعظم مراكزها كان في منطقة نقادة
نفسها — ويبدو أن أهل هذه الحضارة كانوا أكثر عددا وتفوقا من
أهل حضارة البدارى ومع أن حضارتهم ترجع في الغالب الى أصل
أفريقي فإن تأثيرا آسيويا يبدو واضحا في نوع من الفخار وهو ذو
الخطوط المتقاطعة ولاندرى على وجه التحديد هل كان هناك أى توسع
مصرى في الجنوب أولا؟ كما لانعرف شيئا عن اتصال أهل هذه الحضارة
بساائر جهات الشرق الأدنى القديم .

أما حضارة الجزء الأخير من هذا العصر وحضارة (نقادة ٢)
فتنتشر في عدة مناطق من وادى النيل ولكن يلاحظ أن هذه المناطق
عموما موزعة بالتبادل على ضفتى النهر بحيث يسهل الإتصال بينها عن
طريق النيل بمساعدة الرياح التجارية الشمالية الشرقية السائدة بالمنطقة
الأولى تشمل جهات جرزة — الفيوم على الضفة الغربية والمنطقة الثانية
توجد حول البدارى على الضفة الشرقية أى الى الجنوب الشرق من المنطقة
السابقة أما المنطقة الثالثة فتمتد بين هيرا كونيوليس والمحاسنة على الضفة

الغريبة أى أنها ليست متقابلة على ضفتى النهر بينما توجد آثار هذه الحضارة فى النوبة على كلتا ضفتى النهر فى مواجهة بعضها البعض حيث تمتد جنوبا إلى سيالة كذلك توجد جبانة صغيرة منزلة من هذا العصر فى جيسى Gemal ومع هذا فقد ظلت منطقة نقادة نفسها أعظم مراكو هذه الحضارة أيضا .

ومن الملاحظ أن مخلفات هذه الحضارة تدل على أنها كانت فى مصر تتشابه فى بعض مظاهرها مع حضارة بلاد ما بين النهرين مما دعا إلى الظن بأن تأميرا أجنبيا دخل إلى مصر من الشمال أو عن طريق وادى جهامات ولكن لا يمكن تأكيد ذلك بصفة قاطعة ومع أنه من المرجح أن أهل حضارة نقادة الثانية قد توسعوا فى النوبة أو انتشروا إليها ولم يحدث العكس وخاصة لأن النوبة أخذت تتخلف فى حضارتها عن الحضارة المصرية إلا أنه لا يوجد لدينا أى دليل عن نوع العلاقات التى سادت بين البلدين فى ذلك الحين .

والخلاصة أن مصر فى عصور ما قبل التاريخ شأنها شأن بقية أجزاء الشرق الأدنى القديم كانت تعد نفسها لتكوين وحدتها السياسية الكبرى والدخول فى دورها التاريخى وفى خلال ذلك كانت حضارتها تتميز بمميزات خاصة حتمتها ظروف البيئة ومع هذا لم تعش فى عزلة تامة عن سائر أنحاء الشرق الأدنى القديم بل تأثرت حضارتها بحضارات

بعض أقطاره وأثرت فيها كذلك على أن دورها في ذلك الحين لم يكن واضحاً كل الوضوح ولا يمكن أن تقدر مدى علاقتها ببقية المناطق وإن كنا نعتقد أنها كانت أكثر اتصالاً بالجهات الواقعة إلى جنوبها في وادي النيل نفسه (أي بلاد النوبة) منها بالجهات الأخرى وقد استمر الحال كذلك في معظم عصورها الفرعونية .

العصر التاريخي

— جهود فراغة النولة القديمة في حماية بلادهم
وانشاء علاقات تجارية مع جيرانهم

الاسرة الاولى (من سنة ٣١٠٠ ± ١٥٠ ق. م. الى سنة ؟) (١)

بدأ العصر التاريخي في جهات الشرق الأدنى خلال الالف الرابع قبل الميلاد وما يلاحظ أنه في خلال هذا العصر (حوالى سنة ٣٥٠٠ ق. م.) حدثت هجرة سامية من شبه جزيرة العرب الى الشمال الشرقى وصلت الى بلاد ما بين النهرين واختلطت بالسومريين وأثرت في تاريخها ومع أن مصر بدأت عصرها التاريخي في نهاية الالف الرابع قبل الميلاد الا أن عصر فجر الأسرات السومرى حدث في الفترة من سنة ٣٠٠٠ ق. م. الى سنة ٢٥٥٠ ق. م. تقريبا ولم يحدث أن دخل أى جزء آخر من أجزاء الشرق الأدنى القديم في عصره التاريخي قبل ذلك العهد كما

(١) اعتمدنا في تقدير تاريخ هذه الاسرة وماجدها الى جهد الاسرة السادسة على آراء السير آلان جاردنر في كتابه الاخير .

Sir Alan Gardiner, "Egypt of the Pharaohs,"

(Oxford 1961), pp. 68, 430 ff

وان كان تقدير سنة ٣٢٥٠ ق. م. كبداية للاسرة الاولى يتفق الى حد كبير مع تقدير أفريكانوس ويوزيبوس لمدة حكم الاسرة الاولى بنحو ٢٥٠ سنة وللأسرة الثانية بحوالى ٣٠٠ سنة .

أنتنا نلاحظ أن مصر وحدها هي التي قام فيها توحيد كامل في هذا العهد السحيق ولم تقم وحدة سياسية شملت قطراً بأكله من أقطار الشرق الأدنى كما حدث في مصر - وبالرغم من ذلك فإن الظروف السياسية كانت تحتم على ملوك مصر درام بذل الجهود حتى تستقر لهم السلطة لكي يدعوا مركزهم فنذ بداية عهد الاسرات نجد أن الملك مينا يقوم بحروب في الوجه البحرى، ويؤسس عاصمة في مكان مناسب (منف) حتى يسهل عليه الاشراف على كل من الوجهين القبلى والبحرى .

ومن البديهي أن يطمع سكان الأقاليم الصحراوية والجهات التي يصعب العيش فيها في خيرات المناطق الزراعية أو التي تتميز برغد العيش ولذلك كانت مصر تعاني دائماً من أهل الصحارى المجاورة وسكان النوبة لان الوادى في هذه الأخيرة كان ضيقاً وأكثر جفافاً منه في مصر وعلى هذا كان هناك صراع دائم بين ملوك مصر وسكان تلك الجهات بل ولم تكن الحدود مستقرة تماماً في أول الأمر فاول الملوك جهودهم لتثبيت حدودهم وتأمينها ويبدو هذا واضحاً من اشارات كثيرة في النصوص التي وردت على آثار الملك عحا - الذى يوحده غالبية المؤرخين مع الملك مينا أو نعرمر - ⁽¹⁾ عن حروب شنها ضد

(1) يرى بعضهم أن حورعحا هو اسم آخر للملك مينا وأن نعرمر تلامذته الحكم Helck, "Gab es einem König Menes," in ZDMG 103, Heft 2, (Neue Folge Band 2), 354 - 9

التوبيين والليبيين

ويبدو أن ملوك مصر قد تبينوا أهمية النوبة منذ أقدم المصور أو على الأقل أدركوا - أنها لاتصالها المباشر بمصر - تشكل خطراً دائماً التهديد لها ولذلك توالت جهودهم فيها - فعلى صخور جبل الشيخ سليمان (1) قرب وادى حلفا نجد نصا للملك « جر » ثانيا ملوك هذه الأسرة وهو يدل على انتصاره على أهل النوبة ولا شك في أن هذا الملك - بقيامه بهذه الحملة - أراد أن يؤمن حدوده الجنوبية أو أنه رغب في الاستيلاء على بعض حاصلات البلاد الجنوبية .

ولم تنقطع جهود ملوك الأسرة الأولى الخارجية فقد أرسل الملك «جت» بعض البعثات التجارية وبعثات لاستغلال المحاجر والمناجم من الصحراء الشرقية - وربما صادفت البدو القاطنين في الصحراء الشرقية بعض الظروف القاسية خلال عهد تلك الأسرة فأثاروا المتاعب على حدود مصر الشرقية لأننا نجد أن كلا من الملكين « دن (أودييو) » و « عديج إيب » يقوم بتأديبهم كما يشير الى ذلك حجر بلرمو .

الأسرة الثانية (من سنة ؟ الى سنة ٢٧٠٠ ق.م.)

من المحتمل أن بعض المنازعات الداخلية حدثت بين أعضاء هذه الأسرة مما جعل ملوكها يتفرغون لمحاولة الإبقاء على سيادتهم فلا نكاد

(1) Arkell, " Varia Sudanica " in JEA 36,28 - 9

نجد ما يشير إلى نشاط خارجي إلا من عهد الملك «خع سنخم» الذي قام بحروب في الشمال وإن كان من المرجح أنها كانت لتدعيم سلطانه في الوجه البحري كما يشير إلى أنه انتصر على النوبيين أيضاً .

ومع أن سلطان الملوك في عهد الأسرتين الأولى والثانية لم يكن من القوة والاستقرار كسلطان ملوك العهود التالية حيث أن الملكية كانت في بداية عهدها والوحدة السياسية غير مستقرة فيها تماماً فإن آثار هذا العهد تدل على أن المصري احتك بحيرانه إذ حصل على النحاس من سيناء وجاء بالعاج من النوبة^(١) والأصداف من سواحل البحر الأحمر كما يستدل على ذلك من إستعماله للنحاس في صنع بعض أدواته ومن تطعيم بعض آثاره الخشبية بالعاج والأصداف والظاهر أنه كان يرسل بعض البعثات التجارية للحصول على تلك السلع وربما كانت هذه البعثات تحميها بعض القوى العسكرية لأن التبادل التجاري في ذلك الحين لم يكن سهلاً وكثيراً ما كانت تتعرض القوافل للاغارات المفاجئة . ومن المعقول أيضاً أن بعض هذا التبادل لم يكن ليتم طوعاً وإنما كان يفرض فرضاً وقد يكون الحصول على سلع الجيران عن طريق الاغارة أحياناً .

(١) من المرجح أن القيلة عاشت في الصحراء الليبية حتى ذلك العهد - أنظر Keimer, "Histoires des Serpentes dans l'Égypte Ancienne et Moderne", (Memoire presentée a l'Institut d'Egypte' Tome v.) IFAO, Csire 1947, 27 - 31.

ومع هذا فقد ظلت النوبة هي المورد الرئيسي للعاج .

الأسرة الثالثة (سنة ٢٧٠٠ - ٢٦٢٠ ق.م) .

يبدو أن الملكية أخذت تستقر منذ بداية عهد هذه الأسرة واستطاع ملوكها الأقرباء أن يثبتوا سلطانهم وأصبح من الممكن أن يتفرغوا للمشروعات العمرانية والجمود الحربية الخارجية وإن كنا لا نعرف على وجه التجديد شيئاً عن نشاطهم الخارجى ولكن نطالعنا رواية من عهد البطالمة (١) بأن جماعة حدثت في عهد زوسر - بسبب انخفاض مستوى الفيضان - فأمر بأن توقف الأراضي الواقعة على ضفتى النيل ابتداء من جزيرة سهيل شمالاً إلى قرب بلدة الدكة الحالية جنوباً (٢) على الاله دخنوم، وبذلك عاد الفيضان إلى سابق عهده وانتهت الجماعة ومع أنه لا يمكن اثبات صحة هذه الرواية إلا أنه لا شك في أنها تدل على أن هذا الاقليم من التوبة كان في نظر المصريين في عهد البطالمة تابعاً لمصر و أيام الأسرة الثالثة - وقد وجدت بعض النقوش التي تشير الى اتصاف زوسر على يدو سيناء في وادى مغارة كما وجد اسم خلفه في تلك الجهة أيضاً :

(١) كان من المتقد أن هذا النص يرجع الى عهد بطليموس العاشر أو الحادى عشر ولكن من المرجح - بحسب الدراسة التي قام بها Barguet - أنه يرجع الى عهد بطليموس ايفان (الخامس) - أنظر :

Barguet, "La Stèle du Famine a Sehel" (Bibliothèque d'Étude, Tome 24), Caire 1953, p. 33 n.l.

(٢) كانت هذه المساحة (من سهيل الى الدكة) تعرف في العهد اليونانى باسم Dodekashoenos أى الاقليم الذى يمتد ١٢ وحدة طول (يونانية) مقدار كل منها حوالى ٧٠ ميل .

ظل النشاط العمراني كبيرا في عهد هذه الأسرة وإزداد حتى أتت عظم أهرام مصر على الاطلاق ويبدو أن ملوكها لم يقصروا في أداء واجبهم نحو تأمين حدودهم واستغلال موارد ما فقد قام سفرو أول ملوك الأسرة بحملة الى النوبة وأخرى الى ليبيا جاب منها عددا كبيرا من الأسرى والماشية كما قام بحملة أو حملات إلى سينا للحصول على النحاس أو لتأديب البدو ويشير حجر بلرمو الى أنه أرسل أربعين سفينة لإحضار خشب الأرز من لبنان وكان هذا الخشب يستخدم في صنع السفن المقدسة وفي الأثاث الثمين .

وقد يغيب للباحث أن خوفو تفرغ بكليته لبناء هرمه الذي خاد اسمه في التاريخ ولكن أغلب الظن أنه لم يهمل على الاطلاق النواحي الخارجية فقد عثر على أحجار من معبد قديم أقيم في بلوس (جبيل) بلبنان تحمل اسم خوفو وربما كان هذا من آثار جالية مصرية أقامت في تلك الجهة لملاحظة التبادل التجاري بين البلدين في ذلك العهد أي أن هذا الملك شجع التجارة بين مصر ولبنان ومن المقابر التي ترجع الى عهده مقبرة لسيدة تدهى «مرسفتح» بها رسوم وتماثيل تبين صاحبها ووالدتها وهما تلبسان ملابس تختلف عن ملابس المصريين وشعرهما أشقر مائل الى الاحمرار وعيونها زرقاء ولذا يرى بعض الأثريين أن

دما ليديا أو شماليا دخل الى مصر في ذلك الوقت ويؤيد هذا الوهم أن تمثال أبو الهول الذى كان يرمز لعبادة الآله حور والذى ينسب الى عهد خفرع يدل على وجود تأثير أجنبي لأن الآله حور لم يعرف بمصر في هذه الصورة من قبل كما يوحى انتشار نفوذ رع وسيادته فيما بعد بوجود ذلك التأثير أيضا .

ومن المحتمل أن جنسا جديدا وصل الى النوبة وتوغل الى شمالها وقد رمز إليه الأثريون باسم مجموعة دب، واستطاع هذا الجنس أن يضعف سكان النوبة ومن المحتمل أيضا أن حملة سنفرؤ على النوبة كانت قد هدت قواه وعلى هذا لم يجد المصريون صعوبة فى التوغل فى بلاد النوبة واستغلال عاجرها وان كان من المرجح أيضا أن أهل النوبة لم يثيروا متاعب ضد بعثات استغلال المهاجر نظرا لما يمنحونه من فوائد بالتعاون معهم ففي قلب الصحراء الليبية النوبية وعلى بعد نحو ٨٠ كيلو مترا الى الشمال الغربى من توشكى توجد عاجر للديوريت نقشت بها أسماء «خوفو» و«ددف رع» و«ساحو رع» و«جدكارع اسيسى» ومن هذا نستنتج بأن أهل النوبة السفلى فى عهد هؤلاء الملوك لم تكن لديهم القوة الكافية لمعارضة سلطان مصر أو أنهم كانوا يرحبون بالتعاون مع المصريين لمصلحتهم الخاصة لأنه لا يعقل أن يتم نقل الأحجار من هذا المكان البعيد عبر الصحراء الى النهر ثم بطريق النيل الى مصر ما لم تكن الجهات التى تمررها بعثات استغلال المهاجر مسألة أو مغلوقة على أمرها .

الأسرة الخامسة (سنة ٢٤٨٠ - ٢٣٤٠ ق.م)

لاشك في أن عظمة ملوك الأسرة الرابعة التي تتجلى في أهرامهم العظيمة كانت خير كفيل بتثبيت دعائم الملكية وإستتباب الأمن الداخلى فى البلاد كما أن نشاطهم المعمارى العظيم هيا لهم فرصة إستغلال كثير من الحاجر والمناجم ولكنه ربما كان سببا فى لإنهاك الحالة الاقتصادية فى البلاد ولذا عمد ملوك الأسرة الخامسة الى محاولة البحث عن موارد جديدة وكانت الإغارة على الأقطار المجاورة هى أيسر السبل فى نظر القدماء للحصول على هذه الموارد ولذا نجد أن د ساحورع ، قام بحروب ضد الليبيين والاسبويين إذ تشير النقوش التى خلفها على جدران معبده فى أبو صير إلى إنتصاره عليهم كما تبين هذه النقوش أن رحلة قامت فى عهده إلى فينيقيا ولكن لا نستطيع أن نذبين من هذه النقوش هل كانت هذه الرحلة تمثل حملة حربية أو بعثة تجارية - ويشير حجر بلرمو الى أن هذا الملك أرسل أيضا حملة الى بونت وقد عادت هذه الحملة ومعها مقادير كبيرة من البنسور والذهب وكتل من الانخشاب اليمينة لاشك فى أن الأبنوس كان من بينها - والظاهر أنه أرسل حملة الى الجنوب أيضا كما يوحى بذلك نقش صخرى له قرب شاطىء النيل عند بلدة توماس فى النوبة - وقد ترك لنا أحد أشراف عهده نقوشا فى مقبرته فى د دشاشة ، بها مناظر حربية تبين كيفية استيلاء المصريين على أحد الحصون فى آسيا - وهكذا نجد أن عهد هذا الملك أمتاز

بنشاط خارجى عظيم وأن مصر خرجت عن عزلتها وبدأت تحتك
بجيرانها في مختلف الجهات .

ومن المرجح أن الصلات التجارية مع الجنوب ظلت قائمة في عهد
خلفه ، نفر ايركارح ، لأن هذا الملك أمر بصنع تابوت من خشب
الابنوس المطعم لاحد موظفيه وهذا النوع من الخشب كان يرد الى
مصر من الجنوب — ويبدو أن الملك د نى أوسرع ، أرسل حملة الى
سوريا وشن حربا على الليبيين كما يقين ذلك من بعض النقوش التي
كانت تزين جدران معبده وان كان بعض الأثريين يرى أن هذه المناظر
مستوحاة من مناظر معبد د ساحورع ، وليست لها قيمة تاريخية تذكر
ولا نعلم إلا القليل عن عهد د منكواحر ، ولكن لاشك في أنه
أرسل حملة الى سينا — أما خلفه الملك إسيسى (زدكارح) فقد وجدت
له نقوش تدل على أنه أمن حدود بلاده حيث نجد له نصوصا في توماس
وفي وادى حمامات وفي وادى مغارة كذلك — ويذكر حروف وهو
أحد قواد القوافل في عهد ببي الثانى من الأسرة السادسة بأن أحد
الموظفين في عهد إسيسى تمكن من أن يجلب لهذا الملك قرما من بلاد بونت
وأن الملك كافأه على ذلك (١) مما يدل على أن التجارة مع الجنوب كانت
نشيطة في عهده .

Urk. I, 128 - 9. (١)

ولا نكتفي في عهد آخر ملوك الأسرة الخامسة (أوناس) شيئاً عن علاقات مصر مع جيرانها سوى أن بعض الأجانب قد وفدوا الى البلاد المصرية وربما كان هذا دليلاً على استمرار وفود بعض العناصر للاستقرار في مصر حيث بدأت هجرة بعض العناصر الشمالية الى مصر منذ عهد الأسرة الرابعة كما أشرنا الى ذلك في الحديث عن عصر خوفو (انظر أعلاه ص ٢٣)

ولا يقتصر وفود الأجانب الى مصر على هؤلاء الذين جاءوا من جهات شمالية سواء من ليبيا أو آسيا . بل كثيراً ما كان النوبيون يقدون الى مصر للعمل بها وخاصة لأنهم امتازوا في العمل كحرس في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية وما زال معظم جنود الحدود الذين تستخدمهم الحكومة الآن ينتمون الى أصل نوبي وهناك من النصوص ما يشير الى أن من بين هؤلاء الحرس من كانوا يعملون كحرس للجبانات الملكية (١) وخاصة من العناصر التي عرفت باسم المازوي الذين ينتمون الى القبائل المعروفة باسم الجماء وقد اشتهر أمر هؤلاء حتى أصبح اسمهم يطلق بصفة عامة على أهل بلاد النوبة بل وعلى بلاد النوبة نفسها في بعض العصور الفرعونية كما طلق على رجال

(١) انظر مرسوم دهمشور من عهد بيبي الاول

Urk. I, 209 ff; ZAS 42,7 ff

البوليس في عهد الدولة الحديثة اسم المازوى وإن لم يكونوا من هذه
الطائفة .

الأسرة السادسة (سنة ٢٣٤٠ ق . م الى سنة ٩)

ويتميز عصر الأسرة السادسة بنشاط خارجي عظيم في جهة الجنوب
بصفة خاصة ومن هذا النشاط نستطيع أن نتبين مدى استقرار الأمور
في مصر أى يمكن القول بأن - الأحوال في مصر تنعكس على علاقاتها
بالجنوب ففي قوتها نتبين سيادتها وسلطتها في علاقاتها التجارية مع تلك
الجهات وفي ضعفها نجد أن القبائل الجنوبية لا تستجيب للبعثات التجارية
المصرية عن طيب خاطر وقد يؤدي بها الأمر إلى الاعتداء على تلك
البعثات - فإذا ما بدأنا بعهد يبي الأول نجد أن وزيره وأوئي، استعان بجيش
من الصعيد ومن أهل النوبة^(١) في صد هجوم لبعض قبائل فلسطين الذين
ربما كانوا قد هددوا المصالح المصرية في جنوب فلسطين أو كانوا يريدون
الحدود المصرية نفسها ويدلنا هذا على أن مصر كانت تحظى بنفوذ كبير
في النوبة يهيء لها أن تجمع الجيوش منها لصد الغارات التي تهددها
في الشمال .

ومن عهد رمى إن رع، نجد نقوشا في منطقة الشلال تبين أن هذا
الملك ذهب إلى تلك المنطقة حيث تقبل خضوع الرعماء النوبيين

Urk. I, 101 (١).

وربما كان الحصول على سلع النوبة خطة مرسومة في البلاط المصرى ولذا حرص الفراعنة على ابقاء صلاتهم بتلك البلاد بل وربما حاولوا فرض نفوذهم عليها ولو بصفة اسمية كما أنهم كانوا يهدون إلى من يثقون فيهم من الرحالة والمغامرين أمر قيادة القوافل والبعثات التجارية ومن المحتمل أن هؤلاء الرحالة في مبدأ الأمر كانوا من السماسرة أو التجار الذين كانوا ينتفعون من الترحال إلى تلك البلاد والتوغل فيها ثم استطاعوا أن ينالوا الخطوة لدى الملوك فأصبح هؤلاء يكلفونهم رسميا بقيادة القوافل التجارية ويحلوا عليهم ألقاب الأمانة والشرف ومن أعظم هؤلاء الرحالة شخص يدعى (حرخوف) قام بأربعة رحلات رأس الثلاثة الأخيرة منها أما الرحلة الأولى فكان رئيسها والده (اري) وفي كل تلك الرحلات الأربعة كان الهدف الذى تود البعثات الوصول اليه هو بلاد يام وهى متدلقة اختلف المؤرخون فى تحديد مكانها وما زال هذا الموضوع مفتوحا للنقاشه لم يؤخذ فيه برأى قاطع حتى الآن (١) ومهما كان الأمر فان كل رحلة من هذه الرحلات كانت تتخذ طريقا مغايرا للطريق الذى سبق أن سلكته الرحلة السابقة لما يدل على أن (حرخوف) كان محبا للمغامرة متشعبا بروح الكشوف وارتياح الأماكن المجهولة وقد عاد من رحلته الرابعة بقزم سر منه الملك أكثر من أى شيء آخر .

JEA 44,40 ff (1)

ومن الملاحظ أن (حرخوف) كان يقابل في الرحلات الأولى بالترحاب أينما ذهب كما أن النصوص التي تركها توحى بأنه كان على علاقات طيبة مع زعماء القبائل في بلاد النوبة ولكن يبدو أن بعض العناصر القوية الشكيمة أخذت في التوغل من جنوب النوبة إلى شمالها متجهة نحو الحدود المصرية ولم ينبج (حرخوف) بسبب هذه القبائل في رحلته الرابعة إلا بفضل بعض الزعماء الذين كانت تربطه بهم صلوات الود - وبفضل الحماية القوية التي هيأتها له حاميته العسكرية ولعل ما نشاهد من أحداث في العهد التالي لذلك خير دليل على تطور الأمور بالنسبة للبعثات التجارية التي كانت ترسلها مصر إلى النوبة لأننا نعلم أن أحد قواد القوافل الذين جاءوا بعد (حرخوف) ويدعى (بيبي نخت)^(١) قام بتأديب بعض القبائل النوبية التي لا بد وأنها سلبت بعض المتاع للتجار المصريين إذ يخبرنا هذا القائد أن أحد القواد السابقين كان مكلفا بعمل سفينة في بلاد النوبة للتجارة بها إلى يونت ولكن بدو النوبة قتلوه فذهب (بيبي نخت) بأمر من الملك لاحتضار جثة القائد المقتول ولتأديب البدو .

وقد تطورت الأحوال بعد ذلك في مصر وبالتالي تأثرت هيئتها في علاقتنا مع الجنوب لأننا نعلم أن قائدا آخر جاء بعد (بيبي نخت) ويدعى

Urk. I, 131 ff. (١)

(سابني)^(١) ذهب إلى النوبة لاحضار جثة والده (نحو) الذي قتله النوبيون أثناء رحلته إلى تلك الجهات - وفي نقوش (سابني) تبين أنه لم يقم بتأديب البدو ولم يذهب إلى هناك معززا بقوته أو معتمدا على سلطان مصر وهيبتها بل على العكس نجده ينص على أنه أخذ كثيرا من الهدايا ليقدمها هناك وقد كافأه الملك - لعودته بجثة والده - وعينه في وظائف أيده .

من هذا العرض تبين أن علاقات مصر والنوبة تطورت في عهد الأسرة السادسة تطورا كبيرا ففي البداية يستطيع «أوني» أن يجمع جيشاً من المتطوعين من أبناء النوبة يعاونه في حروبه في الشمال ومن النوبة أيضا يستطيع الحصول على الأخشاب اللازمة لبناء السفن ومن نقوش الشلال نجد أن بعض زعماء النوبة يقدمون ولاءهم للملك الصغير « مري ان رع » أما نصوص حرخوف فتدل على أنه كان على علاقات ودية مع بعض زعماء النوبة وأنه كان يقابل بالاحترام في كل مكان أول الأمر إلا أننا نلص في هذه النصوص أيضا ما يشير إلى بدء تحول بعض القبائل النوبية عن هذا الشعور نحو البعثات المصرية فلم تكن لتأبه كثيرا لقيام العلاقات الطيبة بينها وبينهم ثم نجد أن بيبي نخت يضطر إلى تأديب بعض القاطنين في النوبة لاعتدائهم على رجال البعثات التجارية وبعدئذ يصبح خطر النوبيين عظيما إلى درجة أن القائد التالي « سابني » يستميلهم بالهدايا

Urk. I, 135 ff. (١)

وبعبارة أخرى يمكننا أن نستنتج أن النوبيين كجيران لمصر كانوا يشعرون بحالتها الداخلية ويكيفون سلوكهم نحو بعثاتها على حسب ما يفهمونه من هذه الحالة فطالما كانت مصر قوية طالما لقيت بعثاتها كل معونة وترحيب من قبل النوبيين أما إذا ضعفت داخلها فإن هؤلاء كانوا كثيرا ما يسيئون استغلال بعثاتها التجارية بل وقد يذهبون في ذلك إلى أبعد الحدود ولا يتورعون عن الاعتداء على رجالها — وتؤبدنا معلوماتنا التاريخية عن هذا العصر إذ أننا نعلم أن الضعف الذي منيت به مصر في أواخر عهد الأسرة السادسة قد أدى في النهاية إلى نشوب ثورة عامة قضت على كثير من الأوضاع القديمة وأصبح العصر التالي لها يعرف باسم عهد الفوضى الأول أو عصر الأقطاع .

من كل هذا نرى أن العلاقات بين مصر وجيرانها في الشرق الأدنى القديم لم تكن واضحة كل الوضوح إلا فيما يختص بالنوبة إذ تتلخص هذه العلاقات في أن مصر كانت تحاول جهدها أن ترد عدوان القبائل البدوية المقيمة في الصحراوين الشرقية والغربية وأن تحاول الحصول على النحاس من شبه جزيرة سيناء والأحجار من وادي حمامات وغالبا ما كانت تؤيد بعثات استغلال النحاس والمحاجر قوات عسكرية نظرا لخطورة الارتحال إلى هذه الجهات أما علاقات مصر بجيرانها في الجنوب (النوبة) فقد اتخذت شكلا أوضح من ذلك لأنها تتصل بمصر اتصالا مباشرا من جهة ولأن بها كثير من المواد التي كانت محببة للمصريين وعلى ذلك نجد أن

الحصول على خيرات النوبة كان في الغالب يسير وفق سياسة مرسومة في البلاط وخاصة منذ عهد الأسرة السادسة حيث كانت توفد البعثات التجارية المتتالية التي توغلت كثيرا في بلاد النوبة من أجل الحصول على مختلف السلع .

ولا نستطيع أن نحدد الزمن الذي حصلت فيه مصر على سلع من النوبة لأول مرة في التاريخ فقد وجد العاج في مقابر من عصر ما قبل الأسرات ويدل اسم إيفانتين على أن هذه المدينة كانت مركزا لتجارة سن الفيل كما وجد الأبنوس في مقابر أييدوس ومن عهد الأسرة الرابعة نجد أن أحد عظامه عصر خضوع كان له قردان يرافقانه هو وزوجته في حياتهما اليومية ولاشك أن القرده كانت محبة للصريين في جميع العصور وكانوا يحبونها من الجنوب - كذلك كانت مصر تحصل من النوبة على جلود الفهريد والكباش والعجول الصغيرة والكبيرة وأحجار الديوريت وبعض الأخشاب التي كثيرا ما كانت تصنع سفنا في بلاد النوبة نفسها إما للذهاب بها الى بونت أو لتحميلها بالبضائع الذاهبة إلى مصر حيث كان النزول في النهر عبر الشلال الأول سهلا ولم تستعمل تلك السفن ثمانية للعودة بها إلى النوبة ففي الغالب كانت كل رحلة تقوم بعمل سفن خاصة بها عند نزولها إلى مصر (١) - ومن عاصلات النوبة

(١) T. Säve Söderbergh, "Aegypten und Nubien", 24-5

أيضا الكروم والزيتون وبعض الحبوب الخاصة والبنجور وعصى الرماية
كذلك كان الأتراقم يجلبون من مناطق بعيدة فيها .

أما السلع التي كانت ترسل من مصر إلى النوبة فلا تخرج عن كونها
بعض المصنوعات تتمثل في بعض الآلات النحاسية والأسلحة والمنسوجات
ومصنوعات من العيانس (القاشاني المصري) مثل الخرز والتامم وكذلك
بعض العطور وعسل النحل (١) .

ورغم هذا النشاط التجاري الذي ساد بين مصر وهذه الجهات
حرص ملوك مصر دائما على حماية الحد الجنوبي لمملكتهم الذي كان
في أغلب الظن عند الشلال الأول ومن خير الأمثلة التي تدل على حرص
المصري على حدوده الجنوبية وتبين أهمية التحكم فيها ما نراه من ألقاب
التشريف التي خلعت على بعض حكام الأقاليم فقد لقب « كار » حاكم
« سسه » « سرح الأول » بلقب مستشار كل الأمرار التي تأتي من بوابة
إيفاتين ومستشار كل الأخبار التي ترد من البوابة الضيقة للبلاد الأجنبية
وبلاد الجنوب ، كذلك كان أمير آخر في قصر الصياد يحمل لقب « المشرف
على مصر العليا الذي رضى قلب سيده عن بوابة الجنوب الضيقة ومستشار
بوابة الجنوب الضيقة » .

ولا شك في أن عوامل الضعف التي منيت بها مصر في أواخر

عهد الأسرة السادسة وما بعدها كان لها أكبر الأثر على النوبة وعلى علاقاتها بمصر ويبدو ذلك واضحاً في محتويات المقابر اذ بينما كانت المقابر النوبية في عهد الدولة القديمة بصفة عامة غنية بمحتوياتها نجد أن هذه المقابر التي ترجع إلى نهاية عهد الامبراطورية القديمة فقيرة في محتوياتها ويبدو أن النوبة بعد أن حرمت من اتصال المصريين بها عاشت في شبه عزلة تعتمد على الزراعة وعلى صناعاتها البدائية التي تفي بحاجات أهلها وأصبحت المصنوعات التي كانت ترد إليها من مصر مثل الخرز والتآثم قليلة أو نادرة وربما كان تخير هذه الظروف الاقتصادية يرجع كذلك إلى زيادة العنصر الزنجي في السكان فالمرحلة الأولى من مراحل نشاط المجموعة « ٤ » التي تكثرت بها الدماء الزنجية كانت تعاصر عهد الفوضى الأولى في مصر أي من الأسرة السادسة إلى الأسرة الحادية عشرة تقريباً ويبدو أن المجموعة « ٤ » في هذه المرحلة كانوا أقوى شكيمة من غيرهم فاستطاعوا أن يتقدموا شمالاً إلى مسافات بعيدة بل ومن المحتمل أن بعضهم وجد سبيل الاستيطان في مصر ميسوراً أمامه لأننا نجد كثير من النوبيين يعملون كجنود في المقاطعات وخاصة عندما إشته النزاع بين بيتي طيبة وإهناسيا حتى أن أسرات نوبية بأكلها كانت تعمل في جيش مملكة طيبة ولم يقتصر الأمر على الجنود لحساب بل إن بعض أميرات البيت الملكي في طيبة كن من أصل نوبي كما وجد عدد كبير منهم كخدم في البلاط أيضاً ولا بد من أن التزاوج والاختلاط بين المصريين

والنوبيين قد أدى إلى ظهور بعض الدماء الزنجية في كثير من الافراد
وربما حدث هذا منذ عهد الدولة القديمة إذ يحتمل أن يبني نخت الذي
عاش في عهد بيبي الثاني كان من أم نوبية (١) كذلك وجدت آثار هذه
الدماء الزنجية في إحدى أميرات عهد الدولة القديمة بجمانة الجيزة (٢)

JEA 7,124-5 (١)

Bull. Boston MFA 13, 32ff, fig. 9. (٢)

أنظر كذلك Petrie, "Ancient Egypt," 1916 48

ب عصر الفوضى الأول

وتوقف النشاط المصرى فى الخارج

أدى تدهور سلطان الملوك فى عهد الأسرة السادسة إلى زيادة قوة أمراء الأقاليم فأخذت بدور الفتنة تنتشر فى أنحاء البلاد حتى انتهت إلى فوضى شاملة من المرجح أن جيران مصر شعروا بها إذ انتهزت بعض العناصر الآسيوية فرصة هذا الضعف وأخذت تنتشر نفوذها فى الدلتا وما أن وافى عصر سيادة هيراكليوبوليس (إهناسيا) أى عصر الأسرتين التاسعة والعاشر حتى أصبحت الدلتا خارج نطاق النفوذ المصرى وخاضعة للأسيويين (١)

ويرى بعض المؤرخين بأن ماورد فى نصوص أونى عن جمعه لجيش كبير من الصعيد والنوبة فى أوائل عصر الأسرة السادسة ومحاربه للأسيويين وانتصاره عليهم بهذا الجيش فى شمال مصر مما يدل على أن قوة العناصر الآسيوية قد أخذت فى الظهور منذ ذلك الحين - ومهما كان الأمر فإن من المعروف بأن بعض الممالك الآسيوية أصبحت على جانب كبير من القوة والنفوذ ومن هذه الدولة الكدانية (عهد الامبراطورية

(١) Pap. St. Petersburg III 6A, II 81 - 3 & II 83 - 91

أنظر تطبيقات Volten فى :

A.Vollen, Zwei altagyptische politische schriften, 81-79.

السامية الأولى) حيث نجد أن الملك « نارام سن » وسع حدود بلاده غربا إلى مسافات بعيدة بما يرجع حدوث تحلل في إقليم الشرق الأدنى أدى إلى تقدم بعض العناصر الآسيوية إلى الدلتا واستيلائهم عليها .

ومهما يكن من الأمر فإن الثورة الاجتماعية التي حدثت في مصر منذ آواخر الأسرة السادسة لم تقتصر آثارها على النواحي الفكرية والاجتماعية لحسب بل كان أثرها عميقا في الناحية السياسية أيضا حيث نجد أن حاكم كل إقليم أصبح يتمتع بسلطان مطلق في إقليمه فكان لكل منهم جيشه وأسطوله أحيانا وكثيرا ما كانوا يستعينون بالجنود المرتزقة وخاصة من النوبيين الذين وفدوا إلى مصر في أعداد كبيرة سعيا وراء الرزق فرغبة في تحسين أحوالهم الخاصة وقد وجدوا في التنافس القائم بين أمراء الأقاليم خير معين لهم على تحقيق ذلك لأن كل أمير كان يحاول جاهدا توسيع رقعة إقليمه ونشر نفوذه وسلطانه ولو على حساب الآخرين ولذا كان يرحب بأمثال هؤلاء المرتزقة النوبيين (أنظر شكل ١) ومعلوماتنا عن عهدى الأسرتين السابعة والثامنة ضئيلة للغاية وربما لم تكن هناك أسرة سابعة على الإطلاق أو أن كل أمير كان يستشعر القوة في نفسه كان يفرض سلطانه على الآخرين ويدعى الملك حيث أن ماينيو يذكر لنا عن عهد هذه الأسرة أن عدد ملوكها كانوا سبعين ملكا حكموا لمدة سبعين يوما وهذا أمر غير معقول على الإطلاق - ومثل هذا العصر بالطبع لا نجد في خلفاته ماينير لنا السليل عن علاقات مصر بمناطق

الشرق الأدنى القديم وكذلك لا نجد في نصوص الأسرة الثامنة ما يشير إلى تلك العلاقات سوى اشارات عابرة عن بعض بعثات أرسلت لاستغلال المحاجر في الصحراء الشرقية وبعض البعثات التي أرسلت إلى الاقليم الشمالى من النوبة - ومع هذا ظلت مصر منقسمة على نفسها في عهد سيادة إهناسيا (الأسرتين التاسعة والعاشره) بل ومن الممكن القول بأن تاريخ مصر في هذه الفترة كان عبارة عن قصة الصراع الطويل الذى نفا بين ملوك إهناسيا وأمراء طيبة الذين أخذوا في الظهور والقوة واشتدت منافستهم ليوبس إهناسيا من أجل الاستحراذ على السلطة وأدعوا الملك وأصبحوا يعرفون في التاريخ بأسم الأسرة الحادية عشرة وكان أمراء أسيوط يعاونون البيت المالك في إهناسيا - وقد استخدم الجميع جنودا مرتزقة من النوبيين وخاصة في فرق الرماة وحاول كل من الطرفين المتنازعين أن يفرض سلطانة على الآخر بينما كانت الدلتا خارج النفوذ المصرى حتى عهد خيتى الرابع مؤسس الأسرة العاشرة الذى حاول تطهير الدلتا من النفوذ الآسيوى ومن عصابات البدو إلى أن استتب له الأمر فيها .

الدولة الوسطى واستئناف العلاقات الخارجية

ما أن تولى متوحب الأول (نب حبت رع) (١) عرش طيبة حتى بذل جهوداً ضخمة في إخضاع سائر أنحاء مصر بل وبمن المرجح أنه حازب في الدلتا وفي الصحارى المتاخمة لمصر شرقاً وغرباً ضد البدو المقيمين في تلك الجهات الى أن دانت له مصر كلها بالسيادة واستطاع كذلك أن يرسل بعض البعثات والحملات الى وادى حمات لإستغلال المحاجر والى بلاد النوبة وبونت وقد تمتعت مصر في عهده بالأمن . والرغاء وتفرغ بعد أن استقرت له السلطة الى الأعمال العمرانية وكذلك فعل خلفه متوحب الثانى الذى أرسل بعثة الى وادى حمات قوامها ثلاثة آلاف شخص فلما وصلت الى شاطئ البحر الأحمر صنعت سفناً ذهبت بها فى رحله الى بونت (٢) وعند عودتها أحضرت من وادى

(١) اختلف المؤرخون فى عدد الملوك الذين يدعون باسم متوحب ولكن يرجح أن ثلاثة فقط هم الذين كانوا يحملون هذا الاسم وأن متوحب الأول غير اسمه أكثر من مرة وأنه هو نفسه « نب حبت رع » وليس متوحب الثانى ولا متوحب الثالث — أنظر

Clère, "Hist. des XI et XII Dyns. Ég.", in Journal of World History I, No. 3 (Jan. 1954), 643 - 664, Vandier, Manuel d'Arch. II, I, 154, n.5.

Couyat - Montet, "Quadi Hammamat," No. 114 (٢)

في الأعمال التجارية لكتابة العقود والصكوك ، قوائم البضائع التي تنقلها السفن ، والايصالات ونحوها . ولعلها كانت ، بالإضافة إلى هذا أداة لتسجيل الشؤون الدينية ، ومحاولة للاحتفاظ بالطلاسم السحرية ، والإجراءات المنيعة في الاحتفالات ، والمراسم والأقاصيص المقدمه ، والصلوات والترانيل ، حتى لايبعد ولايدخل عليها المسخ والتغيير . ومع هذا فلم يحل عام ٢٧٠٠ ق.م حتى كان عدد من دور الكتب قد أنشئ في المدن السومرية (٢٦).

ويخلص (ديورانت) الحضارة السومرية تلخيصاً موجزاً في هذا للتناقض بين خزفها الفج وحليها التي أشرفت على الغاية في الجمال والإيمان . لقد كانت هذه الحضارة مزيجاً مركباً من بدايات خشنة واثقان بارع في بعض الأحيان . وفي تلك البلاد - على قدر ماوصل إلى علمنا في الوقت الحاضر - نجد أول ما أسسه الإنسان من دول وامبراطوريات ، وأول نظم الري ، وأول استخدام للذهب والفضة في تقويم السلع ، وأول العقود التجارية ، وأول نظام للائتمان ، وأول كتب القوانين ، وأول استخدام للكتابة في نطاق واسع ، وأول قصص الخلق والطوفان ، وأول المدارس والمكتبات ، وأول الأدب والشعر ، وأول أصباغ التجميل والحى ، وأول النحت والتقش البارز ، وأول القصور والهيكل وأول استعمال للمعادن في الترصيع والتزين . وهنا نجد في البناء أول العقود والأقواس وأول القباب ، وهنا كذلك تظهر لأول مرة في التاريخ المعروف بعض مساوئ الحضارة في نطاق واسع : يظهر الرق والاستبداد وتسلط الكهنة وحروب الاستعمار . لقد كانت الحياة في تلك البلاد متنوعة ، مهلبة ، موفورة النعم ، معقدة ، وهنا بدأت الفوارق الطبيعية بين الناس تنتج حياة جديدة من الدعة

نبوة لشخص يدعى « نفرروهو » مؤداها أن الأحوال في نهاية عهد الأسرة الحادية عشرة قد بلغت من سوء حسداً جعل بعض العناصر الآسيوية تهدد شرق الدلتا ولم يتخذ مصر من كبريتها إلا أمير يدعى أمينى (وهو الاسم المختصر لأممحات) وأن هذا الأمير من أم نوبية ويدلنا هذا على أى حال على مدى تغلغل العناصر النوبية في الحياة المصرية ولا بد أن النوبيين في ذلك العهد كانت لهم جالية كبيرة في مصر عظم شأنها وخطرها .

ورغم أن معلوماتنا عن الأحوال في المناطق المجاورة لمصر في ذلك الوقت غير كافية إلا أننا نفهم من إشارات مختلفة وردت في بعض النصوص أن أممحات بعد أن استقر له الأمر حارب البدو في الصحراوين الشرقية والغربية الذين كانوا يغيرون على الدلتا وشيد بعض الحصون على حدودها وربما استطاع كذلك أن يبسط نفوذه خارج حدود الدلتا لأننا نعلم أن ولده سنوسرت كان يحارب في ليبيا عندما تلقى نبأ وفاة والده (أممحات) كما أن سنوحى (وهو أحد رجال البلاط) حينما هرب الى فلسطين قوبل بالترحاب وتمكن من زعامة إحدى القبائل هناك ولولا ما كان لمصر من سمعة وهيبة في تلك الأثناء في ذلك الحين لما تمكن سنوحى من أن يصل الى هذه المسكنة المرموقة .

ويبدو أن مصر أخذت في عهد الأسرة الثانية عشرة تعمل على

إخضاع النوبة لسلطانها وعمل ملوكها على أن تظل مواردها في متناول أيديهم بحيث لا يعوق حصولهم عليها أى عائق وذلك عن طريق جعلها تحت سيادتهم والاحتفاظ بطرق التجارة المؤدية الى قلب أفريقيا في قبضة أيديهم ولذلك نجد أن سنوسرت الأول يمد حدوده الى وادى حلفا ويشيد في النوبة ثلاثة قلاع على الأقل في كوبان وأ كورويوهن^(١) فهو يعد بحق أول من اتبع سياسة حاسمة في النوبة وبدأ سياسة تأمين الحدود الجنوبية المصرية تأمينا مؤكداً في ذلك الوقت الذى أخذت فيه عناصر خليطة بالدماء الوثجية تتوغل الى النوبة من الجنوب وكان من الممكن أن تتقدم نحو مصر هي الأخرى^(٢) وربما كان هذا هو السبب في ظهور إسم كوش الذى عرفت به النوبة فيما بعد لأول مرة في النصوص المصرية^(٣).

وقد أفاد خليفته أمنمحات الثانى من الأمن والهدوء اللذين نجما عن نشاط والده وجدده فوطد صلته بجيران مصر وأرسل الهدايا الى أمراء سوريا الذين بادلوه الود فأرسلوا له كذلك هداياهم ووجه همه لاستغلال

Dr. M. A. M. Asfour, "The Relations Between (١)
Egypt and Nubia in Pharaonic Times," (Thesis L'pool
University 1956, MSS), 89- 90

ibid., 72-3. (٢)

P S B A. 23, 230 ff, pls. I-III; S N R. I, 65 (٣)

المناجم والمحاجر في سينا والتوبة كما أرسل بعثة الى بلاد يونان - وقد
 استمر هذا الهدوء في عهد خلفه سنوسرت الثاني الذي سار على نفس
 سياسة والده بل وبذنه في قيامه بمشروعات رى كبيرة في مديرية الفيوم
 والظاهر أن علاقات حسن الجوار كانت قائمة بين مصر والجهات
 الآسيوية القريبة حيث أننا نجد مناظر في نقوش مقبرة أحد امراء بني
 حسن في مهده ويدعى «خنوم حنب» تمثل جماعة من الساميين من
 الرجال والنساء والأطفال قدمت الى مصر للتجارة وللاستقرار في شرق
 الدلتا (أنظر شكل ٢) وكان زعيم هؤلاء الساميين يدعى «أبشاي» ومن
 المحتمل كذلك أن المنطقة التي جاءت منها تلك الجماعة قدمهت بظروف طارئة
 جعلت الحياة فيها عسيرة على بعض أهلها الذين وجدوا في مصر ملجأ
 يهرعون اليه في شدتهم وربما كانت سابق معرفتهم بسماحة أهلها هي التي
 شجعتهم على الوفود اليها - فمن المعروف أن عناصر هندو أوربية تظهر
 في غرب آسيا على نطاق واسع في الألف الثاني قبل الميلاد يبدو أنها
 جاءت من المناطق الرعوية في أواسط آسيا وتشعبت الى شعبتين: غربية
 دارت حول البحر الأسود (بعد أن عبرت البلقان والبسفور) ووصلت
 الى آسيا الصغرى حيث كونت المملكة الحيثية، شرقية دارت حول بحر
 قزوين واتجه فريق منها عبر القوقاز حيث وصل الى اعالي الفرات
 واختلط بالخوريين (اهل البلاد السابقين) وكونوا بمملكة ميتاني التي
 سيطرت على شمال بلاد ما بين النهرين وجبال زاغروس الشمالية

ووصلت غاية مجدها في عهد الأسرة الثامنة عشرة واتجه فريق آخر الى وسط جبال زاغروس حيث عاشوا كأقلية نشيطة عرفت بتربية الخيول واشتهرت باسم الكاشيين . ولا شك ان هذه العناصر اختلطت بغيرها ولا بد ان عناصر سامية صاحبها في هجرانها وكان من اثر ذلك في اغلب الظن تزوج بعض سكان المنطقة عن اما كن إقامتهم والالتجاء إلى جهات اخرى ومن امثلة ذلك تلك الجماعة التي مثلت في مقبرة «خنوم حتب» وعلى رأسها «إبشاي» - كذلك لا بد وأن هذه التحركات قد استمرت فترة طويلة وكان من نتيجتها ظهور المكسوس على مسرح الحوادث (١)

وربما كان عدم إقدام امنمحات الثانى و-نوسرت الثانى على القيام بحروب في النوبة سببا في قيام بعض العناصر النوبية بمحاولات للتخلص من النفوذ المصرى أو أن هذه الفترة من التاريخ شهدت اضطرابا عاما في أحوال الشرق الأدنى وكانت النوبة من بين المناطق التي تعرضت لعدم الاستقرار نظرا لأن العناصر الخليطة بالدماء النوبية المعروفة

Asfour, op. cit., 136-7; Gardiner, "Eg. of (١)
the Pharaohs," 165-7

باسم « مجموعة » ، بلغت أوج قوتها (١) وتقدمت نحو شمال النوبة حتى خشي ملوك الدولة الوسطى أن تتوغل إلى البلاد المصرية ولم تتوقف عن نشاطها إلا بفضل جهود ملوك الأسر الثانية عشرة - والظاهر أن توقف الجهود الحربية في النوبة في عهد امنمحات الثاني وسنوسرت الثاني شجع هذه العناصر على استئناف نشاطها ولذا وجه سنوسرت الثالث همه لكسر شوكتها وكان على الهمة موقفا في جهوده حتى أنه عبد فيها بعد كإله للنوبة - وقد قام هذا الفرعون بما لا يقل عن أربعة حملات في النوبة لاشك في أنه توغل فيها كثيرا نحو الجنوب حتى ليظن بأنه وصل في حملته الثالثة إلى نهر العطبرة ولكنه ثبت حدوده في آخر نقطة استراتيجية عند نهاية الشلال الثاني من الجنوب أى عند ستمسه حيث أقام لوحة هناك حرم فيها على النوبيين تجاوزها شمالا إلا للتجارة أو لمهام رسمية ولم يكتف بذلك بل شيد كثيرا من الحصون والقلاع في منطقة النوبة السفلى وخاصة على طول النيل ووجد في بناء الحصون التي كانت قائمة قبل عهده كما أنه أمر بحفر القناة التي كانت في منطقة الشلال الأول وعمق مجرى النيل في هذه المنطقة لتسهيل عبور السفن وبذلك تمكن من أن يكون على اتصال دائم بالنوبة وأن يتحكم في تحركات النوبيين ويرصد حركاتهم ومن المؤكد أن النفوذ المصرى كان معترفا به ولو اتميا على

(١) ظهرت هذه المجموعة من أواخر الدولة القديمة ووصلت الى منتهى قوتها في عهد الاسريين ١١ ، ١٢ أنظر

Steindorff , Aniba,I, 7ff.

الأقل في مناطق تبعد عن ذلك كثيرا إلى الجنوب لاننا نعلم أن المركز التجاري الذي أقيم في كرما كان قائما في نهاية عهد الدولة القديمة ثم جدد في عهد امنمحات الثاني^(١) وليس من المعقول أن يوجد مثل هذا المركز التابع لإدارة مصرية في منطقته تبعد عن الحدود إلا إذا اتخذت الاحتياطات اللازمة لضمان سلامته ولتأمين مواضلاته مع أقرب قاعدة مصرية في ممته فمن المرجح إذا أن سمته كانت تمثل آخر نقطة استراتيجية في يد مصر بينما كانت المنطقة التي وراها خاضعة لها بالفعل ولكن سكانها كانوا من القلة بحيث لم يجد المصريون سببا يدعوهم لأن يقيموا حصونا في هذه المنطقة.

(١) افترض Reisner أن هذا المركز التجاري كان قائما في عهد الدولة القديمة ولكن Save Soderbergh لا يفتقمه في الرأي إلا أن الدراسات الأخيرة التي قام بها Edel ترجح رأى Reisner قارن :-

c.f Reisner, Kerma, I, 30 f; Save Soderbergh; op. cit., 107 - 8, E. Edel, Inschriften des Alten Reiches, v. " Die Reisen berichte des Hrwh - Hwfw " in Firchow, Aegyptologische Studien (Berlin 1955) 51 - 75

ومع كل فليس من الضروري أن يكون هذا المركز التجاري في يد المصريين أو تحت إشرافهم الفعلي - ولكن أعيد بناؤه في عهد امنمحات الثاني وإن كان Reisner يرى بأن هذا حدث في عهد امنمحات الأول وقد جدد بناء هذا المركز التجاري في عهد امنمحات الثالث .. أنظر -

Dr. M. A. M. Asfour , op. cit., 88, 114

ولم يقتصر سنوسرت الثالث في جهوده الحربية على بلاد النوبة وحدها بل وجه كذلك حملة نحو فلسطين ربما كانت من أجل الحصول على بعض الأخشاب من سوريا أو أنها كانت لصد غارة مفاجئة قامت بها بعض القبائل الآسيوية أو بدو الصحراء المتاخمين لفلسطين — ومن المرجح أيضا أنه وجه حملة أخرى إلى ليبيا وهذه الجهود جميعا تويد ما سبقته الإشارة إليه من احتمال اضطراب الأحوال في بعض أنحاء الشرق الأدنى وتأثر الجهات المجاورة لمصر بها فاضطر أهلها إلى محاولة إيجاد ملجأ لهم في وادي النيل ولكن يقظة سنوسرت الثالث ونشاطه أبعد هذا الخطر عنها ولذا أصبح بعد في نظر الأجيال المتأخرة بطلا أسطوريا .

وكان ما بذله سنوسرت الثالث من جهود خير ضمان لاستتباب الأمن في البلاد وعلى حدود مصر فتمتع خلفاؤه بمهد رخا وطمأنينة وانصرف خليفته امنمحات الثالث إلى الأعمال العمرانية حيث أرسل البعثات إلى مناطق الحاجر المختلفة وأهم بشئون الري ولذا لم يوجه إلى النوبة إلا بعض الموظفين لاستخراج الذهب أو لتسجيل ارتفاعات الفيضان على قلعتي قبه وسمنه — وقد حذا حذوه في هذا السبيل أيضا ولده امنمحات الرابع إذ أرسل بعض رجاله إلى وادي الهودي وإلى سيناء كذلك عن تسجيل ارتفاع الفيضان في قبة .

فسياسة ملوك الأسرة الثانية عشرة تجاه النوبة لم تكن أذا قاصرة على توجيه الحملات الحربية ضدها ورغبة في الحصول على منافع وقيمة وإنما كانوا يهدفون إلى استقرار نفوذهم فيها وقد نظموا استغلالها تنظيماً دقيقاً منذ بداية عهدهم وكان اهتمامهم بها بالغاً إذ استغلوا محاجرها في كل من الصحراوين الشرقية والغربية حيث حصلوا على الديوريت من المحاجر التي تقع إلى الشمال الغربي من توشكي (١) والاماتيسيت من وادي الهوى (٢) الذي يبدو أنهم جلبوا منه النحاس والباريوم والملاخيت أيضاً كما وجدت به كميات قليلة من الذهب (٣) - على أن أهم مصدر للذهب كان وادي العلاقي وكان النحاس يجلب من منطقة يمكن الوصول إليها بسهولة من كوبان (٤) .

ولم يرد للخشب أو الماشية ذكر في حاصلات النوبة في عهد الدولة

(١) ASA 33, 65ff

(٢) Dr. A. Fakhry, op. cit., 20 ff : nos' 6. ff

A. Row, "Stelae from the South Eastern Desert
" Wadi - el Hudi " , in ASA 39 , 188 ff

(٣) ذكر الذهب الوارد من النوبة لأول مرة في نصوص الأسرة الثانية عشرة

Asfour, op. cit, 71,95.

Lucas, " Ancient Egyptian Materials and (٤)

Industries", (2nd. ed London 19 8) , pp.256, 239, 241

الوسطى كما كان الحال في عهد الدولة القديمة وربما كان السبب في ذلك أن الخشب لم تعد له نفس الأهمية أو أن الظروف الجغرافية تغيرت فأصبحت النوبة نفسها أقل إنتاجا له .

وعلى هذا نلاحظ تغيرا ملحوظا فيما بين الدولتين القديمة والوسطى فبينما كانت الدولة القديمة ترسل معظم بعثاتها للتعدين واستخراج الاحجار من سيناء والصحراء الشرقية نجد أن أكثر هذه البعثات كانت في الدولة الوسطى توجه الى النوبة كما حدث تغير ملحوظ في واردات مصر من النوبة حيث كان الخشب والماشية في عهد الدولة القديمة أهم السلع الواردة منها بينما أصبح الذهب وبعض المعادن الاخرى والاحجار أهم ما يطلب منها في الدولة الوسطى

ولا بد أن نظاما دقيقا قد وضع لحماية المصالح المصرية في النوبة إذ شيد بها كثير من الحصون زود معظمها بما يدها حقة بها ومساكن للجنود والقواد ومخازن للحبوب وخزينة وكان المسؤولون في هذه القلاع يتصلون إتصالا مباشرا بالوزير في مصر وقد بذل ماوك الدولة الوسطى جهودا مشكورا في تنظيم استغلال النوبة ودوام النفوذ المصرى بها فقد أقام سنوسرت الاول سلسلة من السدود على الضفة الغربية النيل للتحكم في المياه ومن الاختام التي عثر عليها في بعض قلاع النوبة نجد أن القاب الموظفين في هذه القلاع توحى بتقسيم النوبة الى أقاليم ادارية تسير على

نظام شبيه بما كان متبعاً في مصر ولا شك في أن كثيراً من المصريين الذين ذكروا على الآثار في النوبة لم يكونوا جميعاً مجرد مبعوثين لمهام خاصة فحسب وإنما أرغم الكثيرون منهم على الهجرة والاستقرار في البلاد لأن وجودهم كان ضرورياً لراحة الجاليات المصرية الموجودة في الحصون ومراكز الإدارة المصرية ويستدل على ذلك من وجود أسماء لأشخاص لا ينتمون إلى الإدارة بصفة من المدنيين وأصحاب الحرف المختلفة^(١) ومع هذا فلا شك في أن النوبة ظلت في نظر المصري مكاناً غير مرغوب فيه ولم تفقد صفتها كبلد أجنبي ينبغي الفرار منه أو على الأقل كان حرص المصري الدائم على أن يدفن في بلده سبباً في ندره المقابر المصرية في تلك الجهات وخاصة أولئك الذين كانوا يمثلون كبار الموظفين أو كبار رجال الدولة .

ولا نعلم الا قليلاً عن نظام الإدارة المصرية في عهد الدولة الوسطى ولكن من المؤكد أن الإدارة في النوبة كانت تخضع لإشراف الوزير المقيم في طيبة مباشرة وأن هذا الوزير كان يقوم بجولات تفتيشية ودورية

(١) من أمثلة هؤلاء طيبب وبستانى وحلاق وسلقى (خادم) وهن الأشخاص الذين عثوا على أختامهم أيضاً من كانت يكتبن بذكر أنه «مدنى» فحسب دون ذكر وظيفة معينة له

Asfour, op cit., 103.

أنظر

وقد عثر على برديات في الرامسيوم تدل على دقة الاشراف على حصون النوبة وعلى النوبة نفسها حيث أن هذه البرديات عبارة عن رسائل تشير تحركات النوبيين — حتى الفردية منها — وأن كل هذه التحركات كانت تخطر بها الجهات المختصة في طيبة كما تخطر بها القلاع المحلية المجاورة التي يهملها أمر تلك التحركات (١) — كذلك كانت كل قلعة من القلاع تتضمن عددا من المصالح المنفصلة وبها عدد كبير من الموظفين وأنها كانت تسير على النظام المصرى أى أن الادارة فى النوبة كانت تسير على نفس الخطوط التي سارت عليها الادارة فى مصر ولا تكاد نجد اشارة لاسماء نوبية أو اجنبية بين اسماء الموظفين أى أن المصريين وحدهم هم الذين كانوا يديرون دفة الامور فى بلاد النوبة وأن مهمتهم كانت هى الاشراف على عمليات التعدين وتأمين طرق التجارة والحدود — ولا بد أنه كان هناك أيضا نوع من الضرائب فرض على النوبيين الذين كانوا يعيشون فى المنطقة الخاضعة لمصر .

ومما يسكن من أرفان، حصون النوبة التي شيدها ملوك الدولة الوسطى كانت تقوم بمهمتين .

١ — مهمة الدفاع .

٢ — مهمة تجارية اذ أنها كانت تستخدم كمراكز للتجارة أيضا الى

P.Smith, "The Semnah Despatches". in JEA 31. Pls I-VI (١)

جاناب المركز التجارى الذى كان قائما فى كرما .

وما زلنا حتى الان لانستطيع ان نؤكد ما ذكر ريزنر *Reisner* من ان سلسلة من الحكام المصريين كانوا يعينون فى كرما وكاوا يدفنون هناك وأن اولهم كان يدعى سابى زفاى من عهد سنوسرى الاول (١) فليس هناك من النصوص فى مصر أو النوبة ما يؤيد هذا الرأى (٢)

ولم يكتف ملوك هذه الاسرة هؤلاء الموظفين الدائمين فى النوبة بل كثيراً ما كانوا يرسلون بعض الموظفين فى جولات تفتيشية أو لتسجيل ارتفاعات الفيضان على صنخور قمة وسمنه .. ولا ريب فى أن إستتباب الامن بفضل يقظة المصريين ونشاطهم قد أدى الى كثرة البعث والرحلات التجارية التى لم تكن لتخلو من نفع كبير ومغامرات طريفة أو مخاطرات شيقة كان لها أثرها فى الادب المصرى مثل قصة الملاح الفريق .

استقرار النفوذ المصرى فى النوبة واثره

كان لاستقرار النفوذ المصرى فى النوبة اثره الواضح فى مظاهر الحضارة التى سادت فى ذلك العصر وخاصة فى تلك الجهات التى استقرت فيها طوائف مصرية فى التسلاخ والحصون وفى المركز التجارى بكرما

Reisner, Kerma II, 23 ff (١)

Asfour, op. cit., 114 & n, 254. p.p. 130-131 (٢)

حيث نشأت في تلك الجهات مراكز ثقافية مصرية احتكت بالثقافة المحلية أو بعبارة أخرى اتحاد الطابع المصري مع المواد المحلية فانتج اشكالا وأفكارا عجيبة في الصناعات المحلية ومن بين هذه الصناعات بعض المنتجات التي ذاعت شهرتها وانتشرت في أنحاء النوبة ومصر حتى وصلت إلى مصر الوسطى. (٣) فالفخار النوبي الأحمر المصقول ذو الحافة السوداء تناوله المصري بالتعديل وأنتج منه صنفا دقيق الحبيبات للغاية بعد أجل ما أنتج في وادي النيل وخاصة لان الفان المصري أنتج منه اشكالا رشيقة وزينت ببعض النقوش التي ملئت بمادة بيضاء واستمر استعمال هذه الاشكال في الفخار المصري فترة طويلة بعد ذلك كما تأثرت المنتجات النوبية ببعض العناصر المصرية حيث ازدادت أهمية صناعة القاشاني المصري (الفيانس) فصنعت منه أواني تشبه الاواني الفخارية في أشكالها وزينت بزخارف مرسومة باللون الأسود وبعض هذه الزخارف كان يشبه الزخارف المصرية في أن عناصرها أخذت من أشكال زهور وطيور وحيوانات ومن الخطوط الحلزونية وبعضها كان متأثرا في زخرفته بالفن الزخرفي النوبي كذلك وصلت تغطية الاحجار - وخاصة الكوارتز ببطقة زجاجية إلى درجة من الكمال لم تبلغها مصر - أما الاقمشة فقد نسجت على غرار الاقمشة المصرية واستعمل الخرز في

زخرفة الملابس ولكنه كان من النوع المحلى المصنوع من الوجداج كذلك كانت الزخارف التي استعملت في هذه الملابس مستوحاة من الاساليب المحلية ، ومن الملابس ما كان يزخرف بقطع من الميكال بنفس الاسلوب الذى كان يتبع في تعليم الخشب بقطع من المساج - ومع ان فن النحت كان مصريةا في صبغته فان المادة التي استخدمها الفنانون كانت محلية ولكن في نقوش الجمارين والاختتام استعملت الرسوم المصرية والرسوم المحلية على حد سواء .

وربما كان عدم ذكر الذهب كسلعة واردة من النوبة في عهد الدولة القديمة يرجع الى أن المناجحة لم تكن معروفة أو أن الكميات التي كانت تستخرج منه كانت قليلة يستغلها بعض الافراد لما تقدمت الخاصة ولذا لم يكن جديرا بالاهتمام وقد بدأ ذكر الذهب الوارد من النوبة في نصوص الاسرة الثانية عشرة ومنذ ذلك الحين أصبح هذا المعدن يمثل أهم الحاصلات النوبية التي كانت مصر تحرص على الحصول عليها وقد استغل في أغراض شتى فقد غطيت قوائم أسرة الموظفين المصريين الذين عاشوا في النوبة بالذهب وربما كان ذلك سببا في فقد الكثير من آثارهم لطمع لصوص المقابر فيها .

وبما يلاحظ أيضا على الصناعة في المناطق التي وجد فيها المصريون في النوبة ارتفاع التجارة اذ كانت قوائم الاسرة تنحت على هيئة سبتان

الثيران وتقطعم بالعاج أو البرنز وتزخرف برسم الزهور والمثلثات والنسور المحلقة والزراف المجنح وغير المجنح والغزلان والماعز التي كانت تمثل أحيانا وهي تأكل من بعض الشجيرات كما زخرفت برسم حيوانات أخرى مثل الضباع والخرتيت والفيله والتاسيح وغيرها من الحيوانات التي لم تكن موجودة في مصر ولا شك في أن هذه الصناعات كلها كانت من صنع فنانيين مصريين أو بأشرافهم على الأقل حيث استعملوا الاساليب المصريه والعمليات الفنية المحلية وأفادوا من أشكال الكائنات الغريبة التي شاهدوها لأول مرة في النوبة .

وقد استغل المصريون النوبيين الى أقصى حد في إنتاج المواد اللازمة لهم وأمكنهم مع هذا لم يعاملوهم بقسوة بل كان كل نوبي يؤدي الجزية أو يقوم بالسخرة أو الالتزام المفروض عليه يعامل بالحسنى^(١) وكانت الحاصلات النوبية من المواد الخشام تسلم في كوبان أما المواد المشفولة فكانت تسلم في قلعة لإكور التي كانت تقابلها في الجانب الغربي من النيل وكانت تقوم بمهمة مراقبة الوطنيين في تحركاتهم .

ومع كل هذا فقد اترف المصريون ببعض الآلهة المحلية وأدخلوها ضمن معبوداتهم التي شيّدوا لها المعابد أو المقاصير الى جانب الآلهة المصرية

Sève Soderbergh, op. cit. 71; ASA 39, 187 ff (١)

ومن أمثلة ذلك (ددون) الذى عبد فى سمنه (وخنوم) الذى عبد فى
قمة — كذلك عبد سنوسرت الثالث كإله للنوبة فى العهود التالية نظرا
لما قام به من جهود عظيمة فيها .

ولعل قسوة الطبيعة نسبيا فى بلاد النوبة هى السبب فى
تخلف أهلها ولذا أفادوا ثقافيا وأقتصاديا من وجود المصريين بينهم
وأحتكاكهم بهم حيث كان المصريون فى قلاعهم ومدنهم المحصنة
يستعينون بحيرانهم من النوبيين بل وكثيرا ما كانوا يلحقون بعضهم
بوظائف وأعمال مناسبة لتسهيل إقامتهم ولا شك فى أن كثيرا من
النوبيين كانوا يرتحلون من أماكن إقامتهم الأصلية ليعيشوا الى جوار
هذه المدن المحصنة بقية الارتزاق من الاتجار مع سكانها أو كسب معاشهم
عن طريق تادية بعض الخدمات لهم — كذلك كان التجار المصريون
والتجار النوبيون يلتقون فى الاسواق مثل إكن وأسوان وغيرها
ونظرا لان هؤلاء التجار كانوا يتنقلون بين مكان واخر ولأن
الموظفين كانوا فى حركة مرور دائمة ومعظم هذه الانتقالات كانت تتم
بواسطة القوارب فإنه كان لابد من استخدام البحارة المحليين الذين يمكنهم
تحاشي المناطق الخطرة أو الصعبة فى النهر وربما كان هؤلاء البحارة
بتعرضون لبعض المظالم ولكن هذه كانت دون شك تصرفات فردية
لم يشجعها كبار الموظفين ومع كل فقد تعلم النوبيون كيف يحصلون على

متفهمهم كما استهوتهم منتجات الحضارة المصرية كما تستهويهم الآن منتجات
المدينة الحديثة (١) .

وربما كانت الرغبة في أن يظل النوبيون في خشية من بأمس مصر
هى التى أدت الى ظهور التماثيل الضخمة لان ملوك الدولة الوسطى
أقاموا لانفسهم فى النوبة تماثيل من هذا الطراز لتوحى بالرهبة فى نفوس
أهلها من فراعنة مصر وحكامها ومن ذلك مثلا تماثيل ضخمة أقيم لسنوسرت
الثالث على الحدود الجنوبية عند سمنه رمزاً لقوته وتهديدا لاعدائه ولم
يشر على مثل هذا الطراز من التماثيل فى عهد الدولة القديمة الا على تماثيل
«لأوسركاف» أول ملوك الأسرة الخامسة ورغم كل ما سبقت الإشارة إليه
من هدوء الاحوال واستقرار النفوذ المصرى فى الجنوب فاننا نلاحظ
أن ذلك كان قاصراً على عهد الملوك الأقوياء .

أما اذا تراخت قبضة مصر فان النوبة لا تلبث أن تثور عليها أو
تسبب لها بعض المتاعب فقد وجدت لوحة بالكاب مؤرخة بالسنة ٤٤٤
من عهد إمنمحات الثالث جاء فيها أمر جلالاته ببناء جدار داخل حصن
شموتواوى (سنوسرت الثانى) (١) بما يوحى بأن سنوسرت الثانى
كان قد أقام حصناً فى تلك الجهة فضلاً عما وجد من حصون فى النوبة

السفلى وذلك زيادة في الحرص على تأمين البلاد . ولا شك في أن مايشير إليه (متوحتب) - الذى كان مشرفا على محاجر اليغانتين في عهد سنوسرت الثانى من أنه صدهجوم النوبيين المحليين على رجاله ... عما يرجح بأن سلطان مصر لم يكن مقبولا لدى الاهالى أو أن سيطرتها في ذلك العهد كانت ضعيفة الى حد ما (١) .

ويبدو أن الحالة في مصر وفي سائر أنحاء الشرق الاذن القديم قد أخذت في التحول نحو تبادل الاتصالات وتساكب المصالح مما جعل ملوك الاسرة الثانية عشرة يهتمون كل الاهتمام بتوسيع الحدود المصرية نحو الجنوب واقامة الحصون في شرق الدلتا ليؤمنوا الغارات المفاجئة التى قد تشنها بعض القبائل البدوية القريبة . ولا بد أن بعض المنظمات السياسية في غرب آسيا قد أخذت في الظهور وأن بعضها تبادلت مع مصر علاقات الصداقة والود كذلك لا بد أن مصر تمتعت بمركز ممتاز بين جيرانها بصفة عامة كما كان لها نفوذ اسمى على الأقل في جرد البحر المتوسط وخاصة في جزيرة كريت . ومع هذا فقد تعرضت لبعض الهجمات على حدودها من الطوائف الميالة لاثارة الشعب فقد تكررت المناوشات بين ملوك هذه الاسرة وبين الليبيين على الحدود الغربية كما أن الشعوب المعروفة باسم المجموعة ح، في النوبة لم تتوقف عن اثارة المتاعب في أغلب الظن الا بعد أن توالى عليهم ضربات ملوك هذه الاسرة .

Sir W. Budge, "The Egyptian Sudan", 1,539 (١)

د - عصر الاضمحلال الثانى وحكم الهكسوس

وكما هي العادة دائما ما أن تصل دولة الى ذروة مجدها ومنتهى قوتها
إلا وتبدأ بعد ذلك فى الانحدار فمع أن مصر ظلت قابضة على زمام
الامور فترة ما بعد نهاية الأسرة الثانية عشرة إلا أن ذلك لم يكن الا
موقتا بل ولم يتمتع ملوك ذلك العهد إلا بقوة ظاهرية فحسب إذ
عثرنا على كثير من الدمى والاوراق كتبت عليها أسماء الاشخاص الذين
يرغب الملك فى القضاء عليهم بواسطة السحر ^(١) (شكل ٤) .

ومن بين هذه الاسماء نجد أسماء لامراء ساميين ونوبيين ومصريين
أيضا مما يوحى بأن الاحوال قد ساءت فى الداخل والخارج على السواء
وأن الاخطار التى تهددت نفوذ الملوك كانت جسيمة شعروا بعبئهم
عن معالجتها بالطرق المعتادة ويبدو هذا واضحا فى التوجه الملك الى السحر
للقضاء على أعدائه بدلا من الوقوف فى وجههم واطلاق مكافحته لهم
صراحة .

(١) أنظر

K. Sethe, "Die Achtung Feindlicher Fürsten, Volker
und Dinge auf altägyptischen Tongefässescherben
des Mittleren Reiches", (Preuss. AK. Wiss .Phil. -
hist Kl., Abh. 1926, 5); G. Posener " - Princes-et
Pays - d'Asie - et de - Nubie " (Bruxelles - 1940) .

ورغم هذا الضعف الذى منيت به مصر فان نفوذها ظل قائما فى النوبة فى عهد ملوك الاسرة الثالثة عشرة مع أنها لم تكن صاحبة السلطان فى مصر بأكملها اذ نازعتها السيادة أسرة قوية كانت تحكم فى غرب الدلتا وقد أدعت الملك واتخذت « سخا » عاصمة لها . وهى المعروفة باسم الاسرة الرابعة عشرة .

وأول من وجدت له آثار فى بلاد النوبة من عهد الاسرة الثالثة عشر هو « سخم رع خوتاوى » ، أما الملك اتالى له فيبدو أن قبضته تراخت عن بلاد النوبة اذ لم يعثر له على آثار فيها أما اولئك الذين جاءوا من بعده فقد وجدت لهم بها آثار ضئيلة وأن كان الشك يساورنا أحيانا فى أن بعض تلك الآثار لا يرجع الى عهد هؤلاء الملوك .

ومن الملوك الذين ينسبون الى عهد الاسرة الثالثة عشر ملك يدعى نحسى وحيث أن كلمة نحسى باللغة المصرية تعنى « نوبى » أو « ساكن الاقليم الواقع فى جنوب مصر »^(١) فإن من المحتمل أن يكون هذا الملك ذو صلة بالنوبة ويرى بعض المؤرخين أن من المحتمل أنه كان من أم نوبية وقد

(١) JEA 7 , 124 -5

(٢) W. Hayes, "The Sceptre of Egypt I", 351, C, F, JEA 37, 58

Sir A Gardiner. "Egypt of The Pharaohs", 150 أنظر كذلك

وصف هذا الملك بأنه « محبوب الآلهة ست معبود أواريس » ، وحيث أن أواريس كانت عاصمة المكسوس كما كان ست المعبود الرسمي في عهدهم فإن هذا الملك كانت تربطه بهؤلاء صلوات وثيقة وربما كان معاصرا لهم أو بمعنى آخر ربما كان نفوذ المكسوس قد تغلغل في مصر ابتداء من أواسط عهد الأسرة الثالثة عشرة ويؤيد هذا أن كثيراً من أسماء ملوك هذه الفترة كان غريباً عن الأسماء المصرية ومنها ما كان ذو طابع سامي وهذا يدل على أن حكم المكسوس لم يأت في الغالب نتيجة لغزوة ساحقة بل كان على الأرجح نتيجة لتغير الحكام أو القادة في البلاد . (١)

وقد أخذ النفوذ المصري يضمحل في النوبة ابتداء من أواسط عهد المكسوس كما أخذت بعض العناصر المحلية هناك في الظهور والقوة إلى أن استقلت بحكم النوبة وعظم نفوذ هؤلاء الحكام حتى أن بعض المصريين ذهبوا إلى النوبة في ذلك العهد لخدمة بعض الأمراء الوطنيين ومنهم من كان يعود إلى مصر بشرة نظير خدماته هناك (٢) ومن المحتمل أن هذه القوى المحلية قد اتحدت في مملكة واحدة وأن إحدى الإمارات وصلت إلى درجة من القوة بحيث أصبحت تكون مملكة تهدد الحدود المصرية نفسها كما يستدل على ذلك من احتمال تحالف هذه المملكة مع المكسوس فيما بعد ضد البيت المالِك

JEA 37.56-61

(١)

Gardiner, op. cit., 155 ff

أنظر أيضا

Asfour, op. cit., 136

(٢)

المصرى في طيبة الذى كان يناضل من أجل الاستقلال فى أواخر عهد
الهكسوس . (١)

ومن الواضح أن منطقة الشرق الأدنى القديم تعرضت لآحدات
كثيرة متتالية خلال الألف الثانى قبل الميلاد فقد أخذت بعض العناصر
الهندوأوربية تظهر على مسرح الأحداث وكونت قوى سياسية هامة
مثل الدولة الحيشية فى آسيا الصغرى وميتانى فى أعلى الفرات — وفى نفس
الوقت الذى أشرفت فيه الدولة الوسطى على نهايتها تقريبا قضت بابل
على الممالك المجاورة لها وتطلع الكاشيون كذلك لغزو الأقطار المجاورة
لها بينما أخذ الحوريون Hurrians الميتانيون يستولون على بعض البلاد
السورية — ولا شك أن هذه الأحداث كانت لها مقدمات طويلة وأن
الظروف الطبيعية أو الاجتماعية أو السياسية أو كلها مجتمعة كانت قد
أخذت تشتد فى بعض المناطق فأخذ أهلها يهجرونها الى مناطق أخرى
كما سبق أن رأينا مثلا لذلك فى الجماعة السامية التى مثلت فى مقبرة خنوم
حطب التى جاءت الى مصر برعاية إيشاى (٢) — وعلى هذا يمكننا أن
نستنتج بأنه على الرغم من تحصين حدود الدلتا الشرقية فإن بعض
العناصر السامية كانت تدخل الى مصر أما للتجارة أو للاستقرار والظاهر

(١) Asfour, op. cit., 146-7

(٢) أنظر أعلاه ص ٤٤

أن ذلك لم يكن ليثير الريبة لدى المصريين في أول الامر ما دام هؤلاء
الوافدين من المسالين

ولا بد أن الهكسوس أصلا كانوا ينتمون الى أمثال هذه الجماعات
حيث أن إيشاي السابق الاشارة اليه قد أطلق عليه في نقوش مقبرة
خنوم حتب لقب حقاخاسوت أى حاكم البلاد الاجنبية وهذا اللقب
هو الذى أصبح علما على الهكسوس فيما بعد (١) .

وتاريخ الهكسوس في مصر وأن كان معروفا في جملته إلا أنه
ما زال غامضا في كثير من التفاصيل وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم
ملوكهم الى ثلاثة مجموعات :

الاولى منها تشمل ستة ملوك كونوا الاسرة الخامسة عشرة وحكموا
نحو ١٠٨ سنة وكونت المجموعتان التاليتان الاسرتين السادسة عشرة
والسابعة عشرة على التوالي وهما أقل أهمية ونفوذا من المجموعة الاولى .

وقد اختلف المؤرخون في مدى انتشار نفوذ الهكسوس وما زلنا
نجد صعوبة كبيرة في تفسير بعض الاحداث التي أشير الى حدوثها في
عهدهم - فمن المؤرخين من يرى أن الهكسوس على العموم لم يحكموا

(١) يلت السير الان جاردنر الانظار الى الخطأ الذى وقع فيه الباحثون إذ
ظنوا بان كلمة الهكسوس تعنى جنسا أو شعبا حيث أنها لاتعنى سوى «حاکم
البلاد الاجنبية» انظر Gardiner, op. cit., 15(r)

أى جزء من مصر إلى الجنوب من القوصية على الإطلاق وقد استندوا في رأيهم هذا على أن الآثار التي عثر عليها بأسمهم في جنوب القوصية كانت في جملتها آثارا يسهل نقلها والبعض يرى أن النفوذ المصري ظل قائما في النوبة حتى أوائل عهد الهكسوس بل وأن الملوك الثلاثة الأخيرين في المجموعة الأولى (الأسرة الخامسة عشر) حكموا مصر كلها والنوبة السفلى حيث وجدت لهم آثار موزعة في أنحاءها (٢) وربما كان غموض تاريخ هذه الفترة راجع إلى أن شدة كره المصريين لهؤلاء الهكسوس قد جعلتهم يحطمون آثارهم ويزيلون كل ما يذكر بهمدم .

ومهما كان الأمر فإن الهكسوس كأجانب كان من مهمهم أن يحطموا قوة المقاومة لدى المصريين ولو أدى ذلك إلى تشجيع قوى أخرى خارجية يهيمها أضعاف مصر ولذا لا نستبعد قيامهم بتشجيع القوى الوطنية وتأييد أمرائها في الحصول على استق سلاطهم فمن المعروف أن الأسرة السابعة عشرة للهكسوس كانت تعاصرها أسرة أخرى حاكمة في طيبة يمكن أن نطلق عليها اسم الأسرة السابعة عشرة

F. W, von Bissing, " Das angebliche Weltreich (١) der Hyksos (Archiv für Orientforschung XI). Berlin 1936 - 7. pp 326 - 335; P.C, Labib "Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten und ihre Sturz, 18 ff;

JEA 7, 62-4

(٢)

المصرية وقد بدأت هذه الاسرة كفاها ضد الهكسوس واستمات
افرادها في ذلك حتى تمكنوا من النصر في النهاية وقد عثر على لوحة من
الخشب عرفت باسم لوح كارنارفون وهي عبارة عن نسخة من لوحة
أصلية تحكي قصة بدء الصراع بين الهكسوس وبين كاموزا أمير طيبة
ومن الاشارات الواردة فيها تتبين مدى القلق الذي كان يشعر به الامراء
المصريون اذ يرون الاجانب يحكمون في الدلتا ويحكم النوبيون الى الجنوب
من مصر ولم تكن هذه الاشارات واضحة تماما ولكن العثور اخيرا
على لوحة في الكرنك نقش عليها نص لكاموزا قد أوضح بعض
الغموض في هذه العبارات حيث نفهم من هذه اللوحة الاخيرة
ان الهكسوس كان لهم نفوذ في النوبة وأنهم اعتمدوا على النوبيين
في بعض مراحل حرب المصريين ضدهم وأنهم كانوا يأملون في ان
يهاجم النوبيون المصريين من الجنوب بينما يشن الهكسوس عليهم حملة
كبرى حاسمة ولكن امر هذه المؤامرة التي اراد ملك الهكسوس تدبيرها
قد اكتشف واستطاع كاموزا ان يقضى على هذه المحاولة (١) .

ولاشك أن جماعات كبيرة من تلك التي كان ينتسب لها الهكسوس
كانت تعيش في أما كن مختلفة من سوريا وفلسطين ومن المحتمل أن
أقرب المجموعات لهم تلك التي كانت تستقر في « شاروهين ، لأن

Asfour, op. cit., 146-7.; Chr, d'Ég. 30, 198 ff (١)

المكسوس حينما طردوا من مصر لجأوا الى هذه المدينة واستطاعوا أن يتحصنوا فيها لمدة ثلاثة سنوات كذلك لاشك في أن بعض حكام المكسوس وصلوا الى درجة عظيمة من القوة وامتد نفوذهم في جهات كثيرة خارج مصر ومن أعظم هؤلاء الحكام الملك «خيان» حيث عثر على آثار له في كثير من جهات مصر وسوريا وفلسطين ووجد تماثيل لأسد نقش عليه اسمه عند أحد التجار في بغداد وعلى غطاء آنية من المرمر باسمه كذلك في حفائر كريت بما يرجح أن النشاط التجارى في عهده كان عظيما وأن مصر كانت على صلة بمختلف الجهات التي عثر على آثاره فيها .

ولا ندرى كيف انكشف ملك المكسوس وأصبح المصريون يتطلعون الى طردهم وخاصة لأن ازدياد قوتهم وظهورهم على مسرح السياسة كان قد سبب اضطرابا في أحوال مصر بصفة عامة وجعلها تمر بفترة عصبية من الفوضى والقلق واضطر بعض الأمراء المصريين الى النزوح الى النوبة للعمل في خدمة بعض أمراءها المحليين كما سبقت الإشارة الى ذلك (١) إذ أن النوبة حينئذ كانت قد تخلصت من النفوذ المصرى واستقل بحكمها بعض أمراءها المحليين - وفي نفس الوقت كان الأمراء المصريون الذين أجبرتهم الظروف على مجابهة بعض الاخطار في أقاليمهم

(١) أنظر أعلاه ص ٦٢ .

يستعينون بالكثيرين من أبناء النوبة حيث استخدموهم كجنود مرتزقة .
وقد استقر معظم هؤلاء في مصر إذ عثرنا على جباناتهم ومقابرهم
منتشرة في مصر العليا وبلغ من انتشارها أنها امتدت شمالا الى رفه
Rifeh وتتميز هذه المقابر بأنها على هيئة الناقوس أو الكأس المقلو به
ولنا عرفت لدى الاثريين باسم Pan-graves وقد استمر المصريون
في الاستعانة بالمرتزقة النوبيين في حرب استقلالهم ضد الهكسوس وما
بعدها الى نهاية العصور الفرعونية .

ولا شك في أن الهكسوس بعد أن استقروا في مصر أخذوا يوطدون
صلاتهم بالجهات التي جاؤا منها ومن المحتمل أنهم كانوا يسيطرون على
الجهات المجاورة لمصر في جنوب فلسطين أو أن نفوذهم فيها كان معترفا
به على الأقل لأنهم بعد خروجهم من مصر استطاعوا أن يتحصنوا في
بلدة شاروهين في جنوب فلسطين لمدة ثلاثة أعوام - هذا ويمكن أن نستنتج
أن حوض النيل الأدنى في نهاية عهد الهكسوس كانت تتنازعه ثلاثة
قوى رئيسية (١) هي :-

(١) مملكة الهكسوس وكانت تتحكم في الدلتا ومصر الوسطى الى
منطقة القوصية جنوبا .

(ب) مملكة طيبة وكانت تمتد من القوصية الى اليفانتين جنوبا
تقريباً .

(ج) مملكة النوبة وكان يحكمها أمير نوبي أمتد نفوذه الى اليفانتين
شمالاً .

ويبدو أن ملوك طيبة قبل أن يبدأ ضراعهم ضد الهكسوس كانوا
أشبه بولاة من قبل الهكسوس فقد وردت أسماء ثمانية ملوك طيبين
قبل «سقن رع» الذى عرف بكفاحه ضد الهكسوس ويحتمل أن
سلفه هو الذى بدأ العصيان ولكن الأجل لم يممه طويلاً فأخذ «سقن
رع» على عاتقه مهمة الكفاح ومن المرجح أنه استشهد فى القتال ثم تبعه
كاموزا الذى أخذ يناضل ضد كل من الهكسوس والنوبيين واتصر على
كل منها (١) .

ولم يمهل القدر كاموزا حتى يجلى الهكسوس عن مصر ولكنه على
أى حال تمكن من أن يمهّد لذلك حيث تم طردهم على يد خليفته أحس .
كذلك كان انتصار كاموزا على النوبيين ساحقاً إذ أنه لم يكف بإبعاد
خطرهم عن الحدود المصرية — التى كانت قد تراجعت خلال حكم
الهكسوس الى الشلال الأول (١) — وإنما توغل داخل بلادهم ومد

(١) أنظر ملاحظة نمرة ٩ ص ٦٦ .

(٢) أنظر أعلاه Junker, "Tell-el Yahudiye Vase", 136,

حدوده الى وادى حلفا تقريبا .

ويمثل الكفاح بين مصر والمكسوس بداية عهد جديد في العلاقات بين مصر ودول البحر المتوسط إذ أن مصر رغم استعمارها ابلاد النوبة في عهد الدولة الحديثة لم تنفرغ بكليتها الاضطلاع بمسئولياتها في النوبة وشمال السودان بل نجدها أخذت تورط في مشاكل الدول المطلة على البحر المتوسط في جنوب غرب آسيا والدول المجاورة لها وذلك على أثر فتوحها في تلك الجهات فهد حاولت الابقاء على سيطرتها وسيادتها هناك في حين أخذت بعض الشعوب المغلوبة على أمرها تحاول التخلص من السيادة المصرية بينما ظهرت في تلك المنطقة قوى جديدة أخذت تنازع مصر سيادتها واستمر الحال كذلك فترة طويلة فا أن تختفي إحدى هذه القوى أو يقضى عليها ألا تظهر قوى أخرى ناهضة يشتد خطرهما على الممتلكات المصرية ولم تتمكن مصر - بعد طسول الصراع - من الاحتفاظ بممتلكاتها في تلك الجهات وقد فقدت الكثير من إمكانياتها في هذا الكفاح حتى انتهى بها الأمر الى الضعف التام وعجزت حتى عن الدفاع عن نفسها .

وينبغى أن لاينيب عن الذهن أن المصريين عرفوا تلك البلاد المطلة على البحر المتوسط منذ أقدم العصور ولكن علاقاتها بها لم تكن لتتعدى علاقات التبادل التجارى في عهد الدولتين القديمة والوسطى وفي بعض

الأحوال النادرة قامت علاقات الود والصداقة بين بعض الفراعنة وبين
امراء بعض تلك الجهات فمن المرجح أن مصر كانت على صلة بجزر
البحر المتوسط أيضا وأن هذه الصلة قد ازدادت في نهاية عهد الهكسوس
وربما كان الحقد على الهكسوس يجمع بين المصريين وبين سكان تلك
الجزر حيث نجد أن أحسن الذي قام بطرد الهكسوس بشيد بفضل والدته
في الكفاح ضد الهكسوس قاتلا و امدحوا سيدة البلاد وسيدة جزر
البحر المتوسط فإسمها ميجل في جميع البلاد الأجنبية وهي التي تضع
الخطط للناس الخ^(١).

كما أن خنجر هذه الملكة وبعض حلبيها التي عثر عليها في مقبرتها يبدو
فيها التأثير بفن جزر بحر إيجه بل ويذهب البعض إلى أن هذه الملكة
كانت أصلا من كريت ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا الزعم وإنما يحتمل
أن علاقات الود كانت قائمة بين مصر وكريت في ذلك الوقت ولا يستبعد
أنهما كانتا متحالفتين أو أن أهل كريت - لحقدهم على الهكسوس لامر
ما - قاموا بمعاونة المصريين في كفاحهم .

Urk. IV, 14-24, BAR. II, §§ 29-32

(١)

هـ - الدولة الحديثة

(سنة ١٥٨٠ - سنة ١٥٩٠ ق . م) تقريبا

الأسره الثامنة عشرة (سنة ١٥٨٠ - سنة ١٣٢٠ ق . م)

بعد وفاة كاموزا تبعه أخوه أحس الذى استمر فى النضال ضد الهكسوس حتى سقطت عاصمتهم أواريس فى يده و تبعهم إلى فلسطين حيث حاصروهم فى شاروهين لمدة ثلاثة أعوام إلى أن سقطت فى يده هى الأخرى ولم يكتف أحس بذلك بل قام بحروب أخرى فى النوبة إذ وجدت آثار من عهده تثبت أنه توسع فيها إلى « ساي » (١) التى أخضعها لسلطانه حيث يرجح أنه شيد قلعة هناك .

ولابد أنه بعد أن اطمأن على زوال خطر كل من الهكسوس والنوبيين أراد أن يضع دعائم إدارة الجهات التى استولى عليها خارج مصر حيث نجد أنه عين « أحس بن تا ايتس » حاكما عسكريا على النوبة بينما أسند الشؤون الإدارية والمالية فيها إلى أمير نخن « اقليم الكاب » (٢) ومنذ ذلك الوقت أخذ الفراعنة ينظرون إلى النوبة كجزء متمم لمصر يجب الاحتفاظ بها تحت سلطانهم ولم يكتفوا باحتلالها أو ترك حمايات عسكرية بها للحفاظ على مواصلاتهم مع الجهات المدارية - التى كانت تعدم

Asfour, op. cit., 148 ff.

(١)

ibid., 172-3

(٢)

بالكثير من السلع التي يحتاجونها - بل استعمروها واتبعوا في ادارتها نفس الاساليب التي اتبعت في ادارة البلاد المصرية .

وما تجدر الاشارة اليه أن حروب مصر مع الهكسوس قد أدت الى ظهور فئة ممتازة من المحاربين المصريين الذين تقاتلوا في خدمة ملوكهم وسجلوا ما قاموا به جلائل الاعمال على جدران مقابرهم وافتخروا بتقدير ملوكهم لهم وقد طال الأجل لبعض هؤلاء فظفوا في الخدمة العسكرية خلال حكم بضعة ملوك متعاقبين وكانت النقوش التي تركوها خير معين لنا في معرفة الكثير من المعلومات عن عهد الدولة الحديثة ومن بين هؤلاء الرجال قائدين من قواد أمس وأحدهما يدعى « أمس بن أبانا ، والثاني هو « أمس بن نخبت ، أي « أمس المنتسب الى نخبت (١) .

وقد اشترك هذان القائدان في حروب أمس ضد الهكسوس وفي النوبة كما أنها اشتركا في الحروب التي شنها أمسب الأول (خليفة أمس) حيث يذكر لنا « أمس بن أبانا ، في نصوصه أنه قاد هذا الملك في عودته من حملته التي قام بها (في السنة السابعة من حكمه) في بلاد النوبة واستطاع أن يجعله يصل الى مصر من منطقة « البئر العاوى ، في يومين فقط — ولا نعرف موقع هذه المنطقة ولكن من المرجح أنها

(١) « نخبت » هي السكاب الحالية في الوجه القبلي وفي مواجهتها على الضفة الغربية للنيل تقع « نخن » كذلك أطلق على إلهة الوجه القبلي التي في هيثة القاب اسم « نخبت » وأطلق اسم نخن على الأقليم كله .

كانت في قلب الصحراء وربما كان سبب الحملة المشار إليها هو حدوث ثورة من القبائل التي كانت تعيش على حافة الصحراء .

وتعير نصوص أحد الكهنة إلى أن نفوذ هذا الملك وصل إلى منطقة «كاراي» ، أي إلى قرب نباتا أو مروى الحالية عند الشلال الرابع إلا أننا لا نستطيع أن نؤكد ذلك بل ومن العسير أن تتصور وصول نفوذ مصر إلى هذا المكان البعيد في بداية عهد الدولة الحديثة وهي ما زالت في أول عهدها بالتوسع الخارجي على أثر طرد الهكسوس — وكذلك تشير نصوص أحسن بن نخبت إلى غزوة ليبية من عهد هذا الملك أيضا ولكن هذه النصوص لا تبين في أي جهة من ليبيا وقعت هذه الغزوة — والظاهر أن الأمن أصبح مستتباً في داخلية البلاد كما هدأت الحالة خارج الحدود لأن امنحتب تفرغ بعد ذلك للأعمال السلمية .

ولم يترك امنحتب وريثاً للعرش وتبعه تحتتمس الأول الذي بدأ حكمه بإصدار مرسوم ينيء عن اعتلائه للعرش وقد أمر « ثوري » الحاكم المصري على النوبة في ذلك الحين أن يعلن ذلك للملأ وربما كان في هذا إشارة إلى حدوث بعض النزاع على الملك قبل أن تستقر الأمور لتحتتمس الأول الذي ما كاد أن ينتهي منه إلا وقام في السنة الثانية من حكمه بحملة إلى النوبة وصل فيها إلى إقليم كاراي (نباتا) وإن كان بعض المؤرخين يرجح أنه تقدم إلى أبعد من ذلك كثيراً ومد حدوده إلى كورجوس (جنوب أبو حمد) أو إلى مروى القديمة جنوب الشلال

الخامس (١) إلا أن من العسير اثبات ذلك بصفة قاطعة - ومهما يكن من أمر فإن تحتمس الأول توغل الى جهات أبعد من تلك التي وصل إليها أسلافه والظاهر أنه كان يهدف الى إخضاع النوبة تماما للسيادة المصرية ولكني يضمن سهولة الاتصال بها أمر ثوري بتطهير مجرى النيل عند الشلال الأول كما أن استيلاء تحتمس الأول على منطقة الشلال الثالث يوحى بأنه أراد أن يتصل اتصالا مباشرا بالمناطق الغنية التي كانت ترد منها الحاصلات الى مصر لأنه بتطهير مجرى النيل عند الشلال الأول وإخضاع منطقة الشلال الثالث التي يصعب اجتياز النيل فيها تمكن من أن يتحكم في طرق المواصلات البرية والنهرية على السواء .

ولم تقتصر جهود تحتمس الأول على المناطق الواقعة في جنوب مصر بل نجده كذلك يهتم بالجهات الشمالية حيث مد حدوده الى منحنى الفرات ووضع هناك لوحة تشير الى تثبيت حدود مملكته عند هذا المكان أى أن المملكة المصرية في عهده كانت تشمل الجهات الممتدة

(١) ثبت هذا الملك حدوده عند كورجوس على الأرجح ولكن لاشك في أن ما ذهب إليه آركل من أن هذا الملك وصل الى مروى بالقديبة بعيد الاحتمال -
تارن : -

Arkell in JEA 36,36 - 8, "A Hist. of the Sndan" 84-6;
Asfour, op. cit., 151 - 2; nos 134 - 6, pp. 198 - 200

من الشلال الرابع - على الأقل - في الجنوب الى منحى نهر الفرات في الشمال .

ويشير تحتمس الأول الى أنه ذهب الى الجهة التي أقام فيها لوحته على الفرات لكي يتسلى بصيد الفيلة وقد ذكر بعض الملوك التاليين له أنهم قاموا بنفس العمل في تلك الجهة مما يدل على أن حوض الفرات الأعلى ظل حافلاً بالأحراش الى عهد الدولة الحديثة .

ويبدو أنه لم ينتج من زوجته الشرعية ولدا يرث العرش مما سبب انقساماً بين رجال القصر وحيكت المؤامرات التي تدخلت فيها طوائف مختلفة أهمها كهنة آمون وبعض أفراد الحاشية ولا بد أن أمر هذه الانقسامات والمؤامرات قد عرف في بلاد النوبة إذ قامت فيها ثورة حاول خلالها الأمراء المحليون أن ينفصوا عنهم سلطان مصر فأرسل تحتمس الثاني (الذي اشترك مع اخته وزوجته حتشبسوت في الحكم بعد تحتمس الأول) حملة قامت باخضاع الثورة وأحضرت بعض الرومان الى مصر كان من بينها ابن أحد الزعماء .

وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن تلك الحملة وصلت في تقدمها الى جبل البرقل ولكن لا يوجد من الأدلة ما يؤيد هذا الزعم^(١) كذلك

Wilkinson, " Topography of Thebes " (London (١) 1835), 472; Save Soderbergh, op. cit., 148

يحتمل أن ثورة قامت في شرق مصر فأدبتها جيوش تحتمس الثاني ونعمت مصر بالهدوء والاستقرار في بقية عهده القصير الأجل وطوال حكم حتشبسوت ولذا اكتفت هذه الملكة بتوجيه نشاط الدولة الى التجارة والأعمال الانشائية وأرسلت حملة الى بونت جلبت منها البخور وأشجار المر وبعض حاصلات المناطق الاستوائية وقد افتخرت حتشبسوت بهذه الحملة فدونت نقوشا تمثلها - في ذهابها وعودتها والحاصلات والسلع المختلفة التي جلبتها - على جدران معبدها في الدير البحرى .

وما أن انفرد تحتمس الثالث بالحكم بعد وفاة حتشبسوت إلا واستأنف جهود مصر الحربية والظاهر أن العهد السلمى الطويل الذى لم تر فيه البلاد الأجنبية جيوش مصر (أنشاء حكم حتشبسوت) قد جعل تلك البلاد تميل الى الثورة أو التخلص من السيادة المصرية ولذلك نجد تحتمس الثالث يبادر بالذهاب في حملة الى فلسطين حيث اتحدت بعض الإمارات بزعامة أمير قادش على الخروج على الحكم المصرى واتجهت بقواتها نحوه مجدوا استعدادا لملاقاة تحتمس الثالث حين علت بخروجه اليها ولكن الملك المصرى بعد أن وصل الى بلدة ديوحم ، - استطاع أن يفاجئ أعداءه إذ وصل اليهم عن طريق لم يتوقع أحد أنه سيسلكه فى الوصول الى مجدو ثم هاجم الأعداء وانتصر على المدافعين

عن المدينة ولكن انشغال المصريين بالفتناتم أتاح للأعداء فرصة للاحتيا
داخل أسوار المدينة واضطر المصريون الى حصارها سبعة أشهر الى أن
استسلمت ولكن أمير قادش تمكن من الفرار بينما قدم بقية الزعماء
ولاهم لتحتمس الثالث الذي تقدم شمالا وأخضع بقية البلاد الفلسطينية
كلها فيما عدا ثلاثة مدن يبدو أنها كانت شديدة المقاومة .

وتفسر لنا هذه الحملة الوضع في منطقة حوض البحر المتوسط
الشرقي إذ من المرجح أنها كان ينقسم الى عدة أمارات يحكم كل منها
زعيم أو أمير وكانت هذه البلاد على شيء غير قليل من التراء لأن من
بين الفتناتم التي وقعت في يد المصريين هربات حربية مصفحة بالذهب
وأواني فضية وذهبية وأخشاب ثمينة مصفحة بالفضة .

وقد أحس تحتمس الثالث بحرص تلك الامارات على استقلالها
وانها سوف تتنهر الفرص للتخلص من السيادة المصرية فعمل على أن
يوالى نشاطه فيها واستمر يذهب اليها كل عام تقريبا في أوائل الصيف
ويعود عند اقبال الشتاء الى أن بلغت حملاته على تلك البلاد ستة عشرة
حملة كان ينظم خلالها شئونها ويشرف على تنفيذ ما كان يأمر به من
أعمال انشائية وفي خلال حملاته الخمسة الأولى كان يستولى على بقاع
جديدة مظاهرا بالرغبة في الوصول الى نهر الفرات ولكنه في واقع
الامر كان يهدف الى الاستيلاء أولا على قادش حتى يقضى على روح
التردد في تلك الجهات وقد تمكن من اخضاعها في حملته السادسة بعد أن

تعاون أسطوله مع الجيش البرى وكان قد أعد بعض الموانى السورية لكي تكون قواعد للاسطول الذى قام بتموين الجيش ونقل المدد اليه — وفى حملته الثامنة استطاع أن يصل الى الفرات حيث استولى على مدينة — قرقيش وأقام لوحة على ضفة النهر الى جوار لوحة جده تحتمس الاول.

ولا شك فى أن ضعف الامارات السورية والفلسطينية واخضاع مصر لها قد جعل الدول الفتية التى ظهرت فى غرب آسيا تحاول أن يكون لنا شيء من النفوذ فى تلك الامارات — وهذه الدول الفتية كان يؤثر فى علاقاتها بمصر عاملان . عامل الحقد أولا ثم عامل التزلف ثانيا أما عامل الحقد فقد كان مرجعه أن تلك الدول كانت تظن بأنها تقربها من الامارات التى فى شرق البحر المتوسط اولى من مصر فى التسلط عليها ولكن ظهور قوة تحتمس الثالث على هذه الهيئة وضرباته الساحقة للامارات المتحالفة وعدم وقوف قوة أمامه أدى الى احترام تلك القوى الفتية لمصر وقوتها ولذا بدأت فى التزلف الى العاهل المصرى وأخذت تحطّب وده ولكن ما لبثت بعض تلك القوى أن غيرت بعد ذلك سياستها واتجهت الى مناوأة السلطان المصرى ولو بطريق غير مباشر — فن المعروف أن مملكة ميتانى كانت من بين الدول القوية فى غرب آسيا فى عهد تحتمس الثالث وأنها كانت تتحكم فى منتصف الهلال الخصيب تقريبا ولكنها قدمت ولاءها وهداياها لتحتمس الثالث على أثر حملته الثامنة كما أن مملكة الحيثيين المجاورة لها من الغرب — أى الى شمال سوريا

وشمالها الغرب في شبه جزيرة الأناضول قدمت اليه الهدايا الثمينة أيضا طلبا لصداقته وكذلك فعلت ممالك آشور و بابل وبذلك أصبحت مصر هي الدولة الأولى في الشرق الأدنى القديم وصاحبة النفوذ في غرب آسيا وكان أسطولها القوي يضع ثغور فلسطين وسوريا تحت رحمته .

وكانت آخر حملات تحتمس الثالث هي تلك التي قام بها في السنة الثانية والأربعين من حكمه لأن مدينة قادش أعلنت العصيان من جديد وقد عاونها في ذلك ملك ميتاني وأمير تونيب ولكن تحتمس استطاع أن يحطمها للمرة الثانية وبذلك قضى على كل معارضة للنفوذ المصرى في تلك الجهات لأننا نعلم أن تحتمس الثالث عاش بعد هذا نحو اثني عشر عاما لم يحدث أن اضطر خلالها الى الذهاب الى هناك .

ولم تكن الحالة في جنوب مصر مماثلة لما كان سائدا في الشمال حيث ظلت بلاد النوبة على هدوئها طوال مدة حكمه وتشير الحوليات التي دونها في السكرنك الى ورود جنوبيتها بانتظام ابتداء من الوقت الذي قام فيه بحملته السابعة في سوريا الى أن قام بحملته الأخيرة فيها إلا أن لوحة وجدت في جبل البرقل تشير الى قيام مصر ببعض النشاط العسكري في بلاد النوبة في السنة السابعة والأربعين من حكمه ولكن من المحتمل أنه لم يقم شخصيا بهذا النشاط بل تولاه بعض قواده أما الحملات التي يرجح أنه قام بها شخصيا في هذه الانحاء فهي تلك التي كانت في السنة الخمسين

من حكمه (١) .

ولا شك أن تحتمس الثالث يمثل شخصية فذة في التاريخ المصرى القديم فالى جانب كفاءته الممتازة كقائد عسكرى أثبت عن جدارة أنه كان حاكما عنكنا استطاع أن يحكم امبراطورية شاسعة وأن يشرف على كل شئونها ويعرف ما يحدث فى مختلف أرجائها كما أنه اتبع من الوسائل السياسية ما يمكن أن نعتبره آخر صيحة فى الدبلوماسية الحديثة إذ كان يحضر أبناء أمراء البلاد التى أخضعها لتبشيتهم فى مصر حتى يشبوا على حبها وصدقتها فإذا ما قدر لهم أن يخلفوا آباءهم فى ولاية حكم تلك البلاد لم يبدوا مقاومة أو معارضة للنفوذ المصرى (٢) . كذلك حاول تحتمس الإفاذة من كل مشاهداته وما مر به فى البلاد الأجنبية إذ كان يهدف للإصلاح ما أمكن فنجدته مثلا يدخل إلى مصر كل ما وجدته صالحا من حيوانات أو نباتات غريبة وربما كان يدخل إلى البلاد الأجنبية

(١) تشير لوحة جبل البرقل المؤرخة بالسنة السابعة والأربعين من حكمه الى حدوث نشاط حربى مصرى ولكن ليس من الضرورى أن يكون الملك قد اشترك شخصيا فيه وخاصة لأن نقشا فى التلال الاول يشير الى عودته المظفرة من حملته فى السنة الخمسين من حكمه وليس من المقول أن يكون قد أمضى ثلاثة أعوام فى حملته بالسودان — عن هذه النصوص المشار إليها أنظر : —

ZAS 69, 24 ff; Urk. IV, 1228 — 1243 Urk. IV, 814

Urk. IV, 690, 2 - 4 (٢)

أيضا من الحيوانات والنباتات المصرية ما يراه صالحا للنمو فيها — ومن المرجح أنه لم يمانع في وجود بعض الأجانب في مصر وربما شجعهم على القدوم إليها لأننا نرى أن بعض مظاهر الفن والحضارة التي كانت سائدة في سوريا وبلاد ما بين النهرين أخذت تظهر في مصر هذا فضلا عن أنه كان حاكما منصفًا يكافئ المتمازين من رجاله ويقدر أسلافه إذ تشير نصوص كثيرة من عهده إلى مكافأته لرجالهم وإلى أنه خلد سلفه سموسرت الثالث واعتبره إلهًا حاميًا للنوبة ومن النقوش التي حفلت بها جدران المقابر يمكن أن نتبين الكثير من مظاهر الرأى وارتقاء الفنون مما يدل دلالة أكيدة على مقدار ما كان يرد إلى مصر من خيرات البلاد الأجنبية كما نستنتج أن علاقات مصر بقبصرص وكريت ومنطقة حوض البحر المتوسط الشرقي كانت علاقات ود وصدقة وأن هذه البلاد وسائر بلاد الشرق الأدنى القديم القوية كانت تخطب ود مصر — وكان نشاط تحتمس الثالث في الأعمال الإنشائية لا يقتصر على مصر وحدها بل وجدت له آثار في بلاد النوبة ولا يستبعد أنه قام بتشييد بعض المباني في البلاد الآسيوية الخاضعة له كذلك .

وقد تولى بعده أمنحتب الثاني الذي نشأ في عهد كانت مصر فيه في غاية مجدها العسكري وقد عني والده بتربيته تربية عسكرية خالصة ولذا نجد أنه لم يكفد يسمع برغبة بعض الولايات السورية الشمالية في الانفصال عن مصر حتى تقدم نحوها على رأس جيشه وهزم الثائرين وأحضر سبعة

أمراء من المدن السورية إلى طيبة حيث قتل ستة منهم هناك أما السابع فقد أرسله ليشنق في نباتا مقر الآلهة آمون في النوبة حتى يكون عظة لأهلها وبذلك احتفظ بهيبة مصر وأخذت البلاد الأجنبية ترسل له هداياها - ومع هذا فقد حدثت في السنة التاسعة من حكمه فتنة صغيرة في فلسطين ولكنه لم يكتف بالقضاء على الفتنة فحسب بل استغل الفرصة وقام بحملة تفتيشية في فلسطين وسوريا ومن الواضح كذلك أنه لم يكتف بالمحافظة على نفوذه في النوبة بل توسع فيها حتى وصل بحدود الممتلكات المصرية إلى أبعد من تلك التي كانت عليها في عهد أسلافه .

ومن المحتمل أن خليفته تحتمس الرابع لم يكن الوريث الشرعي للعرش ومع ذلك أثبت أنه كان جديرا بالحكم فقد قام في بداية عهده باخماد الثورة التي نشبت في بعض المدن السورية (أنظر شكل ه) كما ذهب في حملة إلى السودان حيث قضى على الثورة التي اندلعت بها كذلك .

ونظراً لأن الأحوال السياسية كانت تتطور في غربي آسيا منذ عهد امنحتب الثاني - حيث اشتد التنافس بين ممالك ميتاني وبابل وآشور وحيثنا (المملكة الحيثية) - فإن ميتاني وجدت أن خير ما تفعله هو أن تزيد من تقربها لمصر وخاصة حينما شعرت بأن خطر الحيثيين أصبح يهددها - وقد شجع تحتمس الرابع هذا التقارب ودعمه بزواجه من ابنة ملك ميتاني وربما كان التقارب بين المصريين وبين جيرانهم في آسيا قد بلغ حداً جعل تأثير الدم الآسيوي في البيت المالكي واضحاً وأدى إلى ادخال الليونة والنعومة بين أفرادها كما جعلهم يقبلون

على اللذات وينصرفون تدريجياً عن الروح العسكرية التي كانت مفخرة أسلافهم . ومن المرجح كذلك أن الغنى الفاحش وحياة البذخ التي تعودها المصري بعد تدفق خيرات البلاد الأجنبية إليه كان من الأسباب التي مهدت لاضطراب الأمور فيما بعد وربما كانت من أقوى الأسباب التي أدت إلى تغير أفكار الملوك الدينية فنذ عهد تحتمس الرابع نجد اتجاهها نحو أحياء عبادة « رع » ، و « حور آختي » ، وظهرت إشارات إلى قرص الشمس كمعبود باسم « آتون » ، ويعد تحتمس الرابع أول من رمز لهذا المعبود بقرص الشمس وهي تعطى الحياة وهذا الرمز هو الذي اتخذته فيما بعد حفيده اختاتون .

ويعد عهد امنحتب الثالث . خليفة تحتمس الرابع — العصر الذهبي لمصر القديمة في نظر كثير من المؤرخين ولكن بما لا شك فيه أن هذا العهد وإن كان أزهى عصور الدولة الحديثة في مصر — لما تمتعت به من هدوء ورخاء — فإنه من جهة أخرى يمكن أن يعد نذيراً بحلول الانحدار ومقدمة للضمف والانهار الذي حل بمصر فيما بعد إذ من المؤكد أنها لم تستطع في أي عهد من العهود التالية أن تصل إلى ما وصلت إليه حينئذ فلم يعكر صفو مملكته متاعب أو حروب ملحة ولا نكاد نجد ما يدل على خروجه في حملة حربية إلا في السنة الخامسة من عهده حيث ذهب إلى النوبة وتوغل فيها كثيراً حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه وصل إلى العظبرة ولكن من العسير تأكيد ذلك إنما لا شك في أنه كان يحكم النوبة إلى منطقة الشلال الرابع على الأقل — ومع كل فإن من اليسير أن

نستنتج بأن ملوك الدولة الحديثة بصفة عامة أخطأوا في سياستهم الخارجية خطأ فاحشا إذ أنهم رغم نجاحهم في استعمار النوبة وتمصيرها والحصول على أكبر قدر من المواد الخارجية منها اهتموا في سياستهم اثنائهما بالغنا بالشمال وأخذت مصر في عهدهم تندمج في تيار دول جنوب غربي آسيا وكان ذلك سببا في إهمال شأن الجنوب تدريجيا أي أن مصر لم تلتمت الى المحافظة على ذلك الجزء المتم لها وتورطت في الدخول في منازعات ومشاكل جنوب غربي آسيا وبذلك أنهكت قواها ومواردها إلى أن انتهى الأمر بوصولها الى درجة من الضعف جعلت بعض الدول القوية فيما بعد تتطلع الى الاستيلاء عليها .

وكان من الطبيعي إذ وجد أمنحتب الثالث نفسه يحكم مملكة مترامية الأطراف وتمتع بالهدود والسكينة أن يقبل على حياة الترف وأغرم بالصيد والإقبال على اللذات حتى أنه لم يجد غضاضة في أن يتزوج من غير البيت المالك حيث تزوج بالملكة دتي، وكان لهذا أثره في تطور الافكار إذ يبدو أن هذه الملكة كانت قوية النفوذ أخضعت أمنحتب الثالث لسلطانها حيث نجد أنها تذكر معه دائما على الآثار كما مثلت الى جواره بالحجم الطبيعي أو في تماثيل كبيرة الحجم وقد شيد لها قصر في الضفة الغربية للنيل الحق به بحيرة للزخمة في قارب أطلق عليه اسم «إشراق آتون» ولما كان من المشكوك فيه أن هذه الملكة ترجع الى أصل آسيوي¹¹¹ كما أن البيت المالك في عهد تحتمس الرابع قد

اختلطت دماؤه بدماء آسيوية فان من المرجح أن يكون ظهور عبادة
 آتون وتشجيعها من الآثار التي تترتبت على ازدياد الصلات بين المصريين
 وبين الآسيويين ولعل الفراعنة لم يكونوا وحدهم المسئولين عن كثرة
 وفود الاجانب الى مصر فمن المعروف ان الفرعون كان يهب عددا
 من الاسرى لكل من رجاله الاكفاء الذين كانوا يعودون بهؤلاء
 الاسرى إلى مصر حيث يستخدمونهم في مختلف الاعمال المتعلقة بممتلكاتهم
 وفي قصورهم كما أن كثيرا من الأفراد في البلاد الأجنبية كانوا يقدون
 الى مصر أملا في الحصول على فرص لتحسين أحوالهم أو رغبة في تغيير
 ظروف حياتهم فتأثروا بمن تعاملوا معهم في مصر وأثروا فيهم كذلك
 وزادت هذه الروابط بحكم الصلات التي نشأت بين ملوك مصر وأمراء
 آسيا مما كان له أثره في تهاون المصريين في تمسكهم بتقاليدهم كما أن
 خروج المصريين عن عزلتهم وخروجهم إلى البلاد الأجنبية جعلهم
 يتأثرون بمشاهداتهم وبالتقاليد التي أعجبتهم بين الشعوب التي احتكوا بها
 وبدأوا يتخلون تدريجيا عن بعض تقاليدهم وعاداتهم الموروثة كما فقدوا
 كثيرا من مميزاتهم العسكرية وروح النضال من أجل الابقاء على ممتلكاتهم
 واتجهوا بدلا من ذلك إلى التنافس على السلطان والثراء وكان نفوذ كهنة
 آمون الذي بدأ يتغلغل منذ بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة من الأسباب
 التي دعت إلى إشتداد هذا التنافس فقد جسرت عادة الملوك على تقديم

الهيئات والهدايا ووقف بعض الأوقاف لهذا الإله بعد عودتهم منتصرين من غزواتهم ليحفظوا بتأييد الإله وعظم ترأه كهنة آمون وزاد خطرهم ونفوذهم إلى درجة أنهم تدخلوا في وراثة العرش — وما لبث الملوك أنفسهم أن أحسوا بهذا الخطر وربما كان دخول العناصر الآسيوية في البلاط بما زكى هذا الشعور ومن المرجح أن هذه العناصر هدفت إلى منازعة الكهنة سلطانهم ونفوذهم فأوحت إلى الملوك باحياء بعض العبادات القديمة وتشجيعها لكي تكون منافسا للإله آمون .

ولا ريب في أن أمنتب الثالث حينما اعتلى العرش إتجه إلى استمالة كهنة آمون إليه ليحظى بتأييدهم — إذ ربما كان إرتقاؤه على العرش غير مرغوب فيه — ولذا بنى معبد الآمون في الأقصر واتبع نفس الأسلوب الذى اتبعته جدته حتشبسوت إذ صور على جدران هذا المعبد قصه مولده المقدس مدعيا بأنه من صلب الإله آمون نفسه إلا أن من المرجح أنه برم بعد ذلك بنفوذ كهنة آمون وتدخلهم في كثير من الشئون ولذا عمد الى اتخاذ بعض الخطوات الفعالة للحد من سلطانهم فقد أطلق على الزورق الذى كان يتنزه فيه هو وزوجته في بحيرة قصره بطيبة اسم « اشراق آتون » كما عين أكبر أبشائه المدعو « نحتمس » كبيرا لكهنة الإله بتاح في منف — ولم يقتصر على احياء وتشجيع هذه العبادات القديمة فحسب وإنما حاول أن يدخل بعض العبادات الجديدة حيث شيد معبداً

في مدينة د صلب ، لعبادته هو نفسه شخصيا ومعبد آخر لزوجته في
د سدنجا ، بالنوبة - والظاهر أن مقاومة نفوذ كهنة آمون لم تجدد تشجيعا
في أول الأمر ولذلك لم يخامر أمنحتب الثالث بإدخال عبادة شخصه
وعبادة زوجته . وهما على قيد الحياة . في مصر نفسها وإنما فضل أن
يقوم بذلك بعيدا في السودان .

ومما يلاحظ أن اقبال ملك مصر على الملذات وانصرافه عن
الإشراف الدقيق على شئون مملكته قد أدى إلى تغير نظرة الإمارات
القوية والدول الفتية في غرب آسيا لمصر فبعد أن كان الجميع يخطبون
ودها لمجرد الخشية منها أصبح بعض الملوك يحاولون الاستفادة منها بقدر
الامكان دون مراعاة لمركزها أو لهيتها السابقة وقد شجعهم على هذا
إقبال الملوك على التزوج من الأميرات الآسيويات فمن النصوص التي
تباد لها ملك ميتاني مع صهره امنحتب الثالث نجد أن ملك ميتاني يطمع
كثيرا في صهره ويوالى لإرسال الرسائل طلبا للمزيد من الذهب
ويشير الى وفرته في مصر مخاطبا الفرعون بقوله : إن الذهب في أرض
إخى وفير كالتراب . . ولم يحدث أن تجرأ ملوك الإمارات والدول
الآسيوية على مخاطبة الفرعون بمثل هذه الالفة وفي هذا إشارة صريحة
بالطبع الى مقدار ما فقدته ملوك مصر من هيبة في الأوساط الآسيوية

أن ظلوا يتمتعون بالنفوذ في مستعمراتهم ويرتبطون بعلاقات الود مع
بعض الممالك حتى تلك التي لم يرتبطوا مع ملوكهم برباط المصاهرة .

ولما توفي أكبر أبناء أمنتب الثالث الذي كان كاهنا لبنتاح أشرك
به في الحكم ولده الثاني أمنتب الرابع الذي عرف في التساربخ
اسم أخناتون .

وفي تلك الأثناء كانت قوة الحيثيين قد أخذت في الازدياد واستولت
على بعض الإمارات التي كانت حليفة لمصر وخاضعة لها وكان من الطبيعي
أن تتطلب هذه الظروف ملكا قويا من طراز تحتمس الثالث حتى يحافظ
على الإمبراطورية ويبقى على هيبتها .

ولكن أمنتب الثالث كان قد وصل إلى سن الشيخونه وأصبح
ضعيفا معطها ولم يكن أمنتب الرابع شريكه في الحكم هو الشخصية
لناسبة في هذه الظروف ولقد اختلف المؤرخون في تقدير أخناتون
نهم من رأى أنه شخصية فذة ومنهم من اعتبره شخصية هزيلة مهزوزة
قد يرى البعض أنه أراد إقامة ديانة عالمية ولكن لا يوجد ما يؤيد
نه جهاء بأفكار لم تكن غير معروفة — كذلك يظن أحيانا أنه كان صيالا
دعاية ولكن الواقع أنه كان ينزع للتصوف في الدين وعدم الميل إلى
الحروب ولذا كان يتمم بأنه أقعد مصر امبراطوريتها في سوريا وفلسطين

ولكن لا بد من إعادة النظر في الحكم عليه فيما يختص بهذه الاتهامات على ضوء مايجد من كشوف وأبحاث أثرية في هذه الاقطار (١) . ومها كان الامر فانا نعتقد بأنه لم يكن ذو كفاءة حربية أو مهارة سياسية وأنه — على الأرجح — حاول أن يغطي ضعفه بالتفرغ كلية للشئون الدينية وتمادى في حقه على آمون إلى درجة غير معقولة في حين كانت الاحوال في آسيا تتطور من سيء إلى أسوأ حيث أخذت المملكة الحيثية تعظم الولايات السورية الواحدة بعد الأخرى كما أخذت عدة مدن في فييقيا وفلسطين تستقل عن مصر وبدأت في التنافس والتنازع فيما بينها ولم يبق على الولاء لمصر إلا بعض الولايات الضعيفة التي أخذت تستنجد بفرعون وأرسلت له العديد من الرسائل ولكنه أصم أذنيه عن ذلك فدبرت طائفة من المخلصين مؤامرة للتخلص منه أملا في إصلاح الامور إلا أن هذه المؤامرة لم تنجح ولكن يبدو أنه لم يممر طويلا بعد ذلك

هذا ولم يترك أخناتون وريثا للعرش إذ كانت ذريته من البنات ولذلك تولى بعده زوج احدى بناته الذي كان — على الأرجح — أخاه في نفس الوقت ولكن هذا الأخير لم يممر طويلا فتولى بعده توت عنخ آمون زوج الابنة الثانية وكان حديث السن وفي عهده عادت عبادة آمون

Gardiner, "Egypt of the Pharaohs", 229-230. (١)

الى سابق مجدها و انتهى أمر ثورة آتون - ومنذ عهد أخناتون برز الى مكان الصدارة من بين رجال الدولة وجلان . أحدهما هو الكاهن آى الذى تولى بعد توت عنخ آمون ، ومن المرجح أنه كان أخا غير شقيق للملكة (تى)^(١) والثانى هو حور محب الذى كان قائدا ممتازا ومشرفا على بيت الملك وشئون القصر وقد تولى العرش بعد (آى) وهو يعد من وجهة نظر بعض المؤرخين آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر بينما يضعه غالبية المؤرخين على رأس الأسرة التاسعة عشر .

ويبدو أن العلاقات بين مصر ودول غرب آسيا فى عهد توت عنخ آمون لم تتطور كثيراً عن العلاقات التى كانت سائدة فى عهد أخناتون أى أن الروابط السابقة قد أخذت تنفصم ولم يكن هناك من صلة بينها وبينهم إلا ما ترتب على تزواج ملوك مصر بالأميرات الآسيويات أى أنها لم تخرج عن علاقات القرابة التى ربطت بين البيوت المالكة ولم يكن ذلك ليغير شيئاً من أطماع دول آسيا أو محاولتها الاعتداء على ممتلكات مصر .

ومن المرجح أن البيت الملك المصرى كان فى تلك الآونة لا يهتم كثيراً انقاوة الدماء المصرية ويغلب الظن أنه كان أكثر ميلاً الى هؤلاء اللذين تربطهم به صلة النسب والقربى ومن ذلك مثلاً أن إحدى

الاميرات بعد أن توفى زوجها قد أرسلت إلى « سوبيلوليوما » ملك الحيثيين رسالة تشير النصوص الحيثية إلى أنها قالت فيها : « توفى زوجي وليس لي ولد وقيل هناك أن لك أبناء كثيرون فاذا أرسلت لي أحد أبنائك أصبح زوجا لي فلن أتزوج أحداً من رعيتي على الاطلاق لأن زواجي منه مكروها لدى . . . وقد ظن غالبية المؤرخين أن هذه الاميرة هي « نفر تيتي » زوجة أخناتون ولكن أصبح من المرجح الآن أن هذه الاميرة لم تكن إلا « عنخ - س - - أن - آمون » وزوجة توت عنخ آمون (١) . والظاهر أن ملك الحيثيين شك في الأمر وخشى أن تكون هناك خدعة فأرسل رسولا ليتحرى الأمر وعاد الرسول برسالة ثانية من الملكة وبعد أن اتضح له صدق الملكة أرسل إليها الملك أحداً بناته ولكن خطته لم تنجح إذ لقي الأمير الحيثي حتفه قبل أن يصل إلى مصر ومن المرجح أن أحد أعوان آي أو حور محب نفسه هو الذي قابل الأمير قبل دخوله مصر وقتله .

ولا شك في أن نجاح مصر في سياستها الخارجية قد أصبح ميثوسا منه في عهد آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة وخاصة لأن الحالة الداخلية قد تدهورت هي الأخرى وعم الفساد ولذا نجد أن حور محب حينما تولى

O.R. Gurney, "The Hittites" (Pelican 1984), 31-2 (١)

العرش - كرس جهوده نحو الإصلاح الداخلى لما شاهده من فساد الادارة وتفشى الرشوة وانتشار الظلم وتشدد فى العقوبات التى فرضها لمعالجة هذه الحالة واختار عددا من الموظفين الأكفء كان يوجههم بإرشاداته ونصائحه وأمر بالتنقيش على المعابد والمقابر حيث حدثت بعض السرقات وأمر بإصلاح وترميم ما أمكنه إصلاحه من آثار أسلافه ويساورنا الشك فى أنه قام ببعض النشاط العسكرى فى الخارج ولكن من المرجح أنه آثر أن يعقد معاهدة مع ملك الحيثيين حتى يتفرغ للإصلاح الداخلى لأن الفساد كان عاما واحتمال نجاحه فى النشاط العسكرى فى الخارج كان ضميئا

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ - ١٢٠٠ ق.م)

عما تجدر ملاحظته أن حكم حور محب الذى كان قائدا للجيش قبل اعتلائه العرش قد مهد لظهور طائفة من الرجال العسكريين وازداد نفوذ رجال الجيش فتحكموا فى شئون الدولة ولذلك نجد أن الذى يخلف حور محب هو رععسيس الاول الذى كان قائدا هو الآخر وقد شغل كل منها منصب الوزير قبل الاعتلاء على العرش - ولم يعمر رععسيس الاول طويلا إذ لم يتجاوز حكمه عامين ولكنه امتاز بإدارة البلاد بحزم ونشاط فى تشييد المباني ولم يقتصر فى ذلك على مصر ولكنه بنى كذلك معبدا فى بوهن بالنوبة حيث عُثر على لوحة مؤرخة بالسنة الثانية من

حكاه في هذا المكان ولهذا فان بعض المؤرخين يظن أنه قام بحملة في تلك السنة بينما يرى البعض الآخر أن ولده سبتي الأول هو الذي قام بها نيابة عنه ولكن لا يوجد لدينا من الأدلة ما يكفي لتأييد هذا الرأي أو ذلك (١) .

ومع أن سبتي — حينما تولى العرش — كان قد جاوز سن الشباب إلا أنه سار على نهج سياسة والده وأمر باتساع ما لم يستطع إتمامه وقد حدثت ثورة في بداية عهده على حدود مصر الشرقية إلا أنه استطاع أن يخمدها ودون انتصاراته على جدران معبد الكرنك حيث بين انتصاره على بدو سيناء وجنوب فلسطين ، والظاهر أن بعض الولايات التي ظلت خاضعة لمصر حتى ذلك الحين قد أصابها عدوى الثورة إذ تجمعت جموع الثائرين في مدن مختلفة تمهيداً للاجتماع في مكان سرى كي يقوموا منه بثورتهم الجماعية ولكن سبتي لم يمكنهم من ذلك إذ أرسل لكل مدينة فرقة من الجيش وتم له النصر بل وخضعت له فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا — ثم حدثت ثورة في ليبيا جعلته يسرع إلى تأديبها على حدود مصر الغربية وكان ذلك في السنة الثانية من حكمه على الأرجح .

ويبدو أنه توقع استمرار سوء الأحوال في آسيا طالما ظلت دولة

الحيثيين تحريك دساتمها ضد مصر وعلى ذلك سار على رأس جيوشه للقاء جيوشها حيث دارت بينه وبينهم معركة في شمال قادش عاد عنها سيقى منتصرا ولكن هذا النصر لم يقضى على قوة الحيثيين تماما ومع ذلك كان له بعض الأثر في وقف مؤامرتهم ضد مصر في الولايات السورية وقد ادعى في النقوش التي دون فيها انتصاراته أنه أخضع أعالي الفرات والمملكة الحيثية وقبرص لسلطانه . ولكن يرجع أنه نقل كثيرا من أسماء البلدان التي ادعى أنه أخضعها من نقوش قديمة هي على ما يحتمل نقوش د تحتمس الثالث ، كذلك يشك فيما أورده في نص مؤرخ بالسنة الرابعة أو الثامنة من حكمه (١) . بأنه أخضع بعض جهات النوبة ومع كل فان هذه الحملة - لو أنها حدثت بالفعل - كانت أقل في الأهمية دون شك من تلك الحملات التي قام بها في ليبيا وآسيا - ومن المرجح أنه عقد معاهدة مع ملك الحيثيين إذ يبدو أنه أراد أن يتفرغ - في أواخر حكمه - لشئون البلاد الداخلية أو أن كلا من مصر ودولة الحيثيين بدأت تحمل الحروب فعقدت معاهدة لإحترام فيما كل من الفريقين حدود الآخر وساد السلام وبذلك تمكن سيقى من القيام بكثير من الأعمال العمرانية وتميز مبانيه بالروعة وجمال النقوش حتى أن بعضها يعد من أجمل

ما خلفه قدماء المصريين من الآثار إن لم تكن أجملها على الإطلاق -
وقد اهتم كذلك باستغلال المناجم وخاصة مناجم الذهب وخير ما يثبت
ذلك أن أقدم وثيقة رسمت عليها خريطة جغرافية تمثل في إحدى
البرديات التي ترجع إلى عهده وهي موجودة الآن بمتحف تورين فقد
رسم فيها موقع منجم الذهب القريب من معبد الراديسية مع بيان الطرق
المختلفة المؤدية إليه - كذلك قام بحفر بعض الآبار في الطرق الصحراوية
المؤدية إلى مناطق التعدين .

ويعد « رعسيس الثاني » خليفة « سيتي الأول » من أعظم الفراعنة
الذين شاهدتهم مصر ولعل من الانصاف له أن نقرر هنا بأنه أعظمهم
جميعاً في تشييد المباني ولا تقتصر شهرته في هذا السبيل على عدد المباني
التي أقامها بل ولأنها كذلك من أضخم آثار الفراعنة وأجملها ومن
بينها ما يعد فريداً في تصميمه وموقعه وخير الأمثلة على
ذلك سلسلة المعابد التي أقامها في النوبة والتي من أشهرها معبدى
أبو سمبل .

ومع هذا يمثل عهد « رعسيس الثاني » فترة حاسمة في تاريخ مصر
الفرعونية فمن المعروف أن « سيتي » كان قد عقد معاهدة مع ملك
الحيتيين وأن الحالة ظلت عادته بعد ذلك بين مصر وخيتا ولكن يبدو
أن الحيتيين بعد أن شاهدوا تغير ملك مصر عملوا على نقض المعاهدة
التي سبق إبرامها فيما بينهم وأخذوا يشجعون بعض أمراء سوريا على

الثورة فتقدم رعمسيس الى آسيا في السنة الرابعة من حكمه ووطد مركزه في سوريا واطمان على خطوط موصلاتته وعلى حاميات الموانئ ورجع الى مصر ليعد العدة لمقابلة جيوش ملكة الحيثيين التي اخذت تزيد من تأليب الامارات السورية وقد أحس د مائلا ، ملك الحيثيين بالخطر على إثر هذه الحملة فأغرى كثيراً من ملوك وأمراء المنطقة بالانضمام اليه واستعان بكثير من المرتزقة وجمع كل قواته هذه في قادش استعدادا للقائم رعمسيس الذي استعان هو الآخر بجنود مرتزقة وتقدم في السنة الخامسة من عهده نحو عدوه ولكنه وقع في كين أعدله وكاد أن يقضى عليه إلا أنه نجح بفضل جراته وبفضل حرسه الخاص - وبعد ان وصل المدد الى رعمسيس ولحقت به بقية الجيش التي كانت في الطريق تحفز الفريقان لمعركة فاصلة ثم ما لبث ملك الحيثيين أن عرض الصلح فاتفق الفريقان على عقد معاهدة يحترم فيها كل منهما حدود الآخر ولا يتدخل في شئون رعاياه وبعدئذ عاد رعمسيس الى مصر دون أن يستولى على قادش - وهكذا نجد أن عهد رعمسيس الثاني يعد مرحلة حاسمة في تاريخنا القديم إذ لاشك في أن تخلى المصري عن روح القتال والميل الى الجندية قد أدى الى الاستعانة بالجنود المرتزقة مما أفقد المصريين كثيراً من مزاياهم وانتهى بهم الأمر الى الاستسكانة والرضى بالواقع كما أن رجوع رعمسيس دون أن يستولى على قادش أدى الى فقد مصر لجزء كبير من امبراطوريتها لم تتمكن من ارجاعه - بصفة دائمة - في أى عهد تالى لذلك على الاطلاق واصبحت الامبراطورية منذ ذلك

الحين قاصرة — حتى في أعظم اتساع لها — على فلسطين ولبنان والجزء
الجنوبي من سوريا وبعض موانئها .

ومع أن المركة التي دارت كانت بالنسبة لرعمسيس أقرب إلى الفريجة
منها للنصر إلا أنه أذاع في طول البلاد وعرضها بأنه انتصر على أعدائه
وأباد منهم عشرات الألوف ونقشت قصة هذه المركة — التي تصف
شجاعة رعمسيس في القتال وتقرر أن انتصاره كان بفضل مساعدة الإله
أمون — على كثير من الآمار وقد اعتبرها معظم المؤرخين قصيدة هي
أقدم ما عرف من شعر الملاحم في التاريخ ^(١) هذا بينما تشير المصادر
الحيثية إلى انتصار « خاتوسيل » ، ملك الحيثيين حينئذ وهو الذي تولى
العرش بعد أن تخلص من « أرهي تشوب » ، خليفة الملك « ماتيلا » ، وولده
ولا شك في أن الواقع يؤيد صدق الرواية الحيثية وهزيمة المصريين لأن
موقعة قادش ترجع إلى تنافس الحيثيين والمصريين على السيطرة على
مملكة الأموريين التي كان ملكها يقف إلى جانب المصريين ولم يخضع
لتهديد الحيثيين وحلفائهم وقد اختفى اسم « بنتسينا » ، الذي كان ملكا على
الأموريين على أثر هذه المعركة وظهر في مكانه اسم « سايبلي » ، الذي
اعترف بالسيادة الحيثية .

(١) عرفها المؤرخون باسم ملحمة بنتساؤر وهو الشخص الذي نسخها على
بردية جزء منها موجود بالمتحف البريطاني والباقي منها موجود في متحف اللوفر
أنظر Gardiner, op. cit., 260

ولا بد أن هذه المعركة قد هزت النفوذ المصري في آسيا جزئيا
إذ لم يمض عامان حتى ثارت فلسطين على مصر وامتدت الثورة إلى أن
وصلت إلى الحدود المصرية فأسرع رعمسيس باخادها وأخضع فلسطين
كلها لسلطانه من جديد كما أخضع بلاد الأموريين واستولى على حصن
دابور وعلى مدينة تونب وبذلك امتد سلطان مصر إلى فينيقيا كذلك
من المحتمل أن رعمسيس فرض سلطانه على بعض جزر البحر المتوسط
أيضا وقد أشار إلى البلاد التي أخضعها على جدران معبد الرامسيوم
ولكن يبدو أنه تغالى في ذلك كثيرا فدون أسماء بعض الاقطار التي
يحتمل أنها خطبت وده وأرسلت إليه بعض الهدايا فقط فاعتبرها
رعمسيس ضمن البلدان الخاضعة له .

ولم يدم استقرار الأمور في آسيا طويلا بعد ذلك إذ حدث نزاع
عائلي على العرش في البيت المالكي الحيثي فكان هذا حافزا لرعمسيس على
التدخل لمصلحة أحد المتنازعين ولكن منافسة فاز بالعرش وفي نفس
الوقت كانت مملكة آشور قد أخذت في الظهور على مسرح السياسة
الدولية في هذا الجزء من آسيا وبدأت تفرض سلطانها على ماجاورها مما
جعل خاتوسيل - الذي تمكن من الوصول إلى العرش الحيثي - يتقرب
إلى مصر كي يتفرغ للصراع ضد آشور فمقد معاهدة صلح مع رعمسيس
في السنة الحادية والعشرين من حكم هذا الأخير وكتبت هذه المعاهدة على
لوح من الفضة بالخط المساهي وترجمت إلى اللغة المصرية في قسختين

احدهما عثر عليها بالسركنك والآخرى بالرامسيوم كما عثر على الأصل
الحيشى في دبوغاز كوى، وقد نصت هذه المعاهدة على تأكيد الصداقة بين
مصر وختينا وألا تعتدى احدهما على الآخرى وعلى أن تسلبها المجرمين
الفارين من بلادها وأقسم كل من الفريقين بألمة بلاده العظمى على التمسك بما
ورد في تلك المعاهدة التي ظلت قائمة بينهما وزاد من توثيقها فيما بعد زواج
رعسيس من ابنة ملك الحِيثيين في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه .

وقد انتهز ملك الحِيثيين فرصة هذه المناسبة لجاء ومعه كثير
من رجاله في زيارة لمصر ودام السلام بين البلدين إلا أن كلا منهما
تعرض بعد ذلك لمتاعب أخرى من نوع جديد إذ ما لبث أن نشب
زجاج طائل في البيت المالك الحيشى كما أن عناصر هندو أوربية من أواسط
آسيا اندفعت في هجرات متتالية حيث اكتسحت آسيا الصغرى وجزر
بحر إيجه واليونان وشمال أفريقيا فانهارت دولة الحِيثيين أمام ضغطها
واتجهت هذه العناصر بعدئذ نحو مصر — وكان رعسيس الثاني قد توفي بعد أن
بلغ من العمر أكثر من تسعين عاما وخلفه ولده مرنبتاح الذى كان مسنا
حين اعتلائه على العرش . ولكنه مع ذلك لم يتوانى عن التصدى لهذه
العناصر ونجح في صد هجومها — كما سئى ذلك فيما بعد — ومع هذا
لم يفته كفاح مصر لتلك العناصر بالانتصارات التي أحرزها مرنبتاح
ضدها بل ظلت تتحين الفرص للزحف على مصر حتى تمكن
رعسيس الثالث (في عهد الأسرة العشرين) من صدها مرة أخرى .

ولم يكن السببه في تفسير مركز مصر الدولى وميلها نحو الاتحاد قاصراً على تخلى المصريين عن روحهم العسكرية واستعانتهم بالمرتزقة أو على انكماش أملاك الامبراطورية فى آسيا فحسب بل كانت السياسة التى اتبعها رعمسيس الثانى فى بعض الشئون الأخرى ضمن الاسباب التى أدت الى ضعف مصر وعدم عودتها الى سابق مجدها ففشاطه المنتطح النظر فى اقامة المبانى قد أنهك موارد الدولة حتى أنه لم يجد بدا من اغتصاب آثار بعض أسلافه كما أن انشاء لعاصمة جديدة فى شمال شرق الدلتا — هى بر رعمسيس — وانتقاله اليها ليكون قريباً من الأحداث الدولية بدلا من الاستقرار فى العاصمة القديمة - طيبة - قد جعله أكثر تورطاً فى مجريات الأمور فى آسيا كما جعل عاصمته قريبة من تهديد بعض القوى الفتية التى نشأت فى تلك الجهات فضلاً عما فى ذلك من ارهاق ميزانية الدولة لأن طوبه ظلت عاصمة دينية لها مخصصاتها المالية ويستلزم مركزها الدينى كثيراً من النفقات وفى نفس الوقت كانت بر رعمسيس هى الأخرى فى حاجة الى الكثير من النفقات كعاصمة سياسية كذلك كان طول عمر رعمسيس وميله لكثرة الزواج سبباً فى أنه أنجب كثيراً من الأبناء ما زال المؤرخون غير متفقين على تحديد عددهم بالدقه وهذا بدوره أدى الى كثرة الاطباع فى البيت المالك والى التنافس فيما بين أفراد العائلة نفسها .

وقد مات عدد كبير من أبناء رعمسيس أثناء حياته ولذلك لم يتولى

العرش بعده إلا ولده الخامس عشر « مرنبتاح » الذى سبق أن أشرنا إليه . — ومع أنه لم يكن أكبر اخوته إلا أنه تولى العرش وهو مسن ، ولكنه رغم ذلك كان على الهمة فما كادت ثورة تقوم فى آسيا فى السنة الثالثة من حكمه حتى أسرع بانحادها وسواء أقام بذلك بنفسه أو أنه أرسل أحد قواده فان اهتمامه يدلنا على أنه لم يشأ التفريط فى حق مصر أو التهاون فيه وان كان بعض المؤرخين يرى بأن تلك العملية الحربية ضد الثأرين ليست إلا حربا مزعومة لم يقصد مرنبتاح من وراء ذكرها إلا المباهاة والفخر — ومع هذا فما هو جدير بالذكر أن النقوش التى دونها عنها تشير الى اسرائيل وهذا هو أول ذكر لاسرائيل ولذلك عرفت اللوحة التى دونت عليها هذه النقوش باسم لوح اسرائيل :

وفى السنة الخامسة من عهد مرنبتاح استطاع أن ينتخذ البلاد من الهجوم الشامل الذى شنه عليها الليبيون وحلفاؤهم وربما كان هذا الهجوم من أثر هجرات الشعوب الهندو أوربية التى سبقت الإشارة إليها وقد توجهت هذه العناصر على ساحل أفريقيا الشمالى وقادم أحد الزعماء الليبيين الى أن وصلوا الى غرب الدلتا أو حتى الى داخلها . — إذ يرى بعض المؤرخين أنهم وصلوا الى كمر الزيات تقريبا . — إلا أن مرنبتاح تمكن من هزيمتهم هزيمة ساحقة فروا على أثرها ووقع آلاف منهم أسرى فى أيدي المصريين والظاهر أن فلولهم اتجهت نحو الجنوب بغية الوصول الى وادى النيل فى منطقة النوبة ولكن المصريين استطاعوا أن

يردوم كذلك .

ولم يطل حكم مرتباج أكثر من ثمانية أعوام مات بعدها وترك
العرش فريسة للاختلافات العائلية التي نتجت عن كثرة عدد الأمراء
الذين أنجبهم رعمسيس الثاني كما سبق أن أشرنا الى ذلك .

وكان ورد اسم اسرائيل على لوحة انتصار مرتباج سالفة الذكر بما
جعل المؤرخين يرون أن خروج الاسرائيليين من مصر قد تم في عهد
هذا الملك ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا الرأي فزال الاختلافات
كبيرة فيما يختص بتاريخ خروجهم حتى الآن (١) .

ويبدو أن سلسلة من الغتصبين قد تولت العرش بعد مرتباج لم
يكن لهم نشاط يذكر في الخارج ويحتمل أن أحدهم ويدعى سبتاج
ذهب في حملة النوبة لكي يثبت الحاكم المصرى هناك في وظيفته وهذا
الحاكم كان يدعى سبتى وما زال المؤرخون يختلفون في شخصيته ومن
الانسباب التي دعت الى هذا الاختلاف أن سبتاج كان على مايحتمل ابنا
للكس سبتى الذي خلف مرتباج على العرش ولكنه لم يكن من أم
ملكية وقد خلف والده على العرش ويبدو أنه كان غاضبا عليه لأنه
اغتصب قبره ومحا اسمه من آثاره (٢) .

Gardiner, op. cit., 156, 273 - 4 (١)
Th. Davies, "The Tomb of Siptah", P. M.V11,98; (٢)

أنظر أيضا

BAR III, 640 - 2; Melanges Maspero, I, 353 ff; JEA 44,12 ff;

ولا نعرف كيف انتهت الأسرة التاسعة عشرة ولكن من المؤكد أن البلاد أصبحت نهبا للطامعين في العرش وأعلن حكام الأقاليم استقلالهم وبما زاد الطين بله أن شخصا يدعى «أرسو» - وهو من أصل سوري^(١) تمكن من أن يعتلي العرش واستبد بالبلاد فوصلت إلى حالة أليمة من الفوضى حتى تمكن «سك نخت» والد رعمسيس الثالث من أن يعتلي العرش وأن يطرد الغاصب السوري وينجح في إعادة الاستقرار وتنظيم الجيش وبذلك بدأ عهد جديد هو عهد الأسرة العشرين.

الأسرة العشرون (سنة ١٢٠٠ - سنة ١٠٥٨ ق.م)

لا ندرى كيف تمكن ذلك المعتصب السوري من اعتلاء العرش ولكن من المرجح أن تدفق الآسيويين على مصر سواء للعمل فيها أو في معية الأميرات الآسيويات كان لاشك داعيا لتكوين جالية كبيرة من السوريين وغيرهم من شعوب آسيا وازداد نفوذهم في كافة الشئون ويمكن أن نذكر أن الأميرة الحيثية التي تزوجها رعمسيس الثاني قدمت إلى مصر ومعها ٢٣٧ وصيفة وهذا يدل بالطبع على أن عددا كبيرا من الرجال حضر في وفقتها كذلك ليكون في خدمتها - كما أن من المؤكد أن استعانة الملوك بالحرس الخاص من النوبيين والأجانب وبدخول

(١) يرجح جاردنر أن هذا المعتصب السوري هو أحد كبار موظفي القصر

Gardiner, op. cit., 277 - 8; JEA 44, 17 ff

الكثيرين من المرتزقة في خدمة الجيش والدولة قد هباً لهم نفوذاً وسلطاناً كبيرين ، ولذا يسدو أن الرأى القائل بأن المعتصب السورى المشار اليه كان أحد هؤلاء الأجانب الذين وصلوا الى مراكز رفيعة اذ كان من كبار رجال البلاط (١) . من الآراء المعقولة اذ ليس من الضرورى أن يكون اعتلاؤه على العرش بسبب غزوة سورية أو هجرة دافقة كان يتزعمها .

ومهما كان الأمر فان ست نخت لم يمكث على العرش سوى عامين اشترك معه خلافاً ولده رعمسيس الثالث الذى ما أن انفرد بالحكم حتى وجد أن الأخطار تحيق بالبلاد من كل جانب فعمل على تقوية جيشه سريعاً بادخال فرق من المرتزقة الليبيين والسرديين وكان الليبيون الذين هزمهم مرنبتاح ما زالوا يتحينون الفرص للاغارة على مصر والاستيطان فيها كما أن خطر الشعوب الآسيوية كان يهدد الدلتا من الشرق أى أن رعمسيس الثالث كان عليه أن يواجه أخطاراً خارجية فى الشرق والغرب وقد استطاع أن يخمّد ثورة فى بلاد الأموريين فى أوائل عهده وفى السنة الخامسة من حكمه استطاع أن يصد هجوماً كبيراً كان يعاون الليبيين فيه حلفاء من شعوب البحر ولكن رعمسيس هزمهم على حدود الدلتا الغربية وأخذ منهم كثيراً من الأسرى .

(١) ZDMG 105,27 ff أنظر كذلك الملاحظة السابقة

وفي السنة الثامنة من عهده كانت الشعوب الهندو أوربية (شعوب البحر) قد تمكنت من اسقاط دولة الحيثيين واجتاحت آسيا الصغرى وشمال سوريا فأصبح خطرهم عظيما على مصر وخاصة لأن موجة كبيرة من موجات هجراتهم كانت تتجه بطريق البر وبالسفن الحربية نحو منطقة شرق البحر المتوسط فاستعد رمسيس لدفع هذا الخطر وجمع أسطولا كبيرا وتقدم بجيوشه في البر والبحر للملاقاة أعدائه الذين كانوا متجهين إلى مصر وحدثت بينه وبينهم معركة فاصلة هزمهم فيها برا وبحرا - ومع أننا لا نعرف أين وقعت هذه الموقعة إلا أن تفصيلاتها تقشت على جدران معبد مدينة هابو الذى شيده في البر الغربى لطيبة وتعد هذه النقوش أقدم نقوش تمثل معركة بحرية في التاريخ والظاهر أن هذه المعركة قد قضت على قوة شعوب البحر قضاء تاما في آسيا وكانت سببا في نجات مصر وغرب آسيا من خطرهم .

أما في غرب مصر فإن الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر استطاعوا أن ينظموا أنفسهم من جديد وهاجموا مصر في السنة الحادية عشرة من عهد رمسيس الثالث ولكنه هزمهم على حدود الدلتا وارتدوا إلى الصحراء فتبعهم فيها إلى مسافة قصيرة حيث ألقى منهم عددا كبيرا وأسر الكثيرين ومن بينهم القائد نفسه وبذلك تخلص رمسيس من الخطر في الشرق والغرب على السواء - ومن المرجح أن قوة هذه الشعوب قد انتهت تماما ولذلك لم يجد رمسيس مانعا من السماح لليبيين بالهجرة إلى

غرب مصر والاستيطان في بعض جهاتها كهاجرين مسلمين - وبعد أن اطمأن إلى زوال الخطر سار رعمسيس على رأس حملة إلى آسيا بقصد استرجاع الممتلكات المصرية وقد دون في نقوش هذه الحملة أسماء البلاد التي أخضعها ولكن من المرجح أن هذه الأسماء نقلت عن مصادر سابقة ولم يخضع كل البلاد التي أشار إليها ولكن من المحتمل أنه أهاد جزءا كبيرا من أملاك مصر السابقة إلا أن هذا لم يستمر طويلا حيث ظهرت بوادر الضعف في عهده حتى أن بدو صير قاموا بثورة في أواخر حكمه ولكنه نجح في إخمادها بسهولة وعاد النظام والأمن إلى البلاد .

وعلى أي حال فإننا إذا ما اعتبرنا عهد رعمسيس الثاني يمثل مرحلة حاسمة في تاريخ مصر لعوامل الضعف التي أخذت تنمو فيها فإن من الممكن أن نعتبر رعمسيس الثالث متمما لهذه المرحلة فقد أسرع سياسته بنهاية الامبراطورية المصرية إذ كان يتشبه بسلفه العظيم رعمسيس الثاني في كل شيء تقريبا ولكنه أخطأ خطأ كبيرا في منح كهنة آمون ومعابده كثيرا من الثروات الضخمة حتى أصبح الإله آمون يمتلك نحو عشر الأراضي المزروعة وتسعة مدن في سوريا ومناجم الذهب في النوبة غير الأرقاء والماشية والحدائق مما جعل كهنة هذا الإله هم أصحاب النفوذ الفعلي في البلاد لا ينافسهم فيه سوى عدد من الأجانب الذين وصلوا إلى أرقى مناصب الدولة وخاصة في البلاط حيث كان من بينهم من يتصلون اتصالا مباشرا بالملك نفسه أو بأفراد العائلة - وخاصة القتليات

الجميلات والحرس الخاض - الذين نالوا الخطوة لديهم وكثيرا ما تدخلوا في شئون القصر والبلاد عامة ، ولا شك في أنهم أوحوا بالاكتار من المرتزقة بما أنهمك ميزانية الدولة حتى هجز القصر عن الوفاء بمرتبات عمال جسانة طيبة فنوالى اضرابهم وكان الكثيرون من الفقراء يتهاكون جوعا بينما كانت أكداس الحبوب والذهب تتجمع في مخازن رجال الدين والملك منصرف إلى ملذاته لا يدرى شيئا من شئون الدولة وقامت ثورة ضده في الدلتا كان مركزها أتريب إلا أن هذه الثورة لم تنجح وفي نهاية عهده دبرت إحدى زوجاته مؤامرة لقتله بمساعدة بعض موظفي القصر أملا في أن يعتلى ابنها العرش ولكن المؤامرة لم تنجح وأحيل الجناسة الى المحاكمة أمام محكمة تكونت من أربعة عشر عضوا من بينهم أربعة من الأجانب - والظاهر أن الفساد قد تفتى في البلاد بصورة واضحة لأن بعض النساء وبعض الضباط استطاعوا اغراء ثلاثة من القضاة لكي يؤثروا في سير التحقيق ولكن هذا الأمر اكتشف كذلك وبرى أحد القضاة واتحر الثاني أما الثالث فقد حكم عليه هو ورجال الشرطة بجدع الأنف وصلم الأذنين .

ومع أن عهد رعمسيس الثالث يمثل عاتمة عصر الامبراطورية المصرية ونهاية مجدها الا أنه من الاضاف أن تقرر بأنه أقتد البلاد من خطر العناصر الهندو أوربية وأوقف أطباع الليبيين ولوال حين فقد انتصر - حريبا - عليهم ولكنه سمح لهم بالهجرة إلى مصر والاستيطان

بها بل وربما أسبغ عليهم من عطفه ما هيا لهم فرصة زيادة نفوذهم تدريجيا الى أن تمكنوا من الاستيلاء على العرش في أعقاب الأسرة العشرين - كذلك من الانصاف أن تقرر بأن الظروف الدولية نفسها أخذت تتغير في إقليم الشرق الأدنى في غير مصلحة مصر وخاصة في غربي آسيا ولذا فقدت مصر أملاكها في تلك الجهات قبل انفصال النوبة عنها بزمن طويل وان كان من المرجح أيضا بأن اختلاف الصلات التاريخية والحضارية - التي ربطت بين مصر وبين أملاكها في آسيا من جهة وبينها وبين النوبة من جهة أخرى - واختلاف الأساليب التي اتبعتها في ادارة ممتلكاتها قد ساعدت على احتفاظ مصر بالنوبة مدة أطول ودوام الصلات التي ربطت بينهما الى عهد متأخر نسبيًا .

ادارة الممتلكات المصرية في عهد الدولة الحديثة :

لا شك في أن المصري كان ينظر إلى الجهات التي فتحها في آسيا نظرة تختلف عن تلك التي كان ينظر بها الى النوبة فيبينه وبين الأولى مفاوز وقمار لا يجتازها الا بصعوبة بينما لا يفصله عن النوبة الا منطقة الشلال الأول التي لا تمتد عاتقا عسير الاجتياز وهو اذا ما وصل الى الاقليم السوري يجد بيئة شديدة الاختلاف عن بيئته التي يعيش فيها وخاصة في مصر العليا أما اذا اتجه نحو الجنوب الى النوبة فانه لا يكاد يلاحظ الفارق بينها وبين بيئته حيث تتدرج الظروف الطبيعية والمناخية بينهما وربما

كان هذا هو الذى دعا - فى أول الأمر - الى عدم تفريقه فى التسمية بين الاقليم الأول من مصر العليا وبين اقليم النوبة المجاور له اذ كان يطلق على كل منهما اسم « تاسى » .

ولا بد أن هذه العوامل قد جعلته يزهد الاتصال بتلك الجهات الآسيوية الا تحت ضغط ظروف ملحة بينما كان اتصاله بالجهات الجنوبية مستمرا ومعنادا فقد اقتضت علاقته بالجهات الأولى على ارسال بعض البعث لاستغلال مناجم النحاس فى سيناء أو لصد الاغارات المفاجئة التى كان يقوم بها بدو الصحراء الشرقية وجنوب فلسطين أو جلب بعض الأخشاب الثمينة من جيبيل (بيلوس) بلبنان ولا يوجد لدينا دليل على قيام هذه العلاقات قبل بدء العصر التاريخى - أما علاقته بالجنوب فترجع فى أغلب الظن - إلى العصور السحيقة فى القدم - فبعض النظر عما يقال بأن المصريين يهتمون أصلا الى تلك الجهات الأفريقية وأنهم جاءوا منها - فإن مقابر عصور ما قبل الأسرات المصرية حوت من الآثار ما يدل على أن مصر كانت تحصل من النوبة على العاج وبعض المواد الخام كما أن النوبة بدورها كانت تحصل من مصر على بعض صناعاتها - ثم اتسع أفق هذه الصلات فى عصر الدولة القديمة حيث ظلت مصر تحصل من النوبة على كثير من مختلف المواد الخام وتلقى النوبة منها مصنوعاتها ومؤثراتها الثقافية بل ولم يتقطع سيل الزويين الذين قدموا الى مصر للعمل فى أى عصر من العصور وقد عرف لوك الدولة الوسطى

أهمية النوبة فعملوا على ضمان الحصول على مواردها واحتلوا النوبة السفلى وأمنوا طرق مواصلاتهم فيها - وهكذا ظلت الصلات السياسية والثقافية قائمة بين مصر وجارتها في الجنوب حتى قيام الدولة الحديثة (١).

وهكذا نجد أن المصري - حينما طارد المكسوس إلى فلسطين واستولى على بعض أراضيها ثم تابع التوسع في الأراضي الآسيوية - لم يكن معتادا على تلك الجهات وثقافته تختلف عن ثقافتها . بينما نجده - حينما استأنف سياسة الغزو في الجنوب - لا يجمل النوبة وثقافته مألوفة بها ولذا توقع أن يجد صعوبة في استجابة الجهات الآسيوية له وأن لا ترحب باستثماره لها أو أنه وجد فيها بلادا أجنبية صيرة المواصلات تفصله عنها الصحراء التي يجدها اجتيازها - وجدري بالذكر أيضا أن تلك الممتلكات الآسيوية لم تكن لتثل قطرا واحدا وبيئة متجانسه بل كانت عبارة عن دويلات وإمارات صغيرة تتناحر فيما بينها وطل هذا كان ملك مصر يحتاج لأن يبذل جهده في إخضاع تلك القوى المتفرقة ولا يستطيع أن يضربها ضربة واحدة الا نادرا - وعندما تنفق كلمتها وتجمع قواتها في بقعة

(١) بالرغم من خروج النوبة عن نطاق النفوذ المصري في أواخر عهد المكسوس فإن بعض المصريين كانوا يذهبون للعمل في النوبة وكثير من جنود المرتزقة النوبيين كانوا يعملون في مصر خلال تلك الفترة واستمر استخدامهم بعد ذلك أيضا (أنظر أعلاه ص ٦٢، ٦٧، ٦٨) ..

واحدة - كذلك كانت هذه الامارات الصغيره تفصل مصر عن بيتات
نشأت فيها دول قتيه قوية كآشور وميتاني والدولة الحيثية وكانت هذه
الدولة الاخيرة كثيرا ما تطمع في أن تتزع السيادة من مصر في تلك
الامارات أو تحاول على الأقل تأليبها عليها والقضاء على النفوذ المصرى
بها وقد أدى الاحتكاك بين مصر وبين تلك الدول القتيه إلى اختلاف
العلاقات بينها حسب الظروف فتارة تنشب بينها الحروب وتارة أخرى
تحسن العلاقات فتبادل الود وإن كان النفوذ المصرى هو الذى ساد
في معظم الأحيان بدليل إقبال ملوك مصر على الزواج من البيوت
المالكة في تلك الدول ولم يحدث العكس^(١) وقد أدى تشابك المصالح
والعلاقات بين ممالك الشرق الأدنى القديم في عهد الدولة الحديثة إلى
اعتبار هذه الفترة فترة دولية وخاصة فيما بين القرنين الرابع والحامى
عشر قبل الميلاد .

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج بأن مصر لم تتمكن من حكم
ممتلكاتها في آسيا حكما مباشرا وفعالا بل ومن المحتمل أنها لم تغير من النظام
الإدارى الذى كان قائما فيها إلا فيما يختص بجعل حاكم مصرى إلى
جانب كل من الزعماء الوطنيين في كل من الإدارات التى كانت تنقسم لها

J. A. Knudtson & O. Weber "Die El-Amarna-Tafeln," (١)
(Leipzig 1915) Letters nos. 11,22,23,29,31

كل من تلك الامارات ليرعى المصالح للمصرية كما كانت المشاكل السورية
الفاستطينية تمرض على ديوان خاص في لاط الملك - ورغم وجود
هؤلاء الحكام المصريين فإن الحكومة المحلية ظلت في أيدي الزعماء
الذين كانوا في أول الأمر على استعداد دائم للثورة ضد مصر ثم ما لبثوا
أن وجدوا في الحكم المصري ضمانا للسلام وحفظا للنظام فيما بينهم جميعا
وعلى هذا انتشرت التجارة وعم الرخاء فكانت القوافل والسفن التجارية
تنتقل بين مختلف الأرجاء وتعود محملة بالخيرات ولذلك فإن معظم الزعماء
المحليين حينما إنهار الحكم المصري في تلك الأرجاء في عهد إخناتون كانوا
يتحصرون إذ يرون سوء العاقبة وتكررت رسالتهم إلى الملك يرجونه
أن يرسل لهم نجيدات من مصر لإعادة الأمن والنظام وقد انتهى الأمر
بفوضى شاملة في تلك الأرجاء لعدم وصول تلك النجيدات .

وقد وضعت حاميات في المدن والمراكز الاستراتيجية ولكن لا نجد
إلا إشارات قليلة عن بناء حصون مصرية ويخيل لنا أن الإتجاه العام في
عهد الدولة الحديثة كان ينحصر في الافادة - بقدر الامكان - من القلاع
القديمة التي أنشأها الوطنيون .

ولضمان حسن سير الامم - ور كان الامراء الذين يشورون
أو الذين يميلون الى الثورة يستبدلون بغيرهم كما كان بعض الرهائن
يرسلون إلى مصر - كذلك كان تحتمس الثالث يحضر أبناء أمراء البلاد
الفتوحة إلى مصر حيث يتعلمون فيها مع أبناء الامراء المصريين في البلاط

كى يشبوا على حب مصر حتى إذا ما عينوا فى مراكز آباءهم كانوا
مخلصين لها (١) .

أما فيما يختص بالنوبة فإن المصرى كان يعتبرها جزءا متما لمصر
ولذا اتخذ من الخطوات الفعالة ما يكفل له بقاءها فى قبضته - وفى سبيل
ذلك قام بتطهير مجرى النيل عند الشلال الأول وشيد حصونا جديدة ووجد
فى القلاع التى كانت قائمة أصلا كما شيد المعابد والمراكز الثقافية والتجارية
وحفر الآبار فى الطرق الصحراوية المؤدية إلى المناجم والمحاجر أى أنه
عمل على تمهيد النوبة تمصيرا تاما واتباع فى إدارتها أسلوبا مغايرا لذلك
الذى اتبعه فى البلاد الآسيوية فقد أسندت إدارة النوبة إلى حاكم عام
نائبا عن الملك يكون مسئولا أمامه شخصيا .

ومن المرجح أن «أحمس بن تا لىتس» كان أول من عين حاكما على
على النوبة وأن ولده ثورى عين قائدا لحامية بوهن وقد رقى هذا الأخير
فى السنة السابعة من حكم أمنحتب الأول إلى منصب حاكم النوبة - ولا بد
أن هذه الوظيفة كانت فى أول الأمر تمنح لشخص من السلك العسكرى ومقره
من الملك أو من ذوى قرباه وفى هذه الحالة كان لابد له من مساعد
إدارى يشغل وظيفة كبيرة يكون مسئولا عن الشؤون المالية والمدنية

ASA' LV1, 105 ff (١)

ولعل هذا هو ما يفسر موقف «حورمين» حاكم «نخن» الذي عاش زمن
أحمس الأول إذ كان مكلفا بمجمع جزيرة النوبة^(١) وربما كانت له
واجبات أخرى أيضا أي أنه كان يعمل إلى جانب «أحمس بن تاليتس»
ويقلب على الظن أنه نظم الإدارة في النوبة — ولما عين ثوري حاكما
على النوبة في السنة السابعة من عهد أمنتب الأول كانت له السلطات
المسكرة والمدنية في نفس الوقت ومن المحتمل أنه منح لقب «ابن الملك
في المنطقة الجنوبية» تشريفا له من أجل هذا السبب^(٢) وكان حكام النوبة
ينالون حظوة كبيرة في البلاط ويمنحون من ألقاب الشرف ما لا نجد له
مثيلا لدى حكام الأقاليم الآسيوية فقد توالى في هذا المنصب ما لا يقل
عن ثمانية وعشرين حاكما — ابتداء من عهد أمنتب الأول إلى نهاية
الأسرة العشرين^(٣) — واللقب المميز لهؤلاء الحكام هو «ابن الملك»
الذي كان في النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة يستعمل وحده
أو يضاف إليه «المشرف على البلاد الأجنبية» وابتداء من عهد تحتمس
الرابع أصبح لقب «ابن الملك في كوش» أكثر استعمالا من لقب «ابن
الملك» فقط كما كان يضاف إليه لقب «المشرف على البلاد الجنوبية»
أو «المشرف على بلاد الذهب الخاص بأمون» وقد لا يضاف إليه أيهما

JEA. 6, 78 (١)

JEA. 6, 29 ; AJSJL (1908, 108) (٢)

Asfour, op. cit., 173 - 4 (٣)

ولا شك في أن نائب الملك كان يحمل ألقابا أخرى كثيرة معظمها من ألقاب الشرف كان من أهمها لقب « حامل المروحة على يمين الملك » ، الذى استعمل ابتداء من حكم أمنحتب الثالث - وكانت « نس خونس » زوجة الملك « باى نجم » ، من الأسرة الحادية والعشرين - من بن من أنعم عليهم بلقب « ابن الملك » ، وهذا يدل على أن ذلك اللقب لا يرجع حرقيا كذلك لا يبدو أن غالبية حكام النوبة كانوا من أعضاء الأسرة المالكة .

ولا شك في أن هؤلاء الحكام كانوا ينالون من التقدير ويسبق عليهم من ألقاب الشرف ما يتناسب وكمية الجزية التى كانوا يرسلونها الى مصر وخير دليل على ذلك أن « أوسر ساتش » الذى عاش فى عهد « أمنحتب الثانى » ، وصف بأنه هو « الذى يجلب أعظم جزية من النوبة » ، كما وصف أيضا بأنه « الذى يملأ الخزائن بالالكروم » - ومع أن عمل حاكم النوبة كان يقتضى أن يكون من بين أولئك المشهود لهم بالقدرة فى الإدارة - إذ أنه يكاد أن يكون مستقلا فى وظيفته ويرأس جميع الموظفين - إلا أن بعض هؤلاء الحكام كانوا يحملون ألقابا عسكرية مثل « رئيس الاصطبلات » ، و « ضابط فارس » ، ومن بينهم من كان يقود قواته بنفسه . وقد ازدادت سلطة الحاكم بالتدرج حتى أنه كان يستطيع أحيانا أن يؤيد الملك ويعيد النظام فى مصر نفسها بفضل قواته التى يرأسها وقد حدث هذا بالفعل فى عهد رمسيس الحادى عشر حينما قامت الثورة ضده

إذ جاء « بانحصى ، على رأس قسواته إلى مصر حيث أعاد النظام ووطد سلطان الملك لاشك في أن حرى بحورنى نهاية الأسرة العشرين استمد نفوذه من جمعه للسلطات الدينية والزمنية فى يده إذ كان رئيسا لكهنة آمون وحاكما على النوبة فى نفس الوقت .

ويبدو أن سلطان حاكم النوبة كان يتغير من حين لآخر فى بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة كانت دائرة اختصاصه تمتد شمالا إلى إلفانتين ولكن فى عهد أمنحتب الثالث والرابعة امتد نفوذه الإدارى إلى جهات أكثر شمالا فى مصر العليا حيث وصل سلطانه إلى « نخن ، ومن المرجح أن سبب ذلك هو الرغبة فى جعل مناطق إستغلال الذهب فى كل من مصر والسودان تحت إدارة موحدة هى إدارته .

وكانت الأراضى التى يشرف عليها الحاكم مقسمة إلى قسمين رئيسيين لكل منها وكيل والقسم الأول وهو الشمالى يشمل بلاد واوات - التى تقابل النوبة السفلى الحالية - أما القسم الثانى وهو الجنوبى فيشمل كوش - الذى يقابل النوبة العليا وكل الأراضى السودانية التى خضعت للحكم المصرى وكانت عنبية عاصمة لواوات أما عاصمة كوش فغير معروفة على وجه التحديد ومن المحتمل أنها كانت تتغير من حين لآخر وإن كان من المرجح أن « عمارة غرب ، كانت عاصمة كوش ومقر وكيلها خلال عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين .

وكان النظام الادارى الذى يرأسه حاكم النوبة ووكيله شديداً بذلك الذى كان متبعاً في مصر ومعظم المدظفين الذين هُربنا على تسجيلات لهم كانوا من المصريين ولكن لا شك في أن نسبة من هؤلاء الموظفين كانوا من التوبيين المتمصرين الذين يصعب تفريقهم من المصريين الحقيقيين لأنهم حملوا أسماء مصرية واستعملوا أساليب الدفن المصرية كذلك كان للأمرء المحليين دورهم الكبير في الإدارة إذ كانوا مسئولين عن جمع الجزية من أقاليمهم وكانوا يحتفظون بوظائفهم طالما ظلوا على ولائهم لمصر.

اثر الفتوحات الأجنبية على مصر :-

أولاً : اثر الفتوحات الآسيوية

سبق أن أشرنا إلى أن أملاك مصر الآسيوية لم تكن تمثل قطراً واحداً وإنما كانت عبارة عن عدة وحدات سياسية صغيرة يتطلب إخضاعها جهداً كبيراً فتوالت حملات الفراعنة في تلك الجهات وخاصة لآي قوى قية أخذت في الظهور في غرب آسيا وهذه كثيراً ما كانت تطمع في الممتلكات المصرية أو تثير المتاعب فيها — وقد أدى ذلك إلى إتهاك موارد الدولة وإضعافها .

ومن المعروف أن الحروب دائماً تتمخض عن عدد من الأسرى وكان هؤلاء يصبون عبيداً يعتبرون ملكاً للبلد فكان يحتفظ ببعضهم ويوزع الباقين على ضباطه وعلى المعابد الدينية - وكان توالى حملات

الفراغنة سببا في تضخم عدد هؤلاء في مصر وقد استغلهم الملوك والأفراد في مختلف الأعمال ولكن بعضهم استطاع أن يصل بكفائه وجهوده إلى مناصب ممتازة .

وحيثما تطورت العلاقات بين ملوك مصر وملوك آسيا أقبل ملوك مصر على الزواج من أميرات آسيويات فأخذت الدماء الآسيوية تظهر في الملوك أنفسهم كما أن هذه المصاهرات أتاحت للكثير من العناصر الآسيوية أن تدخل إلى البلاط وأن تؤثر في آراء وأفكار الملك والحاشية كذلك ظهر مثل هذا التأثير أيضا بين أفراد الشعب الذين تشبهوا بملوكهم في الزواج من آسيويات وفي اقتناء الأسرى والأرقاء الذين الحقروم بخدمتهم الشخصية .

ولا بد أن بعض ملوك آسيا لم يكونوا مدفوعين في مصاهرتهم مع ملوك مصر بعلاقات الود وحدها وإنما كانوا يطمعون في مساعدات العاهل المصري ويتطلعون إلى ما يجنونه من خيرات مصر وخاصة من الذهب فقد سبق أن أشرنا إلى مراسلات ملك ميتاني التي كان يطلب فيها الذهب من صهره أمنتبب الثالث (١) . وقد تكرر طلب مثل هذه المساعدات من ملوك آخرين فشلا كتب « بورنا بورياش » ملك بابل إلى أخناتون رسالة جاء فيها « إني بخير وعسى أن تكون أنت بخير -

(١) أنظر أهلا س ٨٨

وبيتك وزوجاتك وأولادك في أحسن حال - لقد عقدت والدي ووالدك
الورد فيما بينهما فكانا يتهاديان نفس الهدايا ولم يمنع أحدهما الذهب
(عن الآخر) وودت لو أنك أرسلت لى بقدر ما كان يرسله أبوك فلم
أرسلت منين من الذهب فقط؟ لآنى الآن أبذل جهداً كبيراً فى
بناء المعبد وقد تمهدت العمل بقوة وسوف أنجزه بالدقة فأرسل لى قدرأ
كبيراً من الذهب وإذا رغبت فى شىء من بلادى فأبعث رسلك يأتوك به،

وجدير بنا أن نشير هنا إلى أن هؤلاء الأصهار أصبحوا يتنادون
فرهون مصر بلقب « أخى » وهو ما لم يكن معتاداً من قبل ويبدو أن
هية ملوك مصر ضعفت عن ذى قبل فقد جرؤ « كادشمان خاربى » ملك
بابل على طلب يد أميرة مصرية من بيت أمنحتب الثالث (١) ومع أن
طلبه قوبل بالرفض إلا أنه دليل على ضعف هية ملوك مصر عن ذى
قبل على أى حال .

ولا شك فى أن مهرة الصناع والفنانين الآسيويين وجدوا تشجيعاً

(١) « لنا » وحدة موازين بابلية تعادل نصف كيلو جرام - وقد استعمار
اليونانيون هذه الوحدة وتسموها الى مائة قسم أطلقوا على كل منها اسم « دراخما »
ومى التى اتخذ منها « الدرهم » فى العربية - أنظر - رطله باقر « مقدمة فى تاريخ
المضاربات القديمة » الجزء الأول ص ٣٨٠ .

Knudtzen, op. cit., Letter no. 11.

(١)

في مصر إذ استقدمهم الملوك والأفراد واستخدموهم في مختلف نواحي
الانتاج وقد ازداد عددهم إلى درجة كبيرة حيث يبدو أثرهم واضحا في
مختلف الصناعات ولا بد كذلك من أن الفنان المصري تأثر بهم إذ نجد
في مخلفات هذا العصر ما يوحي بتخلى الفن المصري عن بعض طابعه
التقديم أو إنحرافه عنه .

وربما كانت هذه الجالية الآسيوية الكبيرة سواء في البلاط
وغيره — من بين الأسباب التي دعت إلى محاربة نفوذ كهنة آمون أو
تشجيعها كما أنها شجعت على إقبال المصريين على اللذات والتمتع بمباهج
الحياة وأخذوا في التخلى عن تقاليدهم القديمة وفقدوا بميزاتهم كحاربين
وبدأت روح التهاون تدب فيهم مما أفقدهم الكثير من أملاكهم وأقبلوا
على استخدام الجند المرتزقة من أجل الأبقاء على البقية الباقية منها وأدى
هذا بدوره إلى إهلاك موارد الدولة - كذلك لم يعد أفراد البيت المالك
يهتمون بتقاوة الدماء الملكية ولا المصرية وغير ما يدل على ذلك
ما نعلم من زواج امنحيب الثالث من الملكة تي التي وكانت من عامة الشعب
وإرسال إحدى المملكات إلى « سوبولويوما » ملك الحيثيين كي يرسل
لها أحد أبنائه لتزوجه (١) ويشاركها عرش مصر .

وقد استفحل خطر العناصر الآسيوية المقيمة في مصر لأنها وصلت

(١) أنظر أعلاه ص ٩١-٩٢

إلى مراكز ممتازة مما ساعدها على القيام بكثير من الدسائس والمؤامرات
فثلا ينسب إلى « إرسو » الذى اغتصب العرش فى نهاية الأسرة التاسعة
عشرة أنه كان « رئيسا للديوان » فى أواخر عهد هذه الأسرة وكان اسمه
حيثئذ « باى » (قبل أن يغير اسمه إلى « إرسو ») وأنه استطاع أن يجبر
الملكة « تاوسرت » على قبول ارتقاء ولدها « سبتاج » على العرش وهو
ما زال حديث السن بدلا من أن تنفرد هى به ^(١) كما أنه تمكن فى نهاية
الأمر من اغتصاب العرش لنفسه - كذلك نجسد فى نصوص محاكمة
المتآمرين الذين أرادوا اغتيال رعسيس الثالث أسماء عدد من هؤلاء
الأجانب الذين وصلوا إلى مراكز رفيعة فى البلاط وكان من بينهم
بعض المتهمين وبعض القضاة أيضا .

ومن كل هذا زى بأن علاقة مصر بتلك الأقطار الآسيوية لم تكن
دائما فى مصلحة مصر ومع هذا لم تحصل منها الا على موارد قليلة نسبية
فباستثناء غنائم الحملات التى قام بها الفراعنة فى تلك الجهات كانت جزيتها
السنوية ضئيلة بالقياس إلى جزيرة النوبة التى سنشير إليها فيما بعد ولا
تكاد تخرج هذه الجزيرة فى معظم الأحيان عن العاج وبعض الأحجار
شبه الكريمة والنحاس والفضة والأخشاب الثمينة والعطرية وبعض
المصنوعات والرقيق والمجلات الحربية ولا يمكن أن تعطى صورة

Gardiner, op. cit., 277 - 8 , JEA 44, 12 ff (١)

حقيقة عن الكميات التي كانت ترد منها ولكنها كما يبدو في نقوش الجزية من هذا العصر أنها كانت أقل دون شك من واردات النوبة على أي حال وكان بعض المفتشين المصريين يذهبون في أوقات منتظمة للتفتيش على الممتلكات المصرية في آسيا ويشرفون على إرسال تلك الجزية إلى مصر.

(أنظر شكل ٦)

ثانيا : اثر الفتوحات النوبية :-

سبق أن أشرنا إلى العلاقات التاريخية والحضارية التي ربطت بين مصر والنوبة وكيف أن المصري اعتبر هذه الأخيرة جزءاً متمماً لبلاده نشر فيها ثقافته إلى درجة تحمل على الاعتقاد بأنها تمصرت تمصراً يكاد يكون تاماً - ومع أن ما ذكر عن الأسرى الآسيويين يمكن تطبيقه كذلك على الأسرى النوبيين في أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة على الأقل إذ تزايد عددهم في مصر نظراً للجملات التي تكرر توجيهها ضدها إلا أن توقف الحملات أو ندرتها بعد ذلك قد أدى إلى نقص الأرقام الذين وردوا من النوبة عن هذا الطريق على أنه يجب أن نلاحظ بأن الحملات المصرية على النوبة لم تكن هي المصدر الوحيد لرقيق النوبة بل كان بعض العبيد يجلبون منها في أوقات السلم أيضاً كجزء من الجزية (١)

(١) توجد بعض الاشارات إلى رقيق من مختلف الجهات الآسيوية ولكن من المرجح أن هؤلاء جاءوا إلى مصر عن طريق التبادل التجاري - أنظر : أدواف لومان ، هرمان وانسكه « مصر والحياة المصرية في العصور القديمة » ترجمة الدكتور عبد المصم أبو بكر ، محرم كمال ص ٥٩٤ .

ويلاحظ في هؤلاء أن الواردين من كوش كانوا أكثر من الذين يحملون من واوت وربما كان ذلك لأن الكوشيين أقوى بنية وأحسن أجساما وأقدر على احتمال العمل من أهل واوت - وكان أسرى الحروب يوزعون على مختلف الأعمال حسب نوعهم وسنهم ؛ فتكويينهم الجسماني فكانت النساء للفزل والنسيج والرجال يعملون في الزراعة والصناعة واستخراج الذهب وغسله أما الاطفال فكانوا يدربون على الاعمال التي يعدونهم للقيام بها في المستقبل ولما كان من الممكن استئجار العبيد والاتجار فيهم فإنهم أصبحوا مصدر ثروة لأصحابهم - أما الرقيق الوارد كجزية فلم يكن في أعداد كبيره فثلا لم يزد مجموع الرقيق الذي تذكره حوليات تحتمس الثالث ضمن جزية النوبة في عشرة أعوام - فيما بين سنتي ٣١ ، ٤٠ من حكمه على ٥٧ شخصا أي أن العدد السنوي من هذا الرقيق كان ضئيلا جدا بدرجة لا يمكن أن يؤثر على حالة العمل في مصر ولذا فن المرجح أن أفرادهم كانوا - من أجل مهارتهم وحسن منظرهم - ينتخبون من أجل القيام بأعمال خاصة فكان بعضهم يلحق بخدمة الملك الشخصية كالأتباع وحلة المراوح والدروع وقيادة العربات الحربية وما أشبه ذلك كما كان بعضهم يعملون كخدم خصوصيين أو صناع لإنتاج مصنوعات خاصة تحتاج إلى دراية بالفن النوبي .

ولم يكن الأسرى الأرقاء وحدهم هم الذين يصالون من التوبيين إلى مصر فقد عرفنا أن العناصر النوبية كانت دائما الوفود اليها منذ

عصر الدولة القديمة على الأقل حيث استخدمت كجنود مرتزقة وحراس
 وظهرت مميزات أعمال الحراسة والشرطة وخاصة في حراسة الحدود
 والمشارب العامة وفي الصيد كما أنها كانت تستخدم في الحروب وفي حفظ
 النظام في الامبراطورية فقد استنجد الأمراء الآسيويين بالفرعون لسكى
 يرسل لهم نجدات من القوات النوبية -- وكان الجنود النوبيون في
 أغلب الأحيان يلبسون ملابس مصرية ويشبهون الجنود المصريين في
 مظهرهم العام وإذا ما منلت فرق مختففة في أحد النقوش فإن الفرق
 النوبية تكون أقرب للفرق الأجنبية شبا إلى المصريين -- ولعل مظهر
 بعض الجنود النوبيين كان يدعو إلى الفخ -- راحيانا في أحد النصوص
 المتعلقة يتقل إحدى المسلات تشير حثشبسوت إلى « فتيان خنت حن نفر، ⁽¹⁾
 وإلى جانب هؤلاء نجد أن بعض أبناء الأمراء والطبقات العليا
 يجلبون إلى مصر كرهائن وفي نفس الوقت يتعلمون في البلاط مع أبناء
 الأمراء المصريين ويعتبرون من رجال الحاشية ويعطون القابا تناسب
 مع مراكزهم وواجباتهم في القصر وكان بعضهم يتمسك بالاحتفاظ بها
 حتى بعد أن يصل إلى مراكز عليا فقد إفتخر « حقانفر » أمير هنبية
 ب« صانع صندوق الملك ، والوصيف » إلى جانب القابا الأخرى .
 ومع أن النوبيين كانوا كشعب مغلوب على أمره يكلفون أحيانا

(1) « خنت حن نفر » تعبير عام عن النوبة حاول Steindorff توحيد

مع « كوش » ومع التعبير اليوناني « أثيوبيا » ولكن لا يمكن تأكيده ذلك
 أنظر Asfour, op. cit., 7 - 8

بالأعمال الشاقة أو التي يألف المصري من القيام بها إلا أنه لا شك في أن الكثيرين منهم قد وصلوا إلى مراكز ممتازة وخاصة في البلاط حيث كانوا يعينون في حراسة الملك وهكذا كانوا يستطيعون القيام بدور فعال في شئون مصر الداخلية ، ومن جهة أخرى كان النوبيون — رغم تمصرهم وصلتهم الوثيقة بمصر والمصريين — غير منزهين عن الحرص على مصالحهم الخاصة دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى فكثيرا ما كانوا يلجأون إلى العنف أو إغتصاب حقوق الغير في سبيل الحصول على المنفعة — وقد بلغ من تدخلهم في السياسة العليا للبلاد أن أحدهم وكان رئيسا للرماء اشترك في المؤامرة التي دبرت لاغتيال رعحميس الثالث . كذلك لعبت القوات النوبية البعيدة عن مصر دورا هاما في سياستها إذ أن « بانحمسى » حاكم النوبة جاء إلى مصر بقواته النوبية لكي يعيد الهدوء إلى البلاد وأن يحفظ عرش رعحميس الحادى عشر ومن المحتمل أنه كان مسؤولا كذلك عن تعيين حريحور كبيرا الكهنة ولذا حينما أصبح هذا الأخير صاحب السيادة في مصر العليا قدر ما لو وظيفة حاكم النوبة من أهمية فمين ولده « بعغنى » فيها .

ولا شك في أن النوبة بقواتها العسكرية ومواردها الضخمة كانت ذات قيمة عظيمة للدولة ولا بد أن هذه الموارد والقوات كانت تكفل ترجيح كفة من يحصل عليها ولذا فن المحتمل أن المتنازعين العرش كانوا يمسكون بجاهدين لاكتسابها إلى جانبهم ومحاولة الافادة منها بقدر

الامكان ولذا نجد أن ملكا مثل سبتاح لا يأقف من الذهاب بنفسه الى النوبة لكي يثبت حاكمها في وظيفته ويرسل بعض الهدايا الى كبار الموظفين فيها .

ورغم أن النوبة كبلاد مفتوحة كانت تتيح الفرص للراغبين من المصريين في تحسين مستوى معيشتهم الا أن ظروف الحياة فيها لم تكن مشجعة كل التشجيع اذ تطالع في بعض المصوص أن الشخص في قاعة المحكمة - رغبة منه في الاقناع بصحة ما ذكره - كان يقول ولتجدع انفى وتصلم أذناى وأرسل الى كوش لو أن ماقلته كان كذبا،^(١) وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله كان بعض المصريين يرسلون الى كوش للعمل في مناجم الذهب أو لمجرد العقوبة فقط

ومع كل فإن الثروة التى تدفقت من النوبة كانت سببا في زيادة الرخاء والرفاهية وقد أدى هذا بالطبع الى نفس النتيجة التى أدى اليها فتح البلاد الآسيوية حيث أخذ المصريون يميلون الى الرفاهية والدعة واتخذوا جنودا مرتزقة في الدفاع عن بلادهم ولم يكن لهذا من أثر سوء الانحدار بالبلاد الى الضعف حتى انهارت وأصبحت فريسة للطامعين ولم يكن بقاء الوبنة في قبضة مصر مدة أطول من الممتلكات الآسيوية

Gardiner, The Inscriptions of Mes, no.28 (١)

(Untersuchungen, 3)

الا بسبب اختلاف العلاقات التاريخية والحضارية التي ربطت بينها
واختلاف الظروف الدولية في غرب آسيا عما كانت عليه من قبل من
جهة أخرى .

وإذا ما أردنا أن نكون فكرة عن واردات النوبة فإن من العسير
أن نعطي أرقاما دقيقة للكليات التي وردت الى مصر منها إذ أن كثافة
سكان النوبة في عهد الدولة الحديثة لا يمكن تقديرها الآن الاراضى الواقعة الى
جنوب الشلال الثانى لم تدرس بعد دراسة وافية كما أن معظم المقابر التي اكتشفت
في المنطقة التي الى الشمال منها وجدت منهوبة أو لا تحوى على آثار مادية
تعطى صورة كاملة عن تاريخ وكثافة السكان ولهذا فان النتائج الأثرية
وحدها لا تكفى لتقدير نشاط النوبة الاقتصادية تقديرا مؤكدا في هذا
العهد ولكن مع هذا يمكن أن نستنتج من مصادر أخرى أن النوبة
السفلى كانت خصبة وكان النشاط الزراعى قائما بها الى زمن الرعامسة
على الأقل الا أن مساحة اراضيها الزراعية كانت أقل منها في مصر بطبيعة
الحال إذ يشير أحد النصوص التي وجدت بالقرنة — ويرجع الى عهد
رعسيس الثانى — الى عدد من القرى والنواحي في تلك الجهة ولم يمكن
التعرف على معظم هذه الجهات بما يوحى بأنها اختتمت بعد ذلك وهناك
نصان آخران وجدوا في أبو سمبل ويفتميان الى نفس الفترة يشيران الى
منح بعض الاراضى لمعبد فرس وأن بعض الاراضى الأخرى القرية
كانت ملكا لذلك ولبعض الافراد وهناك نص في مقبرة في عنبيه يذكر

الأراضي التي أوقفت من أجل الطقوس الخاصة بتمثال رعسيس
السادس في مناطق عنيفة والدر وأن تلك الأراضي كانت تمثل حقول
كتان وبساتين كذلك نعرف من حوليات تهمس الثالث بأن التمسح كان
يزرع في واوات .

وكانت الجزية عادة تبلغ للملك في نقوش مقبرة «خع إم حات، نرى
منظرا يبين معلومات عن المحصول في الامبراطورية « من كوش إلى
نهارينا (١) ، حيث كانت تقرأ على الملك أمنحتب الثالث - ومعظم
جزية كوش كانت في أول الأمر - كما تبسود في نقوش من عهد
حتشبسوت - من المواد الغذائية كذلك يبين مرسوم «نورى، بأن الوراثة
لعبت دوراً هاماً في كوش أثناء حكم سبتي الأول ويعدد أنواع الموظفين
والعمال الذين كانوا ملحقين بملكيات معبد أبيدوس في النوبة فهو يبين
أنه كان هناك حراس حقول ورسل ونحالة وعمال زراعيين وبستانيون
وصائدو أسماك ومشرفين على تربية الطيور . كما يبين أنواع العقوبات
التي توقع على الموظفين الذين لا يتوخون الصالح العام ويتضح من نص
هذا المرسوم أيضاً أن هذه المؤسسة لم تكن معفاة من الضرائب ولا يعفى
عمالها من السخرة .

ولا يمكن تحديد كمية جزية النوبة بالدقة إذ لا توجد قوائم كاملة

(١) نهارينا هي منطقة منحني القرات كما ذكرت في نصوص الدولة الحديثة

عنها ولا تعطى القوائم الرسمية مثل قوائم تحتمس الثالث . أعداداً تدل على حجمها أو وزنها بالدقة ومع هذا فإن فكرة تقديرية يمكن الحصول عليها من المعلومات التي تدل على عدد الرجال اللازمين لحمل الجزية المثلة في مختلف النقوش ومن أمثلة ذلك نص من عهد أمنحتب الثاني في أبريم يعطى التفصيلات الآتية : —

ذهب (٩)	يحملة ١٥٠ رجل
طاج	يحملة ٢٥٠ رجل
أبنوس	يحملة ١٠٠٠ رجل

كذلك يمكن أن نكون فكرة عن كمية جزية النوبة بما كان يوقف منها على المعابد ومقارنته بما كان يوقف على هذه المعابد من مصادر أخرى ولا شك في أن مثل هذه المقارنة تدل على أهمية الجزية النوبية في الاقتصاد المصري .

ومن دراسة قوائم الجزية النوبية في عهد تحتمس الثالث يتضح لنا أنها كانت تنقسم إلى :— جزية واوات وجزية كوش كما أن الذهب كان دائماً يظهر على رأس هذه القوائم وأن هناك من الاشارات ما يفيد بأنه فضلاً عما ورد بتلك القوائم كانت كل المحاصيل الطيبة تجلب إلى مصر أيضاً ويدراسة هذه القوائم نلاحظ أن الذهب كان أهم الحاصلات النوبية وأن الوارد إلى مصر من ذهب « واوات » كان أكثر من ذلك

الوارد من كوش وربما كانت هذه الوفرة ترجع إلى سهولة نقله من
راوات عن كوش لقربها من مصر - وتتحصر جزيرة كوش في قدر ضئيل
من الذهب وفي العبيد والماشية والعاج والأبنوس والحبوب وبعض
الجلود بينما كانت جزيرة راوات عبارة عن الذهب والحبوب وعدد ضئيل
من العبيد والماشية ونادراً ما كان يذكر العاج والأبنوس ومن الواضح
بأن الماشية التي كانت ترد من كوش تعادل أربعة أمثال تلك الواردة
من راوات وأن العبيد منها كانوا أكثر عدداً من عبيد راوات بينما كان
الذهب الوارد من راوات أعظم كثيراً من الذهب الوارد من كوش
ولاندى هل كان العاج والأبنوس اللذان يذكران في جزيرة راوات يجلبان
منها مباشرة أو أنها كانت تحصل عليها عن طريق التبادل التجارى مع
بلاد بعيدة عنها .

وفي أوائل الاسرة الثامنة عشرة كانت جزيرة النوبة تتكون أساساً
من المواد الخام فالذهب كان يصل في حلقات أو قضبان صغيرة
والأبنوس في كتل والعاج في هيئة أنياب الفيل ولكنها ابتداءً من عهد
الهارنة شملت إلى جانب ذلك منتجات نوبية تمثل مختلف أنواع الصناعات
إذ حوت كراسى ومقاعد ودروع وأقواس وسهام وتحف ذهبية جميلة
كالانداح ذات الأشكال الفنية كذلك وجدت بعض المصنوعات المصفحة
بالذهب مثل قطع الأثاث التي حوت قوائم شكلت في هيئة سيقان
الحيوانات أو النخيل وغيرها - كذلك كانت هناك أشياء كثيرة مطعمة
بالاصناف والعاج وبدراسة الجزية النوبية يبدو أن راوات كانت

بصفة عامة متقدمة صناعيا عن كوش كما أننا نلاحظ أن بعض المواد الخام التي جلبت من النوبة لم يمكن الاستدلال عليها تماما ولكن مظهرها يوحي بأنها كانت عبارة عن بخور وأحجار كريمة وشبه كريمة - وهناك كثير من الأدلة التي تثبت بأن المصريين كانوا هند قطع أخشاب النوبة يفضلون بناء السفن اللازمة لنقلها في النوبة نفسها بدلا من جلبها من مصر - ورغم تطور الصناعة النوبية وخاصة في أعمال النجارة فإن أنواع الأخشاب الثمينة النادرة كانت ترسل إلى مصر في هيئتها الخام دون أن تصنع كذلك يلاحظ بأن العاج والابنوس كانا يذكران دائما معا لأنها كانا يستخدمان معا وفي الغالب كانا يجلبان من منطقة واحدة أيضا - وكانت الحيوانات ومنتجاتها ذات أهمية عظمى فالنعام ولو أنه كان يعيش في الصحارى المصرية إلا أنه كان هو وريش النعام وبيضه يجلبون من النوبة وقد استخدموا بكثرة في الصناعة ومن المحتمل أنهم كانوا يصدرون إلى أقطار البحر المتوسط وكانت القرود محبوبة وقد مثلت في مناظر العملات والحياة اليومية كذلك نجد الزراف ممثلا لأول مرة في مناظر مقابر الدولة الحديثة ووجدت التهود الحية ضمن جزيرة كوش وبما حوتها جزيرة النوبة أيضا كلاب الصيد والغزلان وأنواع مختلفة من الماشية التي لا تكاد تخلو منها مناظر الجزيرة والنوبية وقوائمها والسجلات الخاصة بها ومع هذا فإن أعداد الماشية التي كانت ترد من النوبة ضئيلة نسبيا لأن بعد المسافة وصعوبة النقل كانا يحولان دون

إرسالها إلى مصر وعلى هذا يمكن أن نستنتج بأن النماذج
المختارة من هذه الحيوانات هي التي كانت ترسل إلى مصر
فقط بينما كانت بقية الحيوانات الأخرى التي تضمنتها الجزية
تستخدم محلياً (أنظر شكل ٧) .

و- العصر المتأخر في مصر وتغير ميزان القوى في الشرق الأدنى

(من الأسرة الحادية والعشرين الى الأسرة الثلاثين)

(سنة ١٠٨٥ الى سنة ٣٣٢ ق . م)

رأينا كيف أن رمسيس الثالث - رغم جهوده المشكورة في الدفاع عن البلاد ضد اشعوب الهندو أوربية والابقاء على كيان الدولة أثناء حياته - إلا أنه لم يستطع أن يجنبها المصير الذي كانت في طريقها اليه - وقد انتهت الأسرة العشرين بحكم خلفائه الضعاف الذين حكموا أقل من ٧٥ سنة كان نفوذهم فيها يتضاءل وسلطانهم في طريقه الزوال حتى صاروا العوبة في يد الكهنة الذين استطاعوا أن يستحوذوا على السلطة وقد أخذ نفوذ مصر في الخارج يزول تدريجياً حتى فقدت ممتلكاتها في آسيا ولم يبق في يدها إلا التوبة ، ويمكن القول أن مجد الامبراطورية المصرية انتهى إلى الأبد بعد وفاة رمسيس الثالث ولم تقم لها قائمة إلا لفترة وجيزة جداً خلال عهد الأسرة السادسة والعشرين . أما في داخل البلاد نفسها فقد انتشرت الفوضى وكثرت حوادث السرقة وكان من ضعف الملوك أنهم تركوا الكلمة العليا للاله آمون يستشيرونه في كل الأمور حتى أن

وحيه كان يتحكم في تعيين الموظفين ويحاكم المذنبين ويتدخل في كثير من الشئون الإدارية بل والشخصية أيضاً .

الاسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ - ٩٥٠ ق.م) .

ما أن تولى رعمسيس الحادى عشر ، حتى كانت أسرة قوية في شرق الدلتا قد استولت على السلطة وأصبح رئيسها سمنس ، ملكاً على الدلتا ومصر الوسطى ولم يجد رعمسيس الحادى عشر أمامه إلا الفرار إلى طيبة حيث استقبله كبير الكهنة و حربحور ، الذى جمع كل السلطات في يده ولم يكن لذلك إلا نفوذ إسمى فقط واستمر البيتان بيت سمنس في الشمال وبيت حربحور في الجنوب يقسمان السلطة خلال الاسرة الحادية والعشرين إلى أن تمكنت بعض العناصر الليبية التى كانت قد استقرت في مصر منذ أن سمح لها رعمسيس الثالث بالاستيطان فيها من تكويرين الاسرة الثمانية والعشرين والثالثة والعشرين . وربما كانت الاسرة الرابعة والعشرين تنتمى اليها هى الاخرى .

ويجب أن لا يغيب عن الذهن أن انتقال العاصمة إلى الشمال منذ عهد رعمسيس الثانى قد جعل قبضة الملك تراخى عن طيبة ومصر العليا وأخذ نفوذ مصر يضعف في النوبة ، كما أن الأحوال التى كانت سائدة في آسيا لم تكن مشجعة على بقاء نفوذها في تلك الجهات . وفي نفس الوقت عاد أمراء الاقاليم إلى سابق قوتهم واستفحل خطر كهنة آمون والجند المرتزقة وعمد القوضى حتى أصبح الملك عاجزاً عن سياسة

الدولة إلى جانب ما كان عليه الملوك أنفسهم من ضعف مشين فبعد أن كان الملك يذهب إلى النوبة غازياً أو لتثبيت نائبه في منصبه هناك ، كما حدث في عهد الاسرة التاسعة عشرة نجد على العكس من ذلك أن نائب الملك في النوبة يحضر إلى مصر في عهد رعمسيس الحادى عشر لكي يهدى الثورة التي قامت في البلاد - وهكذا يبدو لنا مقدار تغير الظروف فيما بين الاسرتين التامعة عشر والعشرين ، ويمكن أن نستنتج هنا أيضاً أنه بينما كانت مصر تنحدر نحو الضعف أخذت النوبة - وإن ظلت تحت حكم المصريين - تبرز إلى الميدان كقوة فعالة لها اثرها .

ولم يقتصر تغيير الظروف على مصر والنوبة وحدهما بل حدث أن تغيرت الظروف في غرب آسيا كذلك فقد كانت هذه المنطقة كثيرة القلاقل نظراً لانقسامها إلى عدد من البيئات المختلفة التي نشأت فيها قوى مختلفة وكثيراً ما كانت هذه القوى نفسها تزول وتحل محلها قوى جديدة وقد سبق أن رأينا أن بعض تلك القوى التي ظهرت في بعض العصور الفرعونية ما لبثت أن اختفت وحلت محلها قوى أخرى ، ففي خلال الالف الثاني قبل الميلاد . كانت السيادة الدولية في هذه المنطقة تتنازعها بضعة قوى . فدولة البحر كانت في جنوب العراق والكاشيون في الوسط وآشور في الشمال والشمال الشرقى ومع أن الاشوريين كانوا يجهدون للانفصال عن الكاشيين الا أنهم خضعوا للبيثانيين الذين كانوا ينافسون الحيثيين ، وكانت الدولة الحيثية تسيطر على آسيا الصغرى ،

وامتد نفوذها حتى قضت على دولة بابل الأولى وسيطرت على شمال العراق وسوريا إلى أن اصطدمت بالمصريين في ممتلكاتهم الآسيوية - وظل سلطان الحيثيين آخذاً في الإزدياد ، بينما كان الميتانيون ينحدرون إلى الضعف حتى استطاعت آشور أن تتخلص من حكمهم على يد آشور أوباليت ، حوالي سنة ١٣٠٨ ق م .

ولم يمض وقت طويل إلا وأصبحت الولايات الغربية في شبه جزيرة الأناضول على جانب كبير من القوة وأخذت - هي والشعوب الهندو أوربية في جزر بحر إيجه وبلاد اليونان - تتدخل في شئون الولايات الحيثية - ثم حدث أن تدفقت على جنوب أوروبا هجرات كان من نتائجها ظهور عناصر هندو أوربية - لاتينية ويونانية - في شرق البحر المتوسط وقد عرفت هذه العناصر باسم شعوب البحر وكان منهم الفلستيفيون الذين احتلوا فلسطين والردانيون والشردان (نسبة إلى سردينيا) والشكلش (أهل صقلية) والفريجيون الذين احتلوا شمال غرب آسيا الصغرى .

وفي نهاية الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد أسست العناصر الآرامية التي كانت في أعلى الفرات - ممالكها في سوريا ومن بينها مملكة دمشق التي أصبحت ذات نفوذ كبير في تلك الأثناء وبلغ من قوة هذه العناصر أن صارت اللغة الآرامية لغة دولية في الألف الأول

قبل الميلاد، كما أن نفوذها ظل متغلغلا في بابل حتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد حينما نشأت بها دولة بابل الكلدانية (الجديدة) كذلك كانت هجماتها سبباً في انكماش دولة آشور ولكن ما لبثت هذه أن استعادت قوتها وسيطرت على الطرق التجارية والعسكرية المؤدية إلى بابل وخضعت لها سوريا وفلسطين ومع كل فقد كان لهذه العناصر الآرامية والآشورية أكبر الأثر في زوال النفوذ الحيثي وانتقال السيادة في تلك الانحاء إلى الدولة الآشورية .

وهكذا نجد أن السلطان في مصر في عهد هذه الأسرة كانت تتنازعها قوتان : البيت المالكي في شمال شرق الدلتا وبيت الكهنة في طيبة ، ولا يعرف الكثير عن هذا العهد إلا أنه من المؤكد أن الحالة في غربي آسيا قد تغيرت تماماً ، فبعد أن كان ملوكها وأمرؤها يسجدون خضوعاً لفرعون مصر لم يعد أحد منهم يأبه لها أو لفراعتها بل ولا لآلهتها أيضاً . وقد شغلت مصر بأمور نفسها وأصبحت أضعف من أن تعيد شيئاً من سابق هيبتها في تلك الجهات وخير ما يدل على ذلك أنه حينما أراد كاهن طيبة أن يجسد سفينة آمون المقدسة أرسل إلى الملك سمندس رسولاً يدعى « وبنامون » لكي يزوده بالمال والهدايا اللازمة لشراء خشب الأرز من لبنان ، وأن ييسر له الوصول إليها حيث نطالع في نصوص هذه القصة كيف أن رسول مصر تعرض لإعتداءات متكررة وسرق منه ما كان يحمله من مال ومتاع ، كما قوبل بالاستنكار والازدراء من

من حاكم جبيل (بيلوس) (١) . ولم يحدث هذا لرسول مصر بالطبع إلا لأن هيبتها وسمعتها قد أنهارت تماما في تلك الانحاء .

أما عن علاقة مصر بالنوبة فإتينا نلاحظ بأن هذه الأخيرة وإن ظلت على ولائها لمصر إلا أنها أصبحت منفصلة عنها من الناحية الإدارية .

الاسرة الثانية والعشرون (٩٥٠ - ٩٠٠ ق.م .) .

لم تستمر الاسرة الحادية والعشرون طويلا وكانت من الضعف بحيث تمكنت أسرة ليبية من تلك العناصر - التي كان رعسيس الثالث قد سمح اليها بالاستيطان في غرب مصر - من أن تستولى على العرش مؤسدة للأسرة الثانية والعشرين التي كان على رأسها « شيشنق الأول » .

وقد ظلت العلاقات خلال عهد هذه الأسرة بين البيت المالكي ورؤساء الكهنة في طيبة - الذين كانوا أحيانا يمدعون الملك - تآرجح بين الود والعداء - ولكن لاشك في أن ثورة حدثت في الواحات الداخلة في أوائل عهد شيشنق كما يشير إلى ذلك نص مؤرخ في السنة الخامسة من حكمه (٢) ولما كانت آشور قد تعرضت لبعض المتاعب الداخلية فإن انفصالها بأمور نفسها قد أتاح الفرصة لبعض الشعوب الصغيرة من

(١) Gardiner, op. cit., 306 - 312.

(٢) JEA 19, 19ff.

تكوين ممالك لها في فلسطين وسوريا^(١) ولم تكن هذه على درجة كبيرة من القوة وفضلا عن ذلك كانت كثيرة التناحر فيما بينها وليست لدينا معلومات مؤكدة عن علاقة هذه الممالك الجديدة بمصر ولا تمدنا الوثائق التاريخية إلا بقدر ضئيل من المعلومات عن علاقة مصر بالجهات القريبة منها في هذه الفترة ولكن نظرا لأن مملكة عبرانية قوية قد نشأت في فلسطين فإن الكتاب المقدس يشير إلى بعض الأمور التي يمكن أن توضح شيئا عن هذه العلاقات حيث يقص علينا أن أحد قواد داود، قام بعمل مذبح في إيدوم فر على آرها أحد الأمراء إلى مصر حيث عاش في رعاية فرعون وتزوج بأخت الملكة^(٢) وينبغي الظن أن هذا الفرعون المشار إليه كان أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين ثم نجد إشارة أخرى تدل على أن هذا الأمير رجع إلى بلاده حيث ظل في عداوة دائمة مع سليمان، - خليفة داود - كما نجد ما يشير إلى أن ساجان تزوج من ابنة^(٣) فرعون ولاندى هل كان فرعون المقصود هنا هو آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين أو غيره حيث يشير الكتاب المقدس أيضا إلى أن هذا الفرعون أتولى على جزر وأحرقها بالنار وذبح الكهنةانيين المقيمين بالمدينة وقدمها إلى ابنته زوجة سليمان^(٤) وكل هذه النصوص وإن

(١) من هذه الممالك فينيقيا وفلسطين واسرائيل وعب وآب وإيدوم

(٢) سفر الملوك الأول الأصحاح ١١ الآيات ١٤ وما بعدها .

(٣) سفر الملوك الأول الأصحاح الثالث الآية الأولى .

(٤) سفر الملوك الأول الأصحاح ١٤ الآيات ٢٥ - ٢٦ ، الأصحاح ٩ الآية ١٦

بدت ذات طابع تاريخي إلا أنها لا تحدد أسماء الفراعنة الذين حدثت في
 عهدهم - غير أن هناك بعض الاشارات التي يمكن منها معرفة ما حدث في
 عهد شيشنق فقد فر « يربعام ، إلى مصر في عهد سليمان والظاهر أنه أوحى
 إلى شيشنق بمهاجمة فاسطين وحينما عاد « يربعام ، إلى بلاده أصبح ملكا على
 اسرائيل في حين كان « رحبعام بن سليمان ، يحكم على يهودا وفي السنة الخامسة
 من عهد هذا الملك الأخير قام الملك المصري إلى اسرائيل حيث جردها من
 كنوزها ومع هذا فان النقوش التي تركها شيشنق على جدران معبد
 الكرنك لا تعطى معلومات واضحة عن سير الحملة التي قام بها بل ويخامرنا
 الشك في أن شيشنق قد استولى على كل تلك المناطق التي ذكرها في
 نقوشه وهكذا نجد أن شيشنق يستأنف نشاطه يهودا في الجهات الآسورية
 القريبة - ولاندرى هل كان هذا النشاط يسبب رغبة شيشنق في إعادة
 مجد مصر القديم أو من أجل تأييد يربعام أو انه كان مجرد لإغارة
 النهب .

وقد تبع شيشنق ملوك ضعاف إلا أن النفوذ الليبي ظل متغلغلا في
 البلاد وفي تلك الاثناء كانت آشور قد أخذت تستعيد قوتها وما أن
 اعتلى « شلنصر الثالث ، (٨٥١ - ٨٢٤ ق.م) على العرش حتى قام بسلسلة

(١) انقسم ملك المبرانيين بعد وفاة سليمان إلى مملكتين مملكة اسرائيل
 وكانت تضم عشرة قبائل من قبائل المبرانيين الأثنى عشر ومملكة يهودا التي
 كانت تضم قبيلتين وحكما رحبعام بن سليمان .

من الحملات وطد بها أركان مملكة ووسع امبراطوريته حتى أصبحت تمتد من الخليج الفارسي جنوبا إلى أرمينيا شمالا ووصلت حدودها الغربية إلى البحر الأبيض المتوسط وقد تكون حلف ضده من المدن الفينيقية وملك إسرائيل كما أرسل آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين - نكلوت الثاني - مددا إلى هذا الاتحاد ولكن شلنصر استطاع أن ينصر على هؤلاء الحلفاء انتصارا حاسما ولم يفس بالطبع الدور الذي قامت به مصر وكان من نتيجة هذا أن اتجهت انظار الاشوريين إليها وبالفعل أعد شلنصر العدة اغزوها ولكنه رجح من حملته قبل أن يصل إلى الحدود المصرية إذ وصلته أنباء حدوث ثورة في بلاده حيث كان أحد أبناءه قد طمع في العرش وقد ظلت الثورة ما يقرب من ستة سنوات ثم أخذت الدولة بعد ذلك في الضعف ولكن ما أن انتقل الحكم إلى أسرة جديدة (الأسرة الخامسة الاشورية) إلا واستطاع مؤسسها « تجلات بلاسر الثالث » (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) أن يبلغ بامبراطوريته حدودا لم يصلها أحد أسلافه من قبل وأخضع الدولة البابلية لسلطانه كما اجتاح ابنه « شلنصر الخامس » (٧٢٧ - ٧٢٢ ق. م) مدن فينيقيا ولكنه لم يستطع الاستيلاء على صور .

وبما يلاحظ أن التأثير الحضارى لبلاد ما بين النهرين على سوريا وشرق البحر المتوسط كان أقوى من التأثير المصرى

ولكن شعوب هذه المنطقة كانت دائماً تحاول التخلص من سيادة دول بلاد ما بين النهرين التي تتمكن من إخضاعهم في حين كان ملوك بلاد ما بين النهرين يعملون دائماً على بقائها في قبضتهم ولا يتخلون عن فكرة إخضاعها لسلطانهم بمجرد أن تستقر لهم الأمور في بلادهم وهكذا نجد أن الصراع كان دائماً بين حكام المنطقة وبين الدول الناهضة في بلاد ما بين النهرين وقد ساعد المصريون على إذكاء روح النضال بين حكام المنطقة وبين ملوك آشور نظراً لأنهم رأوا في هؤلاء الآخرين خطراً يهددهم ولذلك نجد أن أنهم يشجعون « هوشع » ملك إسرائيل للتخلص من السيطرة الآشورية وقد أسرع « شلنصر الخامس » لخصم آشور لمسدة ثلاثة أعوام ولكنه اضطر للعودة إلى آشور لحدوث بعض المؤامرات انتهت بقتله بعد أن حكم مدة تقل عن خمسة أعوام ثم انتقل إلى « سرجون الثاني » - مؤسس الأسرة السادسة الآشورية (٧٢١ - ٧٠٥ ق. م) - الذي قامت في بداية عهده ثورات في أنحاء كثيرة من الإمبراطورية رغبة في الانفصال عنها ولذلك اضطر للقيام بحملات متتالية حتى أعاد الوحدة إلى الإمبراطورية وأسرت بعض المناطق المجاورة مثل قبرص باكتساب عطفه بالهدايا .

وبينما كان سلطان آشور آخذاً في الإزدياد حيث اتسعت رقعة الإمبراطورية منذ عهد شلنصر الثالث نجد أن الساطة المركزية في مصر

قد انهارت تماما وأصبح نفوذ ملوكها - سواء في أواخر عهد الأسرة الثانية والعشرين أو في العهد التالي لها - لا يتعدى كثيراً حدود العاصمة بينما كان السلطان الفعلي موزعا بين أمراء الأقاليم والسكينة . وفي نفس الوقت كانت أسرة قوية قد تمكنت من الاستئثار بالسلطة في النوبة ، وكونت ملكة حاصمتها نباتاً بالقرب من الشلال الرابع .

الأسرة الخامسة والعشرون (٧٥١ - ٦٥٦ ق . م) .

ما زال المؤرخون يختلفون في أصل هذه الأسرة النوبتية وما زلنا نجعل كيف استطاع احد ملوك هذه الأسرة وهو « كاشتا » أن يفرض سلطانه على مصر العليا (١) حتى طيبه وبذلك أصبح يحكم ملكة تمتد - على الأقل - من الشلال الرابع جنوباً إلى طيبة شمالاً أي أنه كان يتحكم في إقليم النوبة الغنية فضلاً عما كانت ملكته تنعم به من وحدة متأسكة على عكس الحال في مصر التي فقدت أملاكها في آسيا كما تنازع فيها الأمراء ورجال الدين على السلطة حيث وجدوا في ضعف الملوك خير مشجع لهم على التماهي في محاولة الاستئثار بها . وقد تطورت الأمور بعد ذلك سريعاً في مصر إذ أن « تفتخت » أمير سايس الذي كان أقوى الأمراء في الدلتا حاول أن يمد نفوذه على بقية الأمراء لأن « دوسركون الثالث » (ثالث ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ٧٥٦ - ٧٤٨ ق . م تقريباً) الملك الشرعي في ذلك الحين لم يكن نفوذه ليمتد حدود الإقليم

Asfour, op cit., 216 ff (١)

الذي كانت به عاصمته بوباسطه وكان كل أمير يأنس في نفسه شيئاً من القوة يدهى الملك وينتحل الألقاب الملكية (١) .

وقد حاول تفتنخت أن يعيد الوحدة إلى البلاد واستطاع أن يقهر أمراء غرب الدلتا وسار جنوباً حيث استولى على شمال الوجه القبلي ثم عاد فبسط نفوذه على شرق الدلتا ووسطها أي أنه أصبح ملكاً بالفضل على الوجه البحري وشمال الوجه القبلي إلى بني حسن ولم تقاومه إلا إهناسيا ^{بني تميم} ~~بني تميم~~ الأشمونيين . وفي تلك الأثناء كان «بمنخى» قد تولى الملك في النوبة - بعد كاشتا - الذي لم يهتم في بادئ الأمر لنجاح تفتنخت في بسط نفوذه على بقية أمراء الدلتا ولكنه رأى في تقدمه خطراً يهدد نفوذه في الصعيد وانزعج كثيراً حينما علم بأن «نمرود» أمير الأشمونيين استسلم له في النهاية بل وانضم إليه أيضاً وعلى ذلك أمر بمنخى قواته بالتقدم شمالاً نحو تفتنخت لوقف تقدمه إلى الجنوب ومن المحتمل أن القوات النباتية لم تصادف نجاحاً كبيراً في أول الأمر ، فاضطر بمنخى أن يتقدم بنفسه نحو الشمال وما أن وصل إلى طيبة حتى استراح بها وقدم الهدايا لآمون ثم واصل سيره شمالاً مخضعا كل الأقاليم التي كانت في طريقه إلى أن وصل إلى الأشمونيين حيث دارت معركة بين أسطوله وبين الأسطول المصري انهزم فيها هذا الأخير وفر تفتنخت شمالاً ليعيد تنظيم قواته ولكي يقوى من تحصيناته .

(١) Drioton-Vandier, "L'Égypte" (3rd. éd), 539-40

أما نمرود فقد تحصن في الأشمونين ودافع عنها ولكنه - إزاء حصار
 بعنقى - أجبر على التسليم وأرسل زوجته للتوسط له عند حريم بعنقى
 وقد استولى بعنقى على كثير من نفائس المدينة ثم تقدم شمالا نحو منف
 التي كان تفتخت قد احتفى بها وفي أثناء حصار بعنقى لها فرتفتخت قبل
 أن تسقط في يد بعنقى الذي ما أن استولى عليها حتى ذهب إلى معبد
 عين شمس حيث اعترف به ملكا على مصر وفيها وفد عليه د أو سركون
 الثالث ، الذي كان يحكم في بوبسطة وقدم له الخضوع والولاء وبعدئذ
 توجه بعنقى إلى أتريب حيث أقبل عليه أمراء الدلتا يعلنون له الولاء
 وفي تلك الأثناء كان تفتخت قد وصل في فراره إلى بلدة صغيرة بجولة
 تعرف باسم د مسد ، فأرسل اليه بعنقى قوة فنكت بجابتها واضطر
 تفتخت أن يلجأ إلى جزيرة صغيرة في شمال الدلتا تحيط بها المستنقعات
 ومن هناك أرسل الهدايا إلى بعنقى راجيا منه أن يرسل من قبله رسولا
 إلى معبد مجاور كي يقسم أمامه يمين الطاعة والولاء لبعنقى وقد تم ذلك
 فعلا وعندئذ قدم بقية الأمراء ولاءهم له أيضا فأصبح بعنقى حاكم مصر
 المطلق (١) أي أن ملكة قد امتد من نباتا أو أبعد منها قليلا إلى الجنوب
 إلى أقصى شمال الدلتا ومعنى هذا أنه كان يحكم ملكة لا تقل عن
 الإمبراطورية المصرية في أوج عظمتها باستثناء الأجزاء الشمالية الشرقية
 في سوريا وفلسطين

Urk III, 5-6. (1)

ويدهشنا أن بعنخى لم يستمر طويلا في مصر بل عاد مسرعا إلى نباتاومازلنا نجمل الأسباب التي دعتة إلى ذلك (١) وكما هو جدير بالذكر أيضا أن الفترة القصيرة التي غزا فيها بعنخى مصر هي الفترة الوحيدة التي أمسك فيها تفتنخت عن ادعاء حكم مصر حيث يبدو أنه ما أن رجع بعنخى إلى عاصمة ملكة في النوبة إلا وعاد تفتنخت إلى ادعاء حكمه لمصر بأكملها وان كنا نرجح أن ملكة لم يكون ليتجاوز منف جنوبا بل وكانت بقايا الأسرة الثالثة والعشرين تحكم في بوبطة في نفس الوقت أيضا .

وإذا اعتبرنا أن ملوك نباتا هم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في مصر فاننا في هذه الفترة نجد مثلا آخر لتداخل الأسرات المصرية فبينما تحكم الأسرة الثالثة والعشرين في بوبطة يسيطر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على مصر بالفعل أو على الأقل يتحكمون في الصعيد ويسيطر تفتنخت الذي يعتبر مؤسسا للأسرة الرابعة والعشرين على معظم الدلتا وكانت عاصمته سايس - هذا وقد ظلت نباتا تسيطر على الصعيد حتى بعد أن عاد تفتنخت إلى اتخاذ الألقاب الملكية وربما كان السبب في خروج أمراء الوجه البحري على نفوذ نباتا يرجع الى أنهم كانوا أقرب إلى

(1) Drioton-Vandier, op. cit., 543 - ويذهب عدنان المؤلفان حلة

بعنخى هذه بمغامرة لاطال من ورائها .

الاتفاق مع تفنخت من أمراء الصعيد وفي نفس الوقت كان نفوذ كبيرة
محظيات آمون في طيبة، (١) عاملا أساسيا في بقاء نفوذ مملكة ناباتا في
الصعيد لاننا نعرف أن ابنة أوسركون الثالث التي كانت كبيرة محظيات
هذا الآلة قد تبنت شقيقة بستحي .

ولما توفي تفنخت تبته ولده «بخورس» في الحكم في سايس وقد
رأى هذا الأخير أن نفوذ آشور قد ازداد إلى درجة كبيرة فلم يجد بدا
من إرسال هدية إلى سرجون الثاني، الذي سبقت الإشارة إليه (٧) وكان

(١) يبدو أن الملوك حينما شعروا بضعفهم استندوا ووظيفة كبيرة محظيات آمون
الى سيدات من البيت المالكي ولكن لا توجد الا اشارات مشيئة عن هؤلاء في عهد
الاسريين ٢١ ، ٢٢ ولا يعرف سلسلة هؤلاء المحظيات الا ابتداء من عهد أوسركون
الثالث التي عين ابنته في هذه الوظيفة - ليحد من نفوذ كهنة آمون على الأرجح
ولما وصل نفوذ كاشتا الى مصر العليا أجبر شين وبث الأولى ابنة أوسركون على
أن تتبنى ابنته ومن ذلك الوقت ظهرت سلسلة من التبنى حيث كانت كبيرة المحظيات
تتبنى ابنة الملك الحاكم أو أخته - أنظر مع هذا .

Sander - Hansen, " Das Gottesweib des Amun "
(Copenhagen 1940), L. Macadam, " Kawa I " , 119f,
BIFAO. LI (1952), 34-5, Jean Leclant " Enquêtes sur
Les Sacerdotes et les Sanctuaires Égyptiens a
l'epoque dite, 'Éthiopienne ' "

(٧) أنظر أعلام ص ١٤٣

بختورس يرمى من وراء ذلك الى توطيد علاقاته مع ملك آشور وربما كان يهدف الى اكتساب عطفه إذا ما أراد أن يعارض نفوذ نباتا وقد اعتبر مرجون الثاني هذه الهدية بمثابة الجزية وادعى خضوع مصر لسلطانه ويتمثل تذبذب القوى في الشرق الأدنى بصفة واضحة في المراحل الآتية :-

- أولا : الصراع الآشوري النباني في مصر .
- ثانيا : عصر النهضة المؤقت في مصر .
- ثالثا : سيادة الفرس وحكمهم لمصر .

أولا - الصراع الأشورى النباتى على مصر

كان لما وصلت اليه مصر من ضعف ولوجود قوتين عظيمتين فى آشور ونيباتا واتساع ملكهما وزيادة أطماعهما أكبر الأمر على الحالة الدولية إذا كان لابد لهاتين القوتين المتجاورتين من أن تصطدم احدهما بالأخرى وقد تعود ملوك مصر منذ بداية الأسر الثالثة والعشرين على ارسال الهدايا للملك آشور حتى يصرفهم عن غزو مصر - ولا نكاد نعلم شيئا عن الحالة فى نيباتا بعد عودة بعثنى سوى أنه توفى بعد نحو عشر أعوام (حوالى سنة ٧٣٠ ق. م) وتبعه شبكا، على العرش وهذا الأخير بسط سلطانه على مصر ونقل عاصمته إلى الدلتا ولكننا لاندرى هل تم له ذلك عن طريق الاستيلاء على مصر عنوة أو أنه وفق إلى فرض سلطانه عليها دون حاجة إلى جهد عسكرى - وينسب مانيشون إلى هذا الملك أنه أحرق بختورس حيا ويعتبره مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين كذلك يذكر بعض المؤرخين أنه لم يحكم فى النوبة وإنما حكم فى مصر فقط (١) ولكن بما أن بعثنى أخضع البلاد كلها لسلطانه بل وكان كاشتا يحكم الصعيد من قبل فإنه لا يمكن اعتبار شبكا مؤسسا

(١) LRIV, 15, 28n. 5; H. Zeissl, Athiopen und Assyrer in Agypten " (Hamburg 1944), 15

للأسرة الخامسة والعشرين كما أنه قد ثبت بالدليل القاطع أن شبكا حكم
ملكه مترامية الأطراف كانت تمتد جنوبا إلى ما وراء الشلال الرابع
كما كانت الواحات تخضع له أيضا (١)

ولما وقعت القوتان (آشور ونيباتا) وجها لوجه بدأ ملوك نيباتا
سياسة جس النبض بل ومن المرجح أنهم أرادوا أن تكون علاقاتهم
بآشور ودية بدليل وجود اختام من الصلصال في أرشيف نيتونى تحمل
اسمى شبكا وسرجون الثانى جنبا إلى جنب كذلك وجد ختم لشبكا فى
كيونجك يحتمل أنه كان ختما لرسالة أرسلت منه الى الملك الاشورى
والظاهر ان هذا الأخير أرسل الرد الى شبكا فاعتبره هذا دليلا على
خضوع الملك الاشورى له إذ أننا نجد أحد نقوش شبكا يشله وهو
يخضع الشعوب الآسيوية والأفريقية بالطريقة التقليدية المعروفة فى مصر
الفرعونية (٢)

ومع كل لم يكن هناك بد من غزو الآشوريين لمصر لأن سرجون
الثانى أخضع سماريا ونقل أهل اسرائيل إلى بلاد ما بين النهرين ولم يبق

BIFAO 51, 9n.4 (١)

Newberry, Scarabs", pl. XXXV111n.7, (٢)

Drioton — Vandier, op. cit., 547

لاردن مسع هذا

Asfour, op. cit., 256 n.51

من فاحصل بين آشور ومصر (منطقة نفوذ نباتا) الا مملكة يهودا الصغيرة التي كانت تتأرجح بين الخضوع للملك الآشوري أو الملك مصر وما لبثت كل الممالك الصغيرة في فلسطين ومن بينها يهودا أن خضعت لآشور . وقد ذاعت هذه الممالك الأمرين من حكم آشور فثارت ضدها وكان شبكا يثير قواتها المتحالفة ويشجعها ولكن سرجون استطاع أن يقضي على تلك القوات وأن يوطد مركزه في هذه الأمارات

وبعد أن حكم شبكا اثني عشر عاما (٧١٦ - ٦٩٥ ق. م) مات وتبعه في الحكم « شبتكو » ، والذي لم يحكم إلا فزة وجيزة وكان سرجون الثاني قد توفي هو الآخر وتولى بعده « سنخريب » (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) الذي ضاق ذراعا بمؤامرات مصر وثورات الدويلات الصغيرة في غرب آسيا فحاصر أورشليم إلى أن أخضعها واضطر ملكها « حزقيا » إلى دفع ضريبة ضخمة كان من جرائها أن جردت المعابد من كنوزها ونفائسها وبعدئذ عاد الآشوريون إلى بلادهم حيث يبدو أن وباء انتشر في صفوف جيشهم كما أن الأحوال الداخلية في بلادهم لم تكن لتشجع على التقدم إلى مصر - ويشير الكتاب المقدس إلى أن الآشوريين رجعوا من فلسطين « نتيجة لوصول طهرة ولوصول ملاك الرب (١) » .

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٩ الآيات ٨ - ٣٥ - والمعروف أن طهرة كان قائدا للجيوش المصرية في ذلك الوقت أي قبل أن يتخل الرش بد وفاة شبكو .

ولا يعرف الا القليل عن حكم شبتكو الا أنه في الغالب لم يهتم بالشئون الخارجية أو على الأرجح لم يحدد في نفسه القدرة على الممارسة فيها فكرس جهوده للبناء وقد ذكر مانيثون بأن « طهرقة ، قتل شبتكو واطل العرش من بعده واتخذ تانيس عاصمة له ولكن هذه الرواية لا يمكن مقابلتها الا بالشك وذلك لما نعرفه عن نظام الرواية في الأسرة النباتية (١) وكان طهرقة قائدا للجيش منذ عهد شبتكا وما أن اعتلى العرش (من سنة ٦٨٩ الى سنة ٦٦٤ ق. م) حتى أخذ ينظم المقاومة ضد الآشوريين ولكنه أهمل في سياسته الداخلية بل ولم ينجح في سياسته الخارجية أيضا لأنه لم يقدر الظروف حق قدرها إذ أنه لم يقم بأى جهد في سبيل تنظيم الإدارة الداخلية التي ساءت الى أبعد حد كما أنه لم يستعد الاستعداد الحربى الكافى لمواجهة خطر آشور بالرغم من أنه كان يدبر المؤامرات ضدها ويتعاون مع الولاة المناوئين لها وخاصة أمراء صور وصيدا .

ويبدو أن نهاية سنخريب لم تكن سارة اذا اغتاله أحد ابناؤه (٢) وتولى بعده دأسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق. م) الذى اخضع الولايات التي كانت تناوئته بمنتهى العنف فأن امتنع والى صيدا عن دفع الجزية

ZAS lxxv1, 95-6

(١)

(٢) سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٩ الآية ٤٧ .

حتى دفع حياته ثمنا لذلك . وحينما أصفى ملك صور الى رسائل طهرقة
التي كانت تدعوه لمناوذة آشور وجه أسرجدون ضرباته للقوتين معا
فحاصر صور وأرسل حملة إلى مصر في نفس الوقت لكن الجيش الذي
أرسل الى مصر اضطر الى التقهقر واستمر حصار صور خمسة أعوام مما
أحرق أسرجدون وأثار غضبه على طهرقة فتقدم بجيشه نحو مصر وهزم
النباتيين عند الحدود المصرية وتراجع طهرقة الى منف وتبعه الاشوريين
واستولوا عليها وخربوها ولكن طهرقة فر الى الجنوب أما أمراء الدلتا
فقد قدموا ولاءهم لاشور وأقام أسرجدون في مناصبهم كولاية من قبل
الاشوريين وما أن ترك أسرجدون مصر عائدا إلى بلاده حتى رجع
طهرقة إلى الدلتا بجيش آخر جمعه من مصر العليا ومن السودان حيث
احتل منف ثانية وقام ببعض الإصلاحات فيها كما استأنف علاقاته مع
ملك صور .

وإذا ما نظرنا إلى حالة الدلتا في ذلك الوقت نجد أن معظم أمراءها
كانوا موالين للملك نباتا الذين كانوا ينتمون الى أصل مماثل لاصلهم بينما
كان الاشوريين يمثلون عنصرا آخر ولم يكن المصريون ليرتاحوا كثيرا
الى العناصر الآسيوية وخاصة اذا دخلت هذه العناصر الى البلاد غازية
أوذات نفوذ ومع هذا فلا شك في أن بعض الأمراء كانوا يترددون بين
الولاء للملك نباتا والخضوع لامراء آشور ومن المؤكد أن طهرقة لم
يعد إلى الدلتا إلا بعد أن وجد تشجيعا من معظم أمراءها حيث كتب

له هولا على أثر عودة أسرحدون يطلبون اليه التسدوم الى مصر
واقسام السلطة فيما بينهم (١).

وقد علم الاشوريون بأمر هذه الرسائل وكان أسرحدون يستعد
لإعادة فتح مصر ولكنه توفى وتبعه آشوربا نيبال، (٦٦٩-٦٢٦ ق م)
الذي تقدم على رأس جيش كبير وأعاد فتح مصر ففر طهرقه الى منف
ومنها الى طيبة إلا أن جيش آشور تبعه لايها وخرها ولكن طهرقه فر
الى نباتا بينما قبض على المتأمرين من أمراء الدلتا وأرسلوا الى نينوى
لمحاكمتهم وكان من بين هؤلاء «نكاو» أمير صالحجر الذي - بدلا من
معاقبته أعيد الى وظيفة مكر ماكا عين ولده «بساتيك» أميرا في أتريب
ولا ندرى سببا لذلك كما لا ندرى كيف استطاع «متوام حات» أمير
طيبة ورئيس كهنتها، أن يفتح الاشوريين بالرجوع عن طيبه بعد تدمير
طفيف لها، ومع أن طهرقه فر الى نباتا وبقي بها حتى وفاته إلا أنه ظل
يتمتع بسلطة اسمية على مصر حيث أعترف به كملك في طيبه الى
ما بعد هذه الغزو الاشورية ورغم كثرة حروبه فان ماخانته من اثار
يجعلنا أنه كان من أكثر ملوك نباتا ثراء.

(١) Zeissl , op, cit . ,41, 44, 59, SNR. II,

(٢) لم يكتب بهذا بل أعطى بساتيك لاسا آشوريا - انظر

Luckenbill , ABAR, II, 770

ولما توفي طهرته بنفسه في المحكم ، تانويت أمانى ،
 (٦٦٤ - ٦٥٦ ق. م) الذى ادعى في لوحة له تعرف باسم لوحة
 الرؤيا (١) بأن الاله آمون جاءه فى المنام وأمره بالتقدم الى مصر
 والاستيلاء عليها - ومع أنه يشهد الى ترحاب المصريين به الا أننا نفهم
 من بين سطور هذه اللوحة على أن الظروف لم تكن مواتية له تماماً ..
 كذلك لم يستمر انتصاره فى مصر طويلاً لأن آشوربانيبال عاد الى مصر
 ثانية وأخضعها من جديد واستطاع أن يحطم طيبة للمرة الثانية ففر
 تانويت أمانى الى ناباتا ومنذ ذلك الحين لم تشاهد مصر بعد ذلك أحداً
 من ملوك النوبة ، كما أن الآشوريين رجعوا الى نينوى ، ولم تبقى ملكة
 آشور طويلاً بعد ذلك هى الأخرى ، بل وتحطمت عاصمتها نينوى بعد
 غزوة آشوربانيبال الأخيرة بنحو خمسين عاماً .

ومهما كان من أمر الاحداث التى مرت بمصر بعد الغزوة للكشاش إليها
 فإن السلطة الفعلية فيها كانت فى يد « بساتييك » الذى أشرنا الى تعيينه
 أميراً لأتريب (٢) ، فقد تولى إمارة سايس بعد والده ، ويبدو أنه أعلن
 نفسه ملكاً على البلاد على أثر هزيمة آشوربانيبال من حملته الأولى ، أى
 قبل غزوة آشور الثانية لطيبة (٣) ، وفى نفس الوقت كانت سلطة تانويت أمانى

Urk III, 577 ff. (١)

(٢) انظر أملاء ص ١٥٥ .

Asfour, op. cit., 229. (٣)

معتزاً بها في مصر العليا لمدة تزيد على ستة أعوام بعد فراره من مصر (١) . ومن الغريب أننا لا نجد نصاً واحداً من النصوص المصرية يشير إلى خروج الآشوريين من مصر وعلى ذلك لم يستطع المؤرخون أن يجدوا سبباً مباشراً لتركهم للبلاد .

ويعد عصر بسامليك بداية عهد جديد فقد استطاع أن يؤسس أسرة جديدة هي الأسرة السادسة والعشرين ولا نعلم كيف تخلص من النفوذ الآشوري وكيف زال النفوذ الاسمي للملك نباتا نهائياً من طيبة .

F.R Kienitz, "Die Politische Geschichte (١)
Agyptens vom 7 bis zum 4 Jahrhundert Vor der.
Zeitwende" (Berlin 1953), 14 15, Zeissel, op. cit.,
13, 49 - 50 .

ثانياً : عصر النهضة المؤقت في مصر

الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣ - ٥٢٥ ق . م)

يعد عصر الأسرة السادسة والعشرين - فضلاً عما شاهده مصر خلاله من رخاء ونبوغ وثقافة - بداية عهد جديد في علاقاتها بالخارج إذ أنها أخذت تتجه الى الجند المرتزقة من اليونانيين ، وبدأت توطد علاقاتها مع جزر البحر المتوسط ومن المحتمل أن ملك ليديا قد أرسل جنوداً من الآيونيين والكاريين لمساعدة بساتيك في توطيد سلطانه ، وهكذا نجد أن بساتيك يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الرعامسة مع فارس بسيط هو أن المرتزقة في عهد الرعامسة كانوا من عناصر ليديا وفورية ومن شعوب البحر بينما كانت العناصر الاغريقية وعناصر جزر البحر المتوسط هي الغالبة في عهد بساتيك ومن ثم بدأ النفوذ اليوناني في الظهور وتأثرت الثقافة المصرية بتأثيرات يونانية مختلفة - وقد عمل المصريين من جانبهم على تيسير اقامة اليونانيين في مصر فبنوا لهم بعض المدن الخاصة وشيدوا لهم مستعمرات أقاموا فيها وتزايد عددهم حتى دب الحسد في نفوس الجنود الآخرين من مصريين وليبيين وغيرهم ، إذ أن هؤلاء لم ينظروا بعين الازدياح لتشجيع بساتيك للمرتزقة اليونانيين مما جعل بعضهم يفرون الى النوبة ، وقد أطلق على هؤلاء الفارين اسم

و استمخ ،^(١) ، ولكن وجود المرتزة اليونانيين في أعداداً كبيرة كان من جهة أخرى سبباً في انعاش الأحوال الاقتصادية نوعاً ما لأن بهما تيك وجد أنه لا بد من الإنفاق على هذا الجيش الكبير ، فشجع التجارة مع الدول المجاورة وفي نفس الوقت فرض الضرائب على البضائع الواردة الى مصر ونظم الادارة وعاد بها الى التقاليد القديمة حيث أخذ المصريون في ذلك الوقت يشعرون بأن عظمة مصر في عهد الدولة القديمة كانت أعلى ما وصلت اليه في تاريخها ولذلك اصطبغ عهد الأسرة السادسة والعشرين بصبغة الدولة القديمة في كل شيء وعاد الناس الى استعمال أسلوب الكتابة القديمة والى للمعبودات القديمة والفنون القديمة مع شيء بسيط من التحرر وربما كان هذا من الاسباب التي تجبذ اطلاق اسم مصر النهضة على هذه الفترة من تاريخ مصر القديم .

وتتميز هذه الفترة من تاريخ مصر أيضاً بنهج جديد في السياسة المصرية ، إذ أن مصر - مع تركيز اهتمامها في علاقاتها الخارجية بالاقطار الشمالية - كانت أكثر ارتباطاً باليونان منها بأى قطر آخر - وفي نفس الوقت لم تحاول مملكة نباتا من جانبها أن تמיד علاقاتها بمصر ، بل اتجهت بدورها الى الاقطار التي تقع الى الجنوب منها حيث وجدت أن لافائدة ترجى لها من الاتجاه شمالاً - وهكذا نجد أن الوضع السياسي في مصر

Herodotus II, 30. (١)

أصبح يتركز في الوجه البحرى حيث أدى هذا إلى ظهور مدن جديدة ونظرا لكثرة وجود اليونانيين في مصر بدأ اهتمام العالم اليونانى بأحوال مصر وحضارتها والى ذلك العهد ترجع معظم الكتابات اليونانية عنها - وقد ذهل اليونانيون حينها وجدوا أن أمة أخرى غيرهم لها حضارة لا تقل عن حضارتهم إن لم تكن أرقى منها كما اعتبروا المصريين شعبا غاية في الغرابة ووصفوا أحوالهم وأطوارهم بكل دقة .

وقد وجد بسايتك أن في مقدوره محاولة إعادة السيادة المصرية على فلسطين وسوريا ولكنه اضطر لوقف أعماله لظهور السيشيين على المسرح الدولى ومؤلا استطاعوا الزحف على آشور وأصبح خطرهم يتهدد مصر ولكن بسايتك استطاع أرجاعهم عنها ولا نعرف كيف تمكن من ذلك وهل لجأ الى رشوتهم أو أنه استطاع التغلب عليهم وقد حكم بسايتك حوالى أربعة وخمسين عاما طادت البلاد أثناء ما الى حالة من النهوض والرخاء لم تشاهدها منذ أيام رع عيسى الثانى وتولى بعده ولده د نكاو ، الذى تمكن من اخضاع فلسطين وسوريا حيث كانت اشور في منتهى الضعف ولما تاهب اليهود لمقاومته أسرع باخضاعهم وتقدم الى الفرات خشية أن تسترد آشور ملكها مفضلا أن يبدأ بمهاجمتها ولما لم يجدها مستعد لذلك عاد

(١) السيشيون Scythians قبائل بربرية كانت تتكلم لغة هندوأوروبية وكانت تعيش في جنوب روسيا شرق بحر ارال وكانوا حلفاء للاشوريين في أول الامر ولكنهم خانوهم وانضموا الى اعدائهم ملك بابل ومك ميديا حيث اشتر كوا في اسقاطهم نينوى ٦١٢ ق. م

الى مصر مفضلا عدم الاستيلاء على نينوى وقد نسب نكاو نصره الى الجنود المييزيين وهذه هي المرة الاولى التي ينسب فيها الفرعون نصره لغير الاله - ولكن امبراطورية نكاو المؤقتة هذه لم تدم طويلا لان الاحداث في غرب آسيا تطورت سريعا فلم تكتمل حتى اتحد ملك ميديا مع ملك بابل واستطاعا معا ان يحطما آشور وأن يقتسما ملكها وقد وقعت سوريا ضمن نصيب بابل وبذلك أصبحت بابل خطرا جديدا يهدد مصر .

ولما تولى « نبوخذ نصر » - الذي كان وليا للمهد في مملكة بابل الجديدة (أى الامبراطورية السكلمانية) - قيادة جيوشها ذهب نكاو للملاقاتة ولكن نبوخذ نصر انتصر عليه وتعقبه بعض الوقت إلا أنه رجع إلى بابل بعد أن اتفق مع نكاو لأن والده كان قد توفى في ذلك الوقت -

ولم تطمع مصر بعد ذلك في آسيا حتى لأنها لم تتدخل حينها حاصرت بابل بيت المقدس واكتفى نكاو بترقية التجارة وتشجيع الملاحة وقد أمر بعثة فينيقية بالدوران حول أفريقيا فأتمت ذلك في ثلاثة سنوات وربما كانت هذه أول رحلة من نوعها في التاريخ كما أمر بشق القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر ولكنه تخلى عن إتمامها لوفاة عدد كبير من العمال ولأن الكهنة تنبأوا بأن فائدتها سوف لا تعود إلا على الأجانب .

ولما توفى تبعه « بسائيك الثاني » الذي ذهب إلى بيلوس لزيارة معبد

آمون هناك وربما كان ينوى الاحتكاك مع بابل ولكنه اضطر للعودة إلى مصر لعلمه بوجود تكتلات في جنوبها وقد أرسل حملة إلى الجنوب توغلت إلى الشلال الخامس أو السادس^(١) وكان بعض المؤرخين فيما سبق يظنون أن هذه الحملة لم تصل إلا إلى الشلال الثاني فقط - وقد ظلت علاقة بسامتيك الثاني طيبة مع اليونانيين وزاد من تشجيعهم واستعان بهم في تكوين أسطول ضخم استغله خافه د أبريس ، في غزو فينيقيا حيث نجح في ذلك بسبب انشغال نبوخذ نصر في حروبه مع ميديا وانسلاخ بعض المدن السورية والفلسطينية عن حكمه وثورة بعض المدن الأخرى عليه - وقد هاجر كثير من اليهود إلى مصر وكونوا بها جاليات، كبيرة وهكذا نجد أن القلائل عادت من جديد إلى شرق البحر المتوسط ووجد أبريس الفرصة فتقدم بميشه شمالا واستولى على صيدا ولكن هذه قاومت طويلا ولم ينجح أبريس في الاستيلاء على جنوب فلسطين وأقبلت الجيوش الآسيوية لطرده فأتجه بأسطوله نحو قبرص واستولى عليها ومع أن بعض قوى غربي آسيا تحالفت مع مصر ضد نبوخذ نصر إلا أن هذا الأخير هزم التحالف الذي تكون ضده في ربله وحاصر أورشليم وبعد عام أسر ملكها صدقيا وقتل أولاده ونهب المعبد وحرق المدينة ومع ذلك لم تدم ملكة بابل طويلا فقد تمزقت بعد موت نبوخذ نصر .

ولم تكن الحالة سيئة في منطقة غرب آسيا وحدها وإنما ساءت الحالة كذلك في مصر حيث حدثت ثورة في صفوف الجيش في عهد أبريس وفرت بعض الوحدات إلى النوبة ولكن حاكم الشلال استطاع أن يعيد بعض الفارين كما حدث حصيان آخر في صفوف الجيش أيضا لأن أبريس أرسل قوة معظم أفرادها من المصريين إلى قرطاجنة وقد منيت هذه القوة بالهزيمة وبخسائر فادحة فاعتقد هؤلاء أن الملك أرسلهم إلى هناك للتخلص منهم بحماية منه لليونانيين الذين لم يشركهم في هذه الحرب . فلما ثاروا ضده أرسل أحد أقربائه ويدعى « أمازيس » لنهبتهم ولكن هذا الأخير استمال إليه الجنود العاصين ونصبوه ملكا عليهم بما أحق أبريس ودارت الحرب بينهما ولكن أمازيس انتصر عليه ومع ذلك أشركه معه في الحكم إلا أن أبريس ما لبث أن ثار فقتله أمازيس وانفرد بالحكم .

وظل أمازيس على تشجيع اليونانيين بينما تظاهر بإيقاظ الشعور الوطني وقد تغالى في تشجيع اليونانيين ومنحهم كثيرا من الامتيازات بل وتبرع للمعابد في اليونان نفسها وأهدى لبعض حكامها الهدايا وقد نهضت مصر في عهده ولكن زيادة عدد الجيش وقوة الأبطال قد تطلبت كثيرا من النفقات فاستولى على بعض دخل المعابد وبذلك أضعف من نفوذ الكهنة - ومع أنه تمكن من بسط نفوذه على بعض سواحل البحر المتوسط فإنه لم يكن أكبر قوة في الشرق واستمر

خطر بابل يتهدده كما ظهرت قوة جديدة هي مملكة فارس التي تحركت جيوشها وعبرت الفرات لتهاجم ليديا في أقصى الشمال وكانت مصر وبابل وأسبرطة قد وعدت بمساعدة هذه المملكة ولكن مصر كانت هي الوحيدة التي احترمت كلمتها وعلى هذا هزمت ليديا ، ثم خضعت سوريا وفينيقيا للفرس أيضا ولم يبق أمام هؤلاء سوى بابل ومصر وما لبثت بابل أن هزمت وسقطت عاصمتها نينوى على يد كورش ملك الفرس وبذلك ازداد الخطر على مصر حيث أصبحت وحدها أمام قوة الفرس الهائلة .

ثالثا - سيادة الفرس وحكم في مصر

« الاسرات السابعة والعشرون الى الحادية والثلاثين ٥٢٥ - ٣٣٢ ق م »

توفى أمازيس فتبعه بساتيك الثالث ، على عرش مصر كما توفى كورش وتبعه د قبيز (٤٣٠ - ٥٢٢ ق م) ، على عرش فارس - ولما اراد هذا الأخير الاستيلاء على مصر خان أحد القواد اليونانيين بساتيك الثالث وأرشد الفرس بنفسه الى الطريق المؤدية اليها وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على الفرما ووصلوا الى منف وفي تلك الأثناء أقبل رسل عن الأغر يق الذين يعيشون في ليبيا وأحضروا معهم الهدايا الى قبيز .. ولما تم لهذا الأخير الاستيلاء على مصر عامل بساتيك معاملة حسنة في أول الأمر ولكن هذا الأخير حاول اثاره المصريين فاشتط قبيز في معاملته حتى أدى به الى الانتحار وقد غزا قبيز مصر العليا وأرسل حملة الى النوبة ويقال أنه جن في آخر أيامه بسبب فشل حملته على نوبة .

ويعد قبيز مؤسس الأسرة السابعة والعشرين في مصر - (حوالي ٥٢٥ - ٤٠٤ ق م) - ومع أنه تمكن من اقامة امبراطورية واسعة الا أن الأحوال ساءت في فارس نفسها بعد وفاته وحدثت ثورة في سوريا وكاد خليفته د دارا - الذي تولى العرش في فارس من سنة ٥٢٢ الى

٤٨٦ ق. م - أن يفقد ملكه ولكنه استطاع أن يثبته بسد أن غاص
تسعة عشرة معركة وأسر تسعة من الأمراء ووصل إلى مصر حوالي
سنة ٥١٧ ق. م وحينما قامت ثورة ليلية ولم ينجح الوالي الفارسي في
اخمادها قتله دارا . ومع ظاه هذه القسوة إلا أنه كان معروفا بالعدل
وقد احترم ديانة المصريين وشجع التجارة اذ المعروف أنه كان يهودى عصره
تاجر في كل شيء ومع كل الأقطار وقد نجح في حفر قناة وادى الطميلات
التي تربط بين النيل والبحر الأحمر (١) ولكن سلطانه أخذ يضعف في
فارس فانصرف عن شئون مصر وخاصة بعد أن هزمه اليونانيون حيث
ركز كل اهتمامه في الانتقام من الآثينيين حتى أنه كلف شخصا ليذكره
بذلك كل صباح بقوله « مولاي لانتسى الآثينيين ، وبعد معركة ماراثون
بأربعة سنوات حدثت ثورة في مصر بقيادة « خباش ، الذي احتل منف
وسايس فبدأ دارا يعد العدة للانتقام من مصر واليونان على السواء
ولكنه مات وتبعه « اكزركسيس ، الذي استطاع القضاء على ثورة خباش
وعين أخاه واليا على مصر وقد تغالى هذا الولى في قسوته وشدته حتى
أذل المصريين ولم يحكم اكزركسيس طويلا حيث اغتيل بعد فترة وجيزة
وتولى بعده « ارتكزركسيس ، الذي وجد امبراطورية واسعة أرهقتها كثرة

Heaodotus II, 158, IV, 39 (١)

G. Posener, " La premiere domination perse en
Égypte " Bibl. d' Études XI, 48 - 87, 180 - 189

الحروب والثورات في مختلف الميادين ومن بينها ثورة قامت في مصر بقيادة « إناروس » ، الليب الذي كان في مريوط « وأمير تايرس » ، الذي كان مركزه سايس فلما التقى إناروس بالوالي الفارسي كانت الحرب سجالا بينهما وتراجع الوالي إلى برقة وطلب كل من الفريقين المسدد واتجه إناروس في ذلك إلى أئينا ولكن النجدة التي أرسلها ارتكز ركيس إلى واليه وصلت قبل النجدة التي طلبها إناروس مما كان له أثره في انتصار الفرس وأسر إناروس وأرسل إلى سوسه حيث قتل هناك وبذلك ظل أمير تايرس الزعيم الوطني الوحيد وقد عاود العصيان محاولا الاستنجاد بالآيينيين ولكن النجدة لم تصل إليه وفي نفس الوقت تهادن الفرس واليونان فلم تجرد الثورات المصرية تأييدا من اليونانيين الذين اكتفوا باقتناع الفرس بتعيين ولدي إناروس وأمير تايرس ولاء على مصر وفي هذه الأثناء زار مصر كثير من أعلام اليونان وبن بينهم هيرودوت .

ولما توفي ارتكز ركيس تبعه « دارا الثاني » الذي استبد هو وولائه في حكم البلاد وحاولوا فرض عقائد الفرس على المصريين فتثار هؤلاء ضدكم كما حدثت ثورة ضد اليهود في اليفاتين^(١) لأنهم كانوا يعاونون

E . G . Karaeling, " The Brooklyn (١)
Museum Aramaic Papyri " . (New Haven 1953) ;
Kienitz, op . cit . , 39 . n . 2

الفرس وقد نجحت الثورة مؤقتا لأن دارا الثاني توفي وخلفه
 «ارتكزركسيس الثاني» الذي لم يكن حكمه مقبولا تماما في أنحاء
 الامبراطورية وهزمت فارس في ميادين مختلفة. ونجحت حركة التحرير
 التي قادها «امرتق» حفيد «أمير تايوس» السابق وهو يعتبر
 مؤسس الأسرة الثامنة والعشرين التي استمرت من سنة ٤٠٤م الى
 سنة ٣٩٨ ق. م اذ كان الملك الوحيد فيها لأن ثورة أخرى
 اندلعت في مصر بقيادة «نفرتيس» أمير منديس قتل على أثرها
 اميرتق بعد أن حكم نحو ستة أعوام وبذلك انتقل الملك الى أسرة
 جديدة هي الأسرة التاسعة والعشرين التي لم تستمر طويلا هي
 الأخرى - من سنة ٣٩٨ - ٣٧٨ ق. م - لأن الفرس بدأوا
 يهتمون بمصر من جديد ولكن نفرتيس حاول جده أن يتلافى
 خطرهم فتودد الى الاغريق للاستعانة بهم عند الحاجة وتحالف مع
 الاسبرطيين حيث أرسل اليهم مددا في حربهم ضد الفرس وفي
 نفس الوقت تقدمت القوات المصرية الى الحدود السورية واحتلت
 بها بعض المواقع ولكن نظرا لهزيمة أسطول أسبرطة في حربها
 ضد أثينا انسحبت قوات اسبرطة من الاقاليم الآسيوية كذلك
 اضطرت القوات المصرية الى التراجع الى مصر نظرا لخلاول الشتاء .
 ويمكن أن يقال أن الأسرة التاسعة والعشرين بدأت بداية
 طيبة ولكن سوء الحالة الداخلية ظل على ما هو عليه ولم يقدر

لاقتفاضة مصر في عهدها طول البقاء لحينما توفي نفريريس وتبعه « أخورس » على العرش تحالف هذا الاخير مع امراء ليبيا واليونان وقبرص ضد فارس - ومع أن مصر لم تكن لديها فرصة لتدهيم قواها فإن أخورس أرسل الى ملك قبرص الذي كان يحارب الفرس مددا من السفن الحربية والمؤن والمال واستمر هذا الصراع ثلاثة أعوام ولكنه لم يؤد الى نتيجة وبعدئذ رأى قائد الاسطول الفارسى أن يتحالف مع أخورس فاستطاع هذا الاخير أن يتفرغ للاصلاحات الداخلية ولكن حدثت ثورة في نهاية عهده في سمندود بزعامة أميرها « نختنبو » الذى تولى العرش فيما بعد مكونا الاسرة الثلاثين (٣٧٨ - ٣٤١ ق . م) وذلك بعد أن توفي أخورس وخليفته « بساموتس » ، ود نفريريس الثانى ، .

ولانذكر النصوص المصرية كثيرأ عن حكم « نختنبو الأول » ، ولكن بعض مؤرخى اليونان وخاصة ديودور يشيرون إلى أن نختنبو الأول حارب الفرس وهزمهم ولكن حروبه هذه لم تكن خارج مصر بل داخل الحدود المصرية رغم أن نختنبو ذكر فى نقوشه التذكارية قائمة بيلدان أجنبية اخضعها ولكن هذه النقوش لا يمكن الأخذ بها وخاصة لاننا نعلم أن الفرس بعد أن هزموا ملك قبرص وجدوا الفرصة سانحة للانتقام من مصر فتقدموا اليها إلا أن نختنبوا أقفل مصبات النيل السبعة وحصن كلا منها كما حصن بلوزيوم إلى أقصى حد ومع ذلك تمكن الفرس من الانتصار على المصريين فى الفرع المنديسى غير أنهم أرجأوا الهجوم على

منف وفي هذا الوقت حل الفيضان فساعد المصريين على المقاومة وانتصروا على الفرس الذين تراجعوا إلى بلادهم وقد أوجد هذا الانتصار حالة من الاستقرار مكنت تختنبو من القيام ببعض الإصلاحات وأشرك ولده « تيوس » في الحكم - وحينما اعتلى هذا الأخير على العرش حاول تجديد التحالف مع اليونان فأرسل نقودا إلى ملك أسبرطة وإلى ملك أثينا ليرسلا له جنودا مرتزقة وتمكن بذلك من تجهيز جيش ضخم يعد أعظم ما عرفته مصر منذ أيام الدولة الحديثة وسار على رأس جيشه إلى محرزا انتصارات ساحقة في سوريا حتى ظن أنه سيعيد الإمبراطورية إلى ما كانت عليه في عهد « نكاو » ولكن أخاه الذي تركه في مصر خاناه وألب عليه المصريين وخاصة الكهنة الذين احتقهم استيلاء تيوس على أموالهم باستمرار لكي يدفع نفقات جيشه وقد تمكن هذا الأخ من اغتصاب العرش ولم يكف بهذا بل استدعى ولده الذي كان يحارب مع عمه فعاد إلى مصر بمعظم الجيش كما استدعت أثينا القائد اليوناني (كاريوس) الذي كان معه فوجد تيوس نفسه وحيدا واضطر إلى التفرار إلى صيدا حيث احتسى بملك الفرس .

ولما أعتلى العرش في مصر وتختنبو الثاني ، الذي كان يحارب مع عمه تيوس في سوريا لم يلبث طويلا في الحكم حتى حدثت ثورة في منديس التي كانت مقرا للأسرة التاسعة والعشرين ولولا مقدرة المرتزقة اليونانيين

لضاعت الفرصة من نخبو الثاني ومع هذا لم يكف يبدأ تنظيم ملكته حتى تولى عرش فارس « ارتكزركسيس الثالث » الذى أراد الاستيلاء على مصر ولكنه فشل فى محاولاته الاولى لأن نخبو الثانى استعان بمرتزقة من الاثينيين والاسبرطيين وقد أثر هذا النصر على سلطان ارتكزركسيس وحدثت سلسلة من الثورات فى فينيقيا ربما كان يشجعها نخبو الثانى بما أثار ارتكزركسيس وجعله بعد أن يقضى على الثورات ينظم هجوما مخيفا على مصر من البر والبحر وتقدم فى الدلتا سريعا كما تقدم اسطوله فى مصب النيل إلى منف ففر نخبو الى مصر العليا حيث احتفظ بمملكته هناك عامين .

ولاندوى كيف انتهى عهده ولا كيف بسط الفرس سلطانهم على مصر كلها وان كان من المرجح أن اتمام فتح مصر كان عن طريق حملة ثانوية متممة للحملة السابقة وعلى أى حال يعد ارتكزركسيس الثالث أول ملوك الأسرة الحادية والثلاثين (٣٤١ - ٣٣٢ ق.م) وقد تبعه فى الملك « أرسيس » الذى كان يحكم مصر بأكلها ولكنه لم يستمر سوى ثلاثة أعوام وتبعه « دارا الثالث » الذى كان تاريخه غامضا ولا يعلم عن تاريخ مصر فى عهده شئ يستحق الذكر . ولكن من المؤكد أن المصريين كانوا فى أشد الاستياء من حكم الفرس كما تدبى ذلك من بردية كنبت فى عهد البطالمة تعرف باسم

اخبار الايام الديموطيقية .

وقد حدثت ثورة في الدلتا بقيادة أحد أمرائها ويدعى «خباش»
أو «خباش» اعترف به كهنة منف ملكا وقد وجدت في السرايوم
لوحة مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه كما وجدت باسمه بعض الآثار الأخرى
من بينها تمثال يعرف باسم تمثال الوالى تشير إلى جهوده فى سبيل
تحرير البلاد ومع هذا يمكننا القول أن تلك الجهود ذهبت عبثا لأن
مصر - بالرغم من أن الامبراطورية الفارسية كانت فى طريقها الى
الزوال - لم تستقل طويلا فقد هزم «الاسكندر الاكبر» دارا الثالث
فى أسوس وفقدت فارس معظم قوتها ولم تحاول الدفاع عن مصر
حينما جاء اليها الاسكندر وكان هذا الاخير لبقا اذ تظاهر بمظهر المخلص
لمصر من نير الفرس ويبدو أن المصريين أنفسهم كانوا يتطلعون الى
ذلك حيث أننا نعلم أن مصريا يدعى «تفنخت» من مدينة أهاناسيا ذهب
الى ملك مقدونيا وشاهد معركة اسوس فاستنجد بالاسكندر ليخلص
بلاد من نير الفرس - وقد احسن الاسكندر معاملة المصريين واكرم
الآلهة المصرية وزار المعابد المختلفة واعترف به الكهنة ملكا بمعبد آمون
بسيوه ومنذ ذلك الحين اصبحت مصر جزءاً من العالم الشرقى الذى تأثر
بالنفوذ الاغريقى وان ظلت تحتفظ ببعض مظاهر الثقافة
القديمة وقد استهوت بعض فواحيها الحضارية من وفد اليها من
كتاب اليونان فكتبوا عنها الكثير وان كانوا قد شوهوا بعض
لعجزم عن ادراك بعض مظاهرها وفهمها فهما تماما .

خاتمة

شهد العالم القديم - في أوقات متفاوتة - تحركات بشرية هائلة كان لها أكبر الأثر على حضارات وتاريخ الأماكن التي تعرضت لها - وتكاد تنحصر أهم الجماعات التي وفدت على إقليم الشرق الأدنى القديم في مجموعتين ضخمتين من الشعوب التي كانت كثيرا ما تهجر مواطنها الأصلية إلى مناطق أخرى تتوفر لهم فيها وسائل العيش - وإحدى هاتين المجموعتين مصدرها شبه جزيرة العرب أما الأخرى فإن مصدرها هو المناطق الرعوية التي تمتد على طول الساحل الشمالى للبحر الاسود وجنوب روسيا الى سهول التركستان ووسط آسيا - والدافع إلى خروج هذه الجماعات من مواطنها متشابه في كلتا الحالتين فما أن تضيق سبل العيش في شبه جزيرة العرب أو في المناطق الرعوية المشار إليها بسبب تضخم السكان أو تعرض البيئة لعوامل الجفاف حتى تخرج منها هجرات دافقة إلى المناطق الخصبة القريبة منها .

فن شبه جزيرة العرب خرجت هجرة سامية حوالى سنة ٣٥٠٠ ق.م

اتجهت الى الشمال الشرقى واستقرت في بلاد ما بين النهرين - وبعد
 الف سنة تقريبا قامت هجرة أخرى من نفس السكان إلى سهول
 سوريا الشمالية وهذه الهجرة هي التي استطاع أهلها أن يصلوا فيما بعد إلى
 السهل الساحلى وعرفوا باسم الكنعانيين ثم اطلق عليهم اليونان اسم
 اسم الفينيقيين - وفيما بين سنة ١٥٠٠ ؛ سنة ١٢٠٠ ق م قدمت موجة
 أخرى إلى سوريا ووسط الفرات عرف الذين استقروا منها في شمال سوريا
 ووسط الفرات باسم الأراميين أما الذين استقروا في جنوب سوريا
 فقد عرفوا باسم العبرانيين - وحوالى سنة ١٥٠٠ ق م جاء الأباط من
 بلاد العرب إلى شمال شرقى سينا حيث كونوا ملكة عاصمتها تدمر .

أما المناطق الرعوية الشمالية فقد خرجت منها في النصف الثانى من
 الألف الرابع قبل الميلاد جماعا نسلت إلى غرب ايران واندمجت مع
 السكان الأصليين ويحتمل أن فريقا منهم وصل في تقدمه إلى سواحل البحر
 المتوسط - وفي منتصف الألف الثالث (أى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق م)
 قدمت موجة أخرى من الشعوب القاطنة في الشمال والشرق حيث عبرت
 القوقاز ودخل فريق منهم إلى آسيا الصغرى وهؤلاء هم الذين عرفوا فيما
 بعد باسم الحيثيين بينما توغلت طائفة منهم كثيرا نحو الغرب وعبرت
 الدانوب ثم اتجهت جنوبا إلى شبه جزيرة البلقان - وفي أوائل الألف
 الثانى قبل الميلاد ظهرت موجة أخرى في شعبتين حيث اتجهت القبائل
 الشرقية جنوبا إلى الهند أما القبائل الغربية فقد اتجهت إلى الجنوب

والجنوب الغربي ومن هذه كان الايرانيون والميتانيون وقد استطاع لاهو.
أن يكونوا مملكة ميتاني التي وقعت حائلا دون تقدم الاشوريين نحو
الغرب ولكن قضى عليها في النهاية على أثر الصراع بين الحيثيين ومصر.

ويبدو أن الجماعات التي وصلت الى جنوب اليونان قد دخلتها في
موجتين الأولى عرف أفرادها باسم « الآخيين » ، والثانية عرف أفرادها
« الدوريين » ، وهؤلاء وصلوا الى البلبونيز حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م
ويحتمل أنهم أخضعوا الآخيين وتوغلوا في سائر أنحاء بحر إيجه حيث
وصلوا الى كريت حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م وفيما بين سنة ١٣٠٠ ق.م ،
سنة ١٠٠٠ ق.م أصبح الاقليم الايحي - بما في ذلك آسيا الصغرى -
يونانيا . وقد نتج عن هذا أن كثيرا من الكريتيين هربوا من جزيرتهم
وحاولوا الاستقرار في واطن جديدة فاستقرت جماعة منهم (وهي
المعروفة باسم الفلسطينيين) في جنوب فلسطين - كما أن حلول جماعات
جديدة محل الجماعات الشمالية التي دخلت اليونان كان سببا في اضطراب
الأحوال في كافة أنحاء البحر المتوسط الشرقي إذ أن هذه الجماعات الجديدة
لم تسكتف بالاستقرار في أوروبا بل عبرت الهللمبونت الى آسيا الصغرى
وسحقت دولة الحيثيين حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م وكانت أهم العناصر
الجديدة هي الفريجية والأرمينية وقد حاولت بعض الجماعات الأخرى
أن تجد مواطن لها كما فعل الكريتيون وتعرضت مصر نفسها لخطرهم
ولكن رعمسيس الثالث نجح في إبعادهم عنها .

وهكذا نجد أن كل تلك الشعوب كانت تنتمي الى اقليمين عظيمين
ولا شك في أن شعوب كل مجموعة من هاتين المجموعتين كانت تتكلم لغة
واحدة قبل أن تتبدد وحدتها وتنتشر قبائلها الى مناطق مختلفة ومن
المحتمل أن كلا منها كانت تفهم لغة الآخرين في بداية الأمر ولكن
الفوارق بينها أخذت تزداد وضوحاً نظراً لاختلاف البيئات التي استقرت
فيها كل منها ومع هذا فإلا هناك أوجه شبه كثيرة بين لغات المجموعة الواحدة
تدل على أصلها المشترك - وقد أطلق على لغات الشعوب التي خرجت من
شبه جزيرة العرب اسم اللغات السامية وعرف المتحدثون بها باسم
الشعوب السامية أما لغات الشعوب التي تنتمي الى الجهات الرعوية الشمالية
فقد أطلق عليها اسم اللغات الهندوأوروبية كما سميت الشعوب التي تتكلم بها
باسم الشعوب الهندوأوروبية - ومع أن شعوب كل من هاتين المجموعتين
كانت تنتشر الى مناطق يمكن أن نعدها موازية للمناطق التي انتشرت فيها
شعوب المجموعة الأخرى فإن بعض هذه الشعوب تجاوزت مناطق
انتشارها وأدى ذلك بالطبع الى احتكاك كل من هاتين المجموعتين
بالأخرى .

وعلى هذا يمكن أن نستنتج بأن تاريخ العالم القديم كان في معظمه
يمثل الصراع بين النطاقين اللذين انتشرت فيهما هاتان المجموعتان من
الشعوب : النطاق السامي الجنوبي والنطاق الهندوأوروبي الشمالي فقد واجه
كل منهما الآخر وكانها جيشان عظيمان جتا - أحدهما عند إيران من جهة

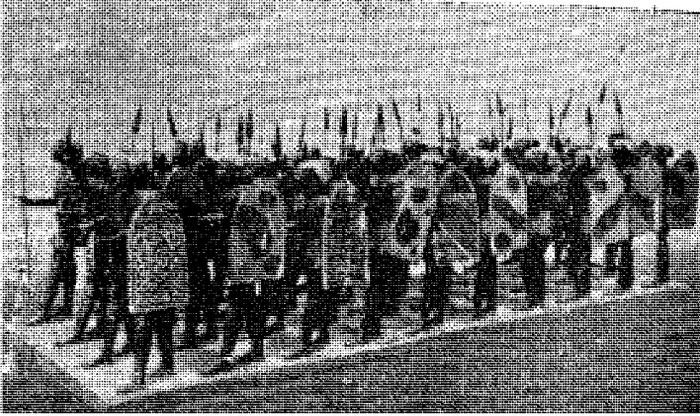
وايطاليا من جهة أخرى، أما القلب فكان في آسيا الصغرى والحلال الحصيد وقد تمتع النطاق الساسى بالسيادة فى بادىء الأمر ، ولكن بعد أن تفوق الهندو أوربيين فى آسيا الصغرى واتصروا على الساسيين على يد الفرس أولا ، ثم على يد اليونان والرومان فيما بعد زالت سيادة الساسيين الحضارية وانتقل السلطان من يدهم إلى أيدي الهندو أوربيون ، وذلك باستثناء الفترة التى ظهرت فيها السيادة العربية .

ومما هو جدير بالذكر أن هجرات شعوب كل من هاتين المجموعتين كانت متقاربة فى زمن حدوثها أو متعاصرة وخاصة تلك التى حدثت فى منتصف الألف الثالث وخلال الألف الثانى قبل الميلاد مما يوحى بأن العالم القديم قد تعرض فى تلك العصور لظروف مناخية وطبيعية غير ملائمة فى كل من شبه جزيرة العرب والمناطق الرعوية الشمالية فخرجت منها تلك الهجرات المشار إليها - وقد أثرت هذه الهجرات فى تاريخ وحضارة الجهات التى وصلت إليها واسكن مصر كانت أقل مناطق العالم القديم تأثر بهذه الهجرات لبعدها عن مصادر هذه الهجرات من جهة وحماية الصحراء لها من جهة أخرى ، وما أن تصل إليها إحدى هذه الهجرات الا ويبلغ بها الجهد والضعف مبلغه فلا يقدر لها طول البقاء وخاصة اذا استطاعت مصر أن تنهض من كبوتها اذ تبادر بأخراج الغاصب عن أراضيها - كذلك لا يخفى أن مصر كانت طوال دور السيادة الساسية تحتل مكانة ممتازة فى العالم القديم ، ووصلت الى ميدان الصوارة ولم تخضع الى دور أخرى الا لفترة محدودة كما حدث أيام الهكسوس وفى اثناء عهد النبانيين والاشوريين

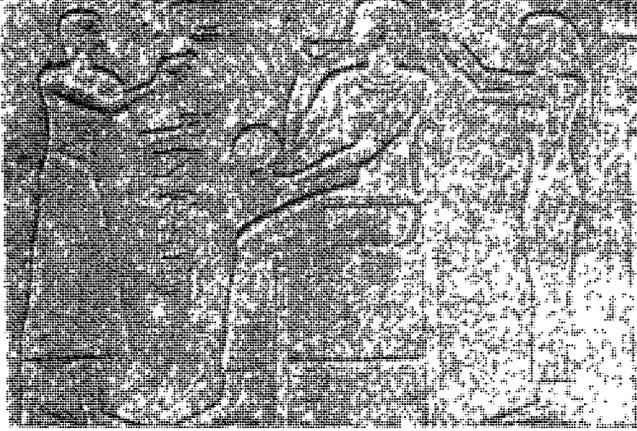
وما أن ظهرت قوة العناصر الهندو أوربية الا واهتز النفوذ المصرى وضعفت
تدريجياً ثم تحول ميزان القوى في صالح الهند أوربيين . فإلبت مصر
أن خضعت لهم بعد انهارها .

ومن جهة أخرى يمكن القول بأن مصر بحكم موقعها وظروف
بيئتها ظلت تتمتع بالسيادة بين سائر أقطار الشرق الأدنى القديم وكان
تأثيرها الحضارى والسياسى والاقتصادى واضعاً في كل تلك الأقطار ،
وظلت كذلك طالما ا قدرت ظروف بيئتها وأحسنه استغلالها
اذ لا شك، في أنها كانت تمثل مفتاح المناطق المدارية في أفريقيا وهى
تلك المناطق التى تمد صمام الأمن فيما يختص بالمحاصيل والمواد الاستهلاكية
المختلفة وكان اتجاهاها في سياستها نحو تلك المناطق خير معين لها على أن
تلعب دور الوسيط في نقل هذه الحاصلات الى سائر أنحاء العالم القديم
فأنشئت الأحوال الاقتصادية في اقليم الشرق الأدنى وزاد ذلك من
نفوذها واحتفظت بسلطانها السياسى في كثير من أنحاءه ، كما أفادت هى
نفسها من الرفاهية التى نتجت عن قيامها بهذا الدور ، وما أن أخذت
تهمل في هذا المضمار حتى أصابها الضعف وفقدت السيطرة على ممتلكاتها
تدريجياً حتى زالت امبراطوريتها وتعرضت هى نفسها للانهيار .

واننا لندرجو أن يكون لنا من هذا الماضى البعيد عبرة وأن يكون
حاضرنا حافلاً بالجهد والكفاح في سبيل تحقيق ما نصبو اليه من أمل ،
والله ولى السداد .



شكل (١) — جنود سرترته نوبون
أُنظر صفحة ٣٨

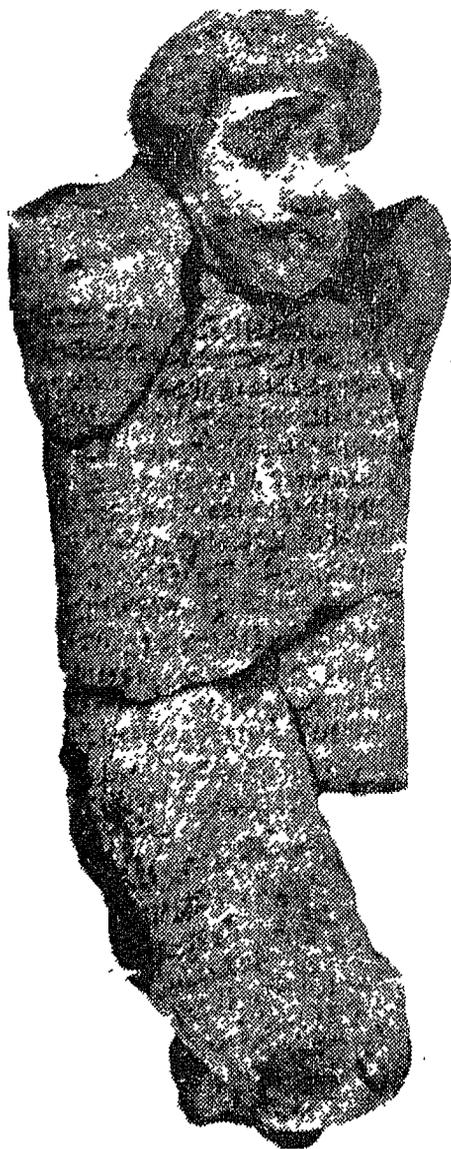


شكل (٢) - أميرة نوابية من الدولة الوسطى تزين شعرها
أنظر صفحة ٤٢



شكل (٣) - قدوم بعض الساميين بزعامة لابساي إلى مصر

أنظر صفحة ٤٤



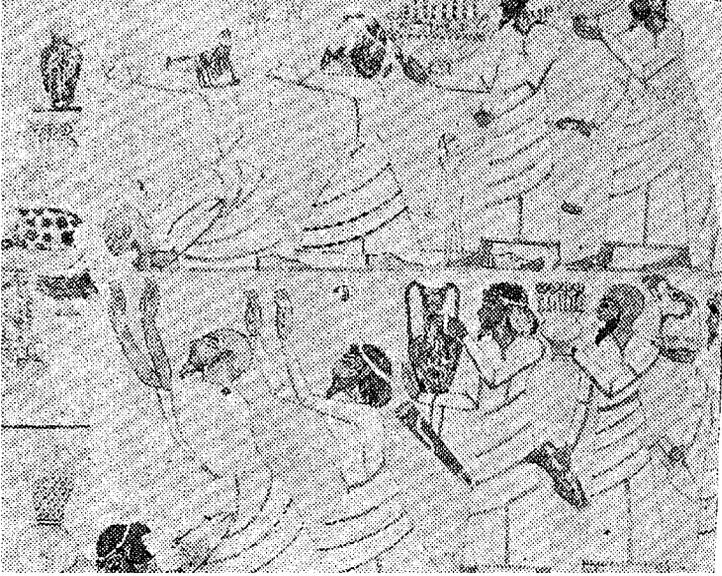
شكل (٤) — دمية بشارية هونت عليها نصوص سحرية معينة

واسم أحد أعداء الملك حطمت بقصد القضاء عليه

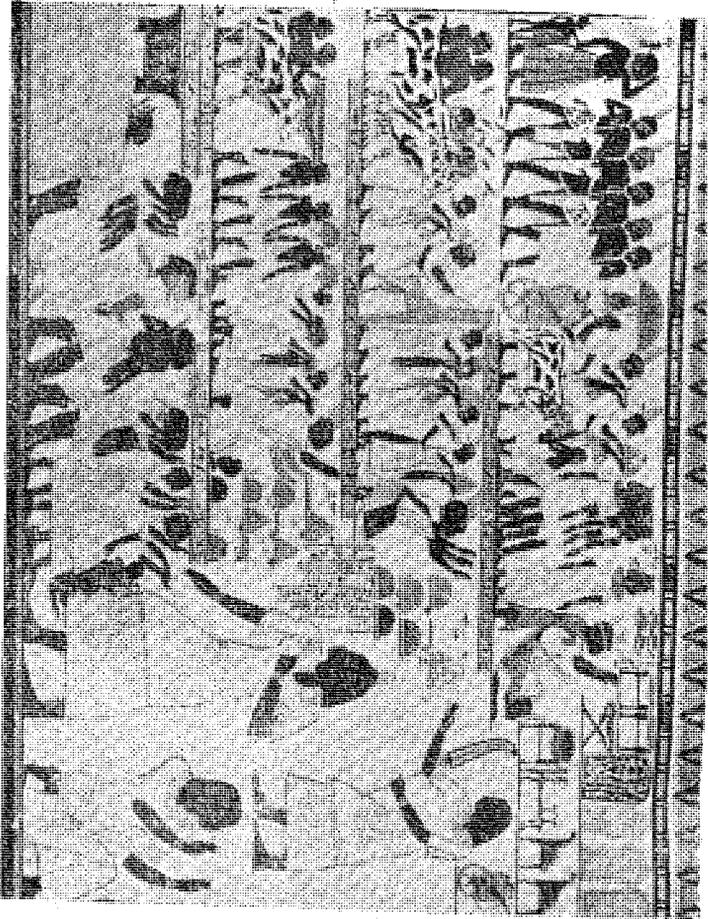
أنظر صفحة ٦٠



٨٣. سكا (٥١) منقذ، عتار، حملة حورية، قام بها محمد بن الرايزر أنظر صفحة ٨٣



شكل (٦) — منظر يمثل جزيرة آسيوية
أنظر صفحة ١٢٣



شکل (۷) — جزئیة نوبیة اناظر صفحہ ۱۳۳



فهرس ابجدى

أسرحدون ١٥٤ ، ١٥٥	آلهة وملوك وملكات ومن في حكمهم
أكزر كسيس ١٦٦	آشور أوباليت ١٣٧
الاسكندر الأكبر ١٧٢	آشور بانيبال ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١
آى ٩١ ، ٩٢	آنون ٨٤ ، ٩١
أمازيس ١٦٣ ، ١٦٥	آلهة (معبودات) ٦٥
امرق ١٦٨	آنون ٨٤ ، ٩١
امنتخب الأول ٧٣ ، ٧٤	ابريس ١٦٢ ، ١٦٣
امنتخب الثاني ٨٢ ، ٨٣	أحمس ٦٩ ، ٧١ - ٧٣
امنتخب الثالث ٨٤ ، ٨٥	أختاتون (أنظر أيضا امنتخب
٨٧ - ٨٩ ، ١١٧ ، ١١٩	الرابع) ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢
١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ -	١١٩
امنتخب الرابع (أنظر	أخووس ١٦٩
أختاتون)	ارتكزر كسيس الأول ١٦٦ ، ١٦٧
امنتخات الأول (أنظر أيضا	ارتكزر كسيس الثاني ١٦٨
لامينى) ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧	ارتكزر كسيس الثالث ١٧١
امنتخات الثاني ٤٣ ، ٤٥ - ٤٧	إرسو (أنظر أيضا باى) ١٠٤ ،
امنتخات الثالث ٤٧ ، ٤٨	١٢٢
٥٨	أرسيس ١٧١
آمون ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٨	أرهمى تشوب ٩٨

بطليموس الحادى عشر ٢٢
 بنسخى ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠
 بنتسينا ٩٨
 بورنا بورياش ١١٩
 بيبى الاول ٢٧، ٢٨
 بيبى الثانى ٢٦، ٢٦
 تانويت امانى ١٥٦
 تاوسرت ١٢٢
 تجلات بلاسر الثالث ١٤٢
 تحتمس الاول ٧٤-٧٦، ٧٩
 تحتمس الثانى ٧٦، ٧٧
 تحتمس الثالث ٧٧-٨٠، ٨١، ٨٢
 ٨٩، ٩٥، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠
 تحتمس الرابع ٨٣-٨٥
 تفنخت ١٤٤-١٤٨، ١٧٢
 تكوات الثانى ١٤٢
 توت حنخ آمون ٩٠-٩٢
 تى ٨٥، ٩١، ١٢١
 تيرس ١٧٠

١٠٧، ١١٧، ١٢١، ١٣٤
 ١٣٨، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٦
 ١٦٢، ١٧٢
 امير تايوس ١٦٧، ١٦٨
 اوسركاف ٥٨
 اوسركون الثالث ١٤٤، ١٤٦
 ١٤٨
 اناروس ١٦٧
 اوفاس ٢٧
 بتاح ٨٧
 بخورس ١٤٨ - ١٥٠
 بسامتيك (الاول) ١٥٥، ١٥٧
 ١٥٨، ١٦٠
 بسامتيك الثانى ١٦١، ١٦٢
 بسامتيك الثالث ١٦٥
 بساموتيس ١٦٩
 البطالة ٢٢، ١٧١
 بطليموس الخامس، ٢٢
 بطليموس العاشر ٢٢

دار الثالث ١٧١ ، ١٧٢ .
 داود ١٤٠
 ددف رع ٢٤
 ددون ٥٧
 دن (أنظر أيضا أوديمو) ٢٠
 رجبام ١٤١
 رع ٨٤ ، ٢٤
 الرعامسة ١١٧ ، ١٥٨ .
 رعحميس الأول ٩٣
 رعحميس الثاني ٩٦ - ١٠١ ،
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣٥ ، ١٦٠
 رعحميس الثالث ١٠٤ - ١٠٦ ،
 ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،
 ١٢٩
 رعحميس السادس ١٢٩
 رعحميس الحادى عشر ١٢٦ ،
 ١٣٥ ، ١٣٦
 سايل ٩٨

جت ٢٠
 جدكارع إسيى (أنظر كذلك
 إسيى زدكارع) ٢٤ ، ٢٦
 جر ٢٠
 حثشبوت ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٧ ،
 ١٢٥ ، ١٢٩
 حور ٢٤
 حور آختى ٨٤
 حور محب ٩١ - ٩٣
 خاوسيل ٩٨
 خباش (أنظر أيضا خبا باش)
 ١٦٦ ، ١٧٢
 خع سنخم ٢١
 خفرع ٢٤ ، ٢٣
 خنوم ٢٢ ، ٥٧
 خوفو ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧
 خيان ٦٧
 خيتى الرابع ٣٩
 دارا (الأول) ١٦٥ ، ١٦٦
 دارا الثاني ١٦٧ ، ١٦٨

سقی الأول ۹۴-۹۶، ۱۲۹

شیتسکو ۱۵۲، ۱۵۳

شیکا ۱۵۰-۱۵۲

شین ویت الأول ۱۴۸

شلنصر الثالث ۱۴۱-۴۳

شلنصر الخامس ۱۴۲، ۱۴۳

شیفتق الأول ۱۲۹، ۱۴۱

طهرة ۱۵۲-۱۵۶

ع ۱۹

حدج ارب ۲۰

عنخ-اس-ان آمون ۹۲

قبیز ۱۶۵

کادشمان خاربی ۱۲۰

کاشتا ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۸، ۱۵۰

کاموزا ۶۹، ۶۶، ۷۲

کورش ۱۶۴، ۱۶۵

ماتیلا ۹۷، ۹۸

مرسنخ ۲۳

مرنبتاح ۱۰۰، ۱۰۲، ۱۰۳

احورح ۲۴-۲۶

سبتاح ۱۰۲، ۱۲۲، ۱۲۷

ست ۶۲

ست نخت ۱۰۴، ۱۰۵

سخم رع خوتاری ۶۱

سرجون الثاني ۱۴۳، ۱۴۸

۱۴۹، ۱۵۱، ۱۵۲

سقن رع ۶۹

سلیمان ۱۴۰

سمندس ۱۳۵، ۱۳۸

سنخرب ۱۵۲، ۱۵۳

سنفرو ۲۳، ۲۴

سنوسرت (الأول) ۴۲

۴۳، ۵۰

سنوسرت الثاني ۴۴-۴۶

۵۸، ۵۹

سنوسرت الثالث ۴۶، ۴۸

۵۷، ۵۸، ۸۲

سویلیوما ۹۲، ۱۲۱

في أوسرع ٢٦	مرزوع الاول (أنظر مرى إن
موشع ١٤٣	رع كذلك) ٢٨ ، ٣١ ، ٣٤
يربعام ١٤٠	متوحب الاول (أنظر أيضا نب
<u>اسرات حكمة</u>	حبت رع) ٤٠
الأسرة الأولى ١٨ ، ٢١	متوحب الثاني ٤٠
الأسرة الثانية ٢٠ ، ٢١	متوحب الثالث ٤١
الأسرة الثالثة ٢٢	منكاوحر ٢٦
الأسرة الرابعة ٢٣ ، ٢٣	مينا ١٩
الأسرة الخامسة ٢٥ ، ٢٧ ، ٥٨	نابوخذ نصر ١٦١
الأسرة الخامسة الآشورية ١٤٢	نارام سن ٣٨
الأسرة السادسة ٢٦ ، ٢٨ ،	نخبث ٧٣
٣١ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨	نخببو الاول ١٦٩ ، ١٧٠
الأسرة السادسة الآشورية ١٤٣	نخببو الثاني ١٧٠ ، ١٧١
الأسرة السابعة ٣٨	نعرمر ١٩
الأسرة الثامنة ٢٨ ، ٣٩	نفر إركارع ٢٦
الأسرة التاسعة ٢٧ ، ٣٩	نفر تليق ٩٢
الأسرة العاشرة ٣٧ ، ٣٩	نفر يئس (الاول) ١٦٨ ، ١٦٩
الأسرة الحادية عشرة ٣٥ ، ٣٩	نفر يئس الثاني ١٦٩
٤٢ ، ٤٤	نكاو ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠

الأسرة الثالثة والعشرون ١٣٥،

١٤٤، ١٤٧، ١٤٧، ١٥٠،

الأسرة الرابعة والعشرون ١٣٥،

الأسرة الخامسة والعشرون ١٤٤،

١٤٧، ١٥٠، ١٥١،

الأسرة السادسة والعشرون ١٣٤،

١٥٨، ١٥٩،

الأسرة السابعة والعشرون ١٦٥،

الأسرة الثامنة والعشرون ١٦٨،

الأسرة التاسعة والعشرون ١٦٨، ١٧٠،

الأسرة الثلاثون ١٣٤، ١٦٩،

الأسرة الحادية والثلاثون

١٦٥، ١٧١،

أسرة ليلية ١٣٩،

الأسرة النباتية ١٤٤،

اشخاص

آر كل ٧٥

ابشاي ٤٤، ٦٣، ٦٤،

أوبنكر (دكتور عبد المنعم) ١٢٣،

الأسرة الثانية عشرة ٤١، ٤٣،

٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٥٩، ٦٠،

الأسرة الثالثة عشرة ٦١، ٦٢،

الأسرة الرابعة عشرة ٦١،

الأسرة الخامسة عشرة ٦٤،

الأسرة السادسة عشرة ٦٤،

الأسرة السابعة عشرة ٦٤،

الأسرة الثامنة عشرة ٤٤، ٤٥،

٧٢، ٨٦، ٩١، ٩٢، ١١٧،

١٢٣،

الأسرة التاسعة عشرة ٩١، ١٠٤،

١١٧، ١٣٦،

الأسرة العشرون ١٠٠، ١٠٤،

١٠٩، ١١٧، ١٣٤، ١٣٦،

١٣٩،

الأسرة الحادية والعشرون ١٣٤،

١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٨،

الأسرة الثانية والعشرون ١٣٥،

١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨،

حقانفر ۱۲۵
 خع ام حات ۱۲۹
 خنوم حقب ۶۳، ۶۴
 دیودور ۱۶۹
 رانکه ۱۲۳
 ریزنر ۵۳
 سابی ۳۱
 سلیم حسن: ۵۸
 سنوحی ۴۲
 سیتی (حاکم النوبه) ۱۰۳
 صدقیا ۱۶۲
 کابریوس ۱۷۰
 کار ۳۴
 کال (محرّم) ۱۲۳
 مانیقو (ایضا مانیثون) ۳۸
 ۱۵۳، ۱۵۰
 نحو ۳۱
 متوام حات ۱۵۵
 متوحاتب (موظف) ۵۹

احس بن ابانا ۷۳
 احس بن یالیقیس ۷۲
 احس بن نخبیت ۷۳، ۷۴
 ارمان (آدولف) ۱۲۳
 اری ۲۹
 آفریکانوس ۱۸
 آرنی ۲۸، ۳۱، ۳۷
 باقر (طه) ۱۲۰
 بانحسی ۱۱۷، ۱۲۶
 بای (آنظر لارسو) ۱۲۲
 بعنخی (بن جریحور) ۱۲۶
 بتاؤر ۹۸
 بیبی نخت ۳۰، ۳۱، ۳۶
 تحنمس (کیبر کهنه) ۸۷
 ثوری ۷۴، ۷۵
 جاردنزا ۱۸، ۴۴، ۴۵، ۴۶، ۱۰۴
 حابی زقای ۵۳
 جرنخوف ۲۶، ۲۹، ۳۱
 جریحور ۱۱۷، ۱۲۶، ۱۳۵

٨٠، ٨٣، ٨٥، ٨٨، ٩١،
 ١١٨، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٨،
 ١٥٢، ١٦٢، ١٦٣،
 آسيويون ٢٥، ٣٧، ٨٦،
 ١٠٤ .
 أميرات آسيويات ٨٨، ٩١،
 ١١٩
 الجالية الآسيوية ١٢١
 ملوك آسيا ١١٩
 دماء، شعوب، عناصر، قبائل
 ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٨، ٨٣،
 ٨٦، ٨٧، ١٠٥، ١١٩،
 ١٢١، ١٢٥، ١٥٤
 نفوذ آسيوى ٣٩
 آسيا الصغرى ١١، ١٢، ١٤،
 ١٥، ٤٤، ٦٣، ٨٠، ١٠٠،
 ١٠٦، ١٢٦، ١٣٧،
 آشور ٨٠، ٨٣، ٩٩، ١١٢،
 ١٣٦ - ١٣٩، ١٤١، ١٤٣،

نفر وهو ٤٢
 نكاو (أمير صالحجر) ١٥٥
 نمرود ١٤٥، ١٤٦
 هيروdot ١٦٧
 وينامون ١٢٨
 يوزيلبيوس ١٨

الاماكن والجماعات البشرية

(أسماء جغرافية)

آرامية (عناصر) ١٣٧، ١٣٨
 آسيا ٢٥، ٢٧، ٩٤، ٩٥،
 ٩٩ - ١٠٢، ١٠٦، ١٠٩،
 ١١٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٤،
 ١٦١، ١٧٠
 أقاليم (وأقطار) إمارات وبلاد
 وجهات ودول وممالك
 وممتلكات (آسيوية) ٣٧، ٨٢،
 ٨٨، ٩١، ١١١، ١١٨، ١٢٣،
 ١٢٧، ١٣٧، ١٤١، ١٦٨،
 غرب آسيا ٥٩، ٧٠، ٧٩،

إسرائيل ١٠٢، ١٠٣، ١٤١ -

١٤٣، ١٥١

أسوان ٤١، ٥٧

أسوس ١٧٢

أسيوط ٢٩

الأشمنين ١٤٥، ١٤٦

الأغريق ١٦٥، ١٦٨

هناصر اغريقية ١٥٨

نفوذ إغريق ٨٧

أكن ٥٧

أكور ٤٣، ٥٦

الأناضول ١٣٧

إليقاتين ٢٣، ٢٤، ٥٩، ٦٩

١١٧، ١٦٧

الاموريون ٩٨، ٩٩، ١٠٥

أورشليم ١٤٣، ١٥٢، ١٦٢

أهناسيا ٣٥، ٣٧، ٣٩

١٤٥، ١٧٢

أواريس ٦٢

١٤٨ - ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠ -

١٦٢

الأشوريون ١٤٢، ١٥١ -

١٥٤، ١٥٦، ١٦٠

عناصر آشورية ١٣٨

أبو حمد ٧٤

أبو شمبل ٩٦، ١٢٨

أبو صير ٢٥

أبو الهول ٢٤

أبيدوس ٣٣، ١٢٩

أتريب ١٠٨، ١٤٦، ١٥٥،

١٥٦

أثينا ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠

أثينيون ١٦٦، ١٧١

أدفو ٣٤

أرضت ١١

أرمينيا ١٤٢

اسبرطه ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠

اسبرطيون ١٦٨، ١٧١

البحر المتوسط. ٧٠، ٧١، ٧٩
١٣٧، ١٣٢، ١٠٦، ٩٩، ٨٢
١٦٣، ١٦٢، ١٥٨، ١٤٢
البيداری ١١، ١٢، ١٥
البدو (وقبائل بدوية) ٣١
٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٨، ٥٩
٩٤، ١٠٧، ١١٠
برر عميس ١٠١
برقه ١٦٧
اليسفور ٤٤
بغداد: ٦٧
بلاد ما بين النهرين (انظر
كذلك العراق) ٩، ١١، ١٤ -
١٦، ١٨، ٤٤، ٨٢، ١٤٢
١٥١
البلقان ٤٤
بلوزيوم ١٦٩
بنى حسن ٤٤
بوسطة: ١٤٥ - ١٤٧

إيدوم ١٤٠
إيران ١١، ١٢، ١٤
أونيون ١٥٨
بابل ٨٠، ٨٣، ١١٩، ١٢٠
١٦٠ - ١٦٢، ١٦٤
الدولة البابلية (الأولى الكلدانية)
٣٧، ١٢٧، ١٣٨
ملكته بابل الجديدة ١٦١
البترا العلوي ٧٣
بيلوس (أنظر كذلك جبيل)
٢٣، ١١٠، ١٣٩، ١٦١
دولة البحر ١٣٦
شعوب البحر ١٠٥، ١٠٦
١٣٧، ١٥٨
بحر آرال ١٦٠
البحر الأحمر ١٢، ٢١، ٤٠
١٦١، ١٦٦
البحر الاسود ٤٤
بحر قزوين ٤٤

جريكو ١١
 جى ١٦
 جنوب أوربا ١٣٧
 جنوب روسيا ١٦٠
 جنس البحر المتوسط. ٨، ٩
 الجنس النى ٨
 (عناصر) حامية ٥٢
 حسوة ١٢
 الحيثيون (أنظر كذلك الدولة،
 المملكة والنصوص، الحيثية)
 ٤٤، ٦٣، ٨٢، ٨٩، ٩٠، ٩٤
 ٩٢، ٩٣، ٩٥ - ٩٨، ١٠٠
 ١٠٦، ١١٢، ١٢١، ١٣٦
 ١٣٧
 النفوذ الحيثي ١٣٨
 الحوريون ٤٤، ٦٣
 الخليج العربي ١٢
 الخليج الفارسي ١٤٢
 خنت حن قمر ١٤٥

بوغاز كوى ١٠٠
 بونت ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٤٠
 ٤١، ٤٤، ٧٧
 بوهن ٤٣، ٩٣
 بيت المقدس ١٦١
 تاسى ١١٠
 تانيس ١٥٣
 تل الغسول ١١
 توشكى ٢٤، ٤٩
 توماس ٢٥، ٢٦
 تونيب (أو تونب) ٨٠، ٩٩
 جبانة الجزيرة ٣٦
 جبل البرقل ٧١، ٧٦
 جبل الشيخ سليمان ٢٠
 جزر (مدينة) ١٤٠
 جزر البحر المتوسط. ٥٩
 جزر بحر إيجه ١٠٠، ١٣٧
 جزيرة سيل ٢٢
 جزيرة ١٥

الساميون ٤٤
الامبراطورية السامية الاولى
٣٧-٣٨
جماعة (وعناصر سامية) ٩ ،
٤٥ ، ٦٣
هجرة (وهجرات) - سامية ٨ ،
١٨
سايس ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٦٧
ساي ٧٢
سجا ٦١
سد نجا ٨٨
سردينيا ١٣٧
السردينيون ١٠٥
سماريا ١٥١
سنود ١٦٩
سمنه ٤٦-٤٨ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨
سوريا ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ،
٤٣ ، ٤٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٩ ،

خوردجان ١٥
خيتا (أنظر المملكة الحيثية)
دايور (حصن) ٩٩
دجاله ١٢
الدر ١٢٩
الردانيون ١٣٧
دشاشة ٢٥
الدكة ٢٢
الدلتا (أنظر أيضا الوجه البحرى)
١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ،
١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
١٥٤ ، ١٦٠
دمشق ١٣٧
دهشور (مرسوم) ٢٧
الراديسية ٩٦
الرامسيوم ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٠
ربلة ١٦٢
زنجى (عنصر ودماء زنجية)
٣٥ ، ٤٣

شبه جزيرة العرب ٢٨
 شمم (مجموعة) ب ٢٤
 الشكش ١٣٧
 الشلال الأول (أو الشلال أو
 منطقة الشلال) ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤
 ٤٦ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٩
 ١٦٣
 الشلال الثاني ٤٦ ، ١٢٨
 الشلال الثالث ٧٥ ، ١٦٢
 الشلال الرابع ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٤
 ١٤٤ ، ١٥١
 الشلال الخامس ٧٤ - ٧٥ ، ١٦٢
 الشلال السادس ١٦٢
 شمال أفريقيا (ساحل أفريقيا
 الشمالي) ٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢
 صالحجر ١٥٥
 الصحراء الشرقية ١٢ ، ٢٠ ، ٢٩
 الصحراوين الشرقية والغربية
 ٢٢ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠

٨٠ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٦ -
 ٩٨ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٠
 امارات (وبلاد ومدن وموانئ
 وولايات) - سورية ٦٣ ، ٧٨ ،
 ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ١٦٣
 سوسة ١٦٧
 السومريون ١٨
 نجر الأمرات السومري ١٨
 سيالك ١١ ، ١٢
 سياله ١٦
 السيثيون ١٦٠
 سيناء ١٢ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٦ ،
 ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٩٤
 سيوه ١٧٢
 الشردان ١٣٧
 شاروهين ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢

١٦٧ - ١٧٢
 الفرات ٤٤ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٧٩
 ١٢٧
 فرس (بلدة نوبية) ١٢٨
 الفرما ١٦٥
 الفريجيون ١٣٧
 فلسطين ١١ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٨
 ٦٦ - ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ،
 ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٨ ،
 ٩٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٣٨ ،
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ،
 ١٦٠ ، ١٦٢
 الإمارات الفلسطينية ٧٩
 الفلسطينيون ١٣٧
 فينيقيا ٢٥ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٩ ،
 ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧١
 لندن الفييقية ١٤٢
 الفيوم ١٥ ، ٤٤
 قادش ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ٩٨

الصحراء الليبية ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢١
 صقلية ١٣٧
 صلب ٨٨
 صور ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 صيدا ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ،
 طوروس ١١
 طيبة ٣٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٣ ،
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ١٠١ ،
 ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
 ملكة عبرانية ١٤٠
 العراق ١٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 المطبرة ٤٦ ، ٨٤
 المبارنة (عهد) ١٣١
 عمارة غرب ١١٧ ،
 عنبية ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 عين شميس ١٤٦
 فارس ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
 الفرس ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٥

كورجوس ٧٤، ٧٥
 كوش ٤٣، ١١٧، ١٢٤، ١٢٧
 ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢
 لبنان ٢٣، ٩٨، ١١٠، ١٣٨
 ليبيا ٢٣، ٢٧، ٤٢، ٤٨
 ٧٤، ٩٤، ٩٥، ١٦٥، ١٦٩
 لبي (وليبون) ٢٠، ٢٤-
 ٢٦، ٥٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨
 عناصر ليبية ١٣٥، ١٥٨
 ثورة ليبية ١٦٦
 النفوذ الليبي ١٤١
 ليديا ١٥٨، ١٦٤
 ماراثون ١٦٦
 المازوى (أنظر أيضا الجا)
 ٢٧، ٢٨
 المحاسنة ١١، ١٥
 مروى (الحديثة) ٧٤
 مروى (القديمة) ٧٤، ٧٥
 مريوط ١٦٧

قافو الكبير ١٥
 قبرص ٨٢، ٩٥، ١٤٣، ١٦٢
 ١٦٩
 قرطاجنة ١٦٣
 قصر الصياد (بلدة) ٣٤
 القرنة (قسم من طيبة الغربية) ١٢٨
 قه ٤٨، ٥٣، ٥٧
 القوصية ٦٥، ٦٨، ٦٩
 القوقاز ٤٤
 الكاب ٥٨، ٧٣
 كاراي ٧٤
 كاريون ١٥٨
 الكاشيون ٤٥، ٦٣، ١٣٦
 كرما ٤٧، ٥٣
 الكرنك ٩٤، ١٤١
 كريت ٥٩، ٦٧، ٧١، ٨٢
 كفر الزيات ١٠٢
 الكنعانيون ١٤٠
 كويان ٤٣، ٤٩، ٥٦

١٩ ، ٢٠ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩
 ٣٠ - ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٣ - ٤٦
 ٤٨ - ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١
 ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ -
 ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ - ٨٥ ، ٨٨
 ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣
 ١٠٧ ، ١٠٩ - ١١١ ، ١١٧
 ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢
 ١٣٤ - ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٤
 ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٦
 ١٦٢ ، ١٦٥
 النوبيون (أهل النوبة وعناصر
 وقبائل نوبية) ٢٠ ، ٢١ ، ٢٨
 ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٦
 ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦
 ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١١
 ١١٨ ، ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٥٨
 حاكم النوبة ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦
 فتوحات نوبية ١٢٣

مسد ١٤٦
 مصبات النيل (القديمة) ١٦٩
 مصر العليا ١١٠
 مقدونيا ١٧٢
 منف ١٩ ، ٨٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥
 ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٢
 منديس ١٦٨ ، ١٧٠
 الفرع المنديسي ١٦٩
 ميتاني ٤٤ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٠
 ٨٣ ، ٨٨ ، ١١٢
 الميتانيون ٦٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧
 ميديا ١٦٠ ، ١٦١
 نبالا ٧٤ ، ٨٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ -
 ١٥٢ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٥٩
 نخن ٧٢ ، ١١٧
 نخسى (بمعنى نوبى) ٦١
 نقاده ١٥ ، ١٦
 نهاريتا ١٢٩
 النوبة ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ،

واوات ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٩ -
١٣١
يام ٢٩
اليهود ١٦٧
يردا ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٦٢
يوحى ٧٧
اليونان (أنظر أيضاً الأوغريتي)
١٠٠ ، ١٣٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠
يونانيون ١٥٨ - ١٦٠ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٦٥ - ١٦٧
العالم اليوناني ١٦٠
علم
أخبار الأيام الديموطيقية
(بردية) ١٧٢
أبنوس ٢٦ ، ٣٣ ، ١٣٠ -
١٣٢
أثا١ ١٣١
أجانب ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٦١ ،
(فرق أجنبية) ١٢٥

ثينوى ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ،
مدينة هابو ١٠٦
الحكسوس ٦٢ - ٦٦ ، ٦٨ -
١١١ ، ٧٤
(عناصر وشعوب) هندو
أوربية ٨ ، ٩ ، ٤٤ ، ٦٣ ،
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ،
١٣٧
هيراكليوبوليس ١٥ ، ٣٧
الواحات ١٥١
الواحات الداخلة ١٣٩
وادي الطميلات ١٦٦
وادي العلاقي ٤٩
وادي اليهودي ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩
وادي حلقا ٢٠ ، ٤٣ ، ٦٩
وادي حمامات ٢٦ ، ٣٢ ،
٤٠ ، ٤١
وادي مغارة ٢٦

بساتين (وبستانيون) ١٢٩
بعوث (ورحلات) تجارية ٥٣
تحف ١٣١
تهدين ٥٠
تسائم ٣٥، ٣٤
تمثال الوالى ١٧٢
جزية ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢
١٤٨، ١٣٣، ١٣٠، ١٢٩
جوارين ٥٥
جلود ١٣١، ٢٣
حبوب ١٣١، ١٠٨، ٢٤
حجر بلرمو ٢٣، ٢٠
حدائق ١٠٧
حراس (وحراسة) ١٢٩، ١٢٥
حصون ٤٢، ٤٦، ٥٠ -
٥٩، ٥٨، ٥٣
حقا خاسوت (لقب) ٦٤
خز ٥٤، ٣٥، ٣٤
دراخه ١٢٠

أحجار شبه كريمة ١٢٢، ١٢٢
أحجار كريمة ١٣٢
أختام ٥٥
أرز (خشب - أنظر كذلك
أخشاب ثمينة) ٢٣، ٤٨ -
١٢٢، ١١٠، ٧٨، ٥٥، ٥٠
١٣٨، ١٣٢
أسرى ١١٩، ١١٨، ٨٦
١٢٤، ١٢٣
أسلحة ٣٤
اسماخ ١٥٩
إشراق آتون ٨٧، ٨٥
أحيداف ١٣١، ١٢
أما تيست ٤٩، ٤١
باريوم ٤٩
بازلت ١٢
بنجور ١٣٢، ٣٧، ٣٤، ٢٥
برديات ٥٢
برونز ٥٦

زيوت ٣٤	١٢٠ مرم
سخرة ١٢٩	الدولة القديمة ١٨ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٠
سدود ٥٠	٥٥ ، ٧٠ ، ١٢٥ ، ١٥٩
شرطه ١٢٥	الدولة الوسطى ٤٦ ، ٤٩ -
صانكو اسماك ١٢٩	٥٢ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٠
صناعة ١٢٤	١١٣
صناعات ١٢٤	الدولة الحديثة ٧٠ ، ٧٢ -
صناع وفنانين آسيويين ١٢٠	٧٤ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١١١
صيد ١٢٥	١١٢ ، ١٢٨
ضرائب ١٢٩ ، ٥٢	ديوريت ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٩
حاج ١١٠ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٣٣	ذهب ٢٥ ، ٤٨ - ٥٥ ، ٥٠
١٣٢ - ١٣٠ ، ١١٢	٨٨ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨
صيد ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١١٨	١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤
١٣١	١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١
عجلات حربية ١٢٢	رقيق (وأرقام) ١٠٧ ، ١١٩
عسل نحل ٣٤	١٢٢ - ١٢٤
عصر الحجري القديم الأ. نخل ٩	١٢٩ رسل
عصر الحجري القديم الأ ل ١٠	زراعة ١٢٤ ، ١٢٩
عصر الحجري الحديث ١٢٠٠ ، ١٠	زراف ١٢٢

كتاب اليونان ١٧٢	عصى الرماة ٣٤
كروم ٣٤	عطور ٣٤
كهنة ٧٦، ٨٦-٨٨، ١٣٤،	غزل ١٢٤
١٣٥، ١٤٤، ١٦٣، ١٧٠،	غزلان ١٣٢
١٧٢	نظار (مصرى زنوبي) ٥٤
كوارتز ٥٤	قضة ١٢٢
كلاب صيد ١٣٢	فن (وفنان) مصرى ١٢١
لغة مسارية ٩٩	فن نوبى ١٢٤
لغة هند وأوربية ١٦٠	فهود ٢٣، ١٣٢
لوح كار ناز فون ٦٦	فيانس (قاشانى مصرى) ٣٤، ٥٤
لوحة الرؤيا ١٥٦	الفيضان (ارتفاعه) ٥٣، ١٧٠
ماشية ٤٩، ٥٠، ١٠٧، ١٣١	قردة ١٣٢
١٣٢	قزم (وأقوام) ٢٦، ٢٩،
ماقبل الاسرات ١١٠	٣٤
مجموعة ٣٥، ٤٦، ٥٩	قلاع (أنظر كذلك حصون)
المتحف البريطانى ٩٨	٤٣، ٤٦
متحف تورين ٩٦	قصح ١٢٩
متحف اللوفر ٩٨	كتاب ١٢٩
عاجر ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٨،	الكتاب المقدس ١٤٠، ١٥٢

منافس ١٢٠	٥٩، ٤٩
مناجم ٤٤، ١٠	المر (أشجار) ٧٧
منتجات نوبية ١٣١	مرترقة (جند) ٣٨، ٩٧-
المسوجات ٣٤	١٠١، ١٠٨، ١١١، ١٢١
مواد خام ١١٠، ١٣١	١٢٥، ١٢٧، ١٣٥، ١٥٨
ميكا ٥٥	١٥٩، ١٧٠، ١٧١
النجارة ٥٥، ١٣٢	مرسوم نوى ١٢٩
النحاس ١٢، ٢١، ٣٢، ٤٩	مراكز ثقافية ٥٤
١١٠	مركز تجارى ٥٣
الآلات النحاسية ٣٤	المعابد الدينية ١١٨، ١٣٠
نحالة ١٢٩	المعامدة المصرية الحيثية ١٠٠، ٩٩
نسيج ١٢٤	الملاح الفريق ٥٣
نعام ١٣٢	الملاخيت ٤٩
	الميليزيون (الجنود) ١٦١

المختار من المراجع العامه

١ - باللغة العربية :-

- ١ - أحمد بدوى « فى موكب الشمس » جزءان القاهاة ١٩٤٦ ، ١٩٥٠
- ٢ - أحمد فخرى « مصر الفرعونية » القاهاة (طبعة ثانية) ١٩٦٠
- ٣ - إرمان - رانكه « مصر والحياة المصرية » ترجمة أبو بكر ومحرم كمال
- ٤ - برستد « تاريخ مصر السياسى من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى »
ترجمة حسن كمال - القاهاة ١٩٢٩
- ٥ - ديلاپورت « بلاد ما بين النهرين » ترجمة أبو بكر ومحرم كمال
- ٦ - سليم حسن « مصر القديمة » الاجزاء الاثنى عشر الأولى
- ٧ - طه باقر « مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة » القسم الأول تاريخ
العراق القديم - بغداد ١٩٥١
- ٨ - فيليب حتى « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » ترجمة جورج حداد
وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨
- ٩ - نجيب مينخائيل « مصر والشرق الاذن القديم » ٤ أجزاء

ب - باللغة الأوروبية :-

- 1 - Arkell, A.J., A History of the Sudan from the Earliest Times to A.D. 1821, London, 1955.
- 2 - Asfour, M.A.M. The Relations between Egypt and her Southern Neighbours in Pharaonic Times (MSS. Ph. D.Thesis, Liverpool,1956).
- 3 - Baumgartel, E.J. The Cultures of Prehistoric Egypt, 2 Vols. :- I (2nd. ed. London 1955) II (London 1960).
- 4 - Bilabel, F. & Grohman, A., Geschichte Vorderasiens und Aegyptens vom 16 Jahrhundert v. Chr. bis auf die 11 Jahrhundert v. Chr., Heidelberg, 1927.
- 5 - Breasted, J. H., Ancient Records (Hist. Documents from the Earliest Times to the Persian Conquest (I-IV, Chicago, 1906; V,Index, 1907)
- 6 - » , A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest (2nd ed), London 1925.

أشرفنا الى ترجمته رقم ٤ من المراجع العربية

- 7 - Budge, E.A.W., The Egyptian Sudan. It's History and Monuments, 2 vols. London, 1907.

- 8 - Budge, E.A.W., A History of Ethiopia (Nubia and Abyssinia, 2 Vols.), London. 1928.
- 9 - Budge, E.A.W., A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII B. C. 30, (Books on Egypt and Chaldea. Vols. 13.), London, 1902.
- 10 - Cambridge Ancient History. (2nd ed. 11. Vols. & 4 Vols. pls.), Cambridge 1923-36
- 11 - Capart & Contenau, Histoire de l'Orient ancien Paris, 1936.
- 12 - Cavainac, E, Le Monde méditerranéen jusqu'au IVe siècle av. J.C. (t. II de l'Histoire du Monde), Paris, 1929.
- 13 - Cavainac, E, Les Hittites, Paris, 1950
- 14 - Contenau, G., La Civilisation des Hittites et des Hurrites du Mitanni, Paris, 1948.
- 15 - Delaporte, L., Les Hittites, Paris, 1936.
- 16 - ' ; Les peuples de l'Orient Méditerranéen t.I "Le proche-Orient Asiatique" (clio 1938)

أشرفنا إلى ترجمته رقم هـ من المراجع العربية

- 17 - Drioton, E. & Vandier, J., Les Peuples de

l'Orient Méditerranéen. t.II "L'Égypte" 3e. ed.

- 18 - Gardiner, A.H., Egypt of the pharaohs, London 1961
- 19 - Gotze, A , Hethiter, Churriter und Assyrer, Oslo, 1936.
- 20 - Gurney, O.R. , The Hittites, London 1952.
- 21 - Hall, H. , The Ancient History of the Near East. loth. ed., London 1947.
- 22 - Hayes, W., The Sceptre of Egypt. I, New York, 1953.
- 23 - Huzayyin, S.A , The Place of Egypt in Prehistory, Cairo 1941.
- 24 - Kantor, H. J., Further Evidence for Early Mesopotamian Relations with Egypt. (JNES. XI 1952)
- 25 - Kees, H., Das Alte Agypten (Eine Kleine Landeskunde), Berlin 1955.
- 26 - Kees, H., Beitrage zur altagyptischen Provinzialverwaltung und der Geschichte des Feudalismus (Ges. Wiss. Gottingen Nachr., phil. - hist. Kl. 1938, 85 ff).
27. - Kienitz, F.R., Die Politische Geschichte Agyptens vom 7 bis Zum 4 Jahr hundert vor der Zeitwende, Berlin, 1953.
- 28 - Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia (2 vols.), chicago, 1926--7.

- 29 - Mercer, S. A. B., *The Tell el Amarna Tablets*,
2 vols. Toronto 1939.
- 30 - Meulenaere, H. de, *Herodotus over de 26ste
Dynastie (II, 147 — III, 15)*, Leuven, 1951.
- 31 - Petrie, W. M. F., *A History of Egypt (3 vols.)*
London, 1923.
- 32 - Pritchard, J. B., *Ancient Near Eastern Texts
Relating to the Old Testament*, Princeton, 1950.
- 33 - Soderbergh, T. *Save, Agypten und Nubien*,
Lund, 1941.
- 34 - Scharff, A. and Moortgat, *Agypten und Vor-
derasien in Altertum*, Munich, 1950.
- 35 - Sethe, K., *Beitrage zur altesten Geschichte
Agyptens (Unter Suchungen zur Gesch. und
Altertumskunde Aegyptens, hgb. von K.
Sethe, 3)*, Leipzig, 1905.
- 36 - Steindorff, G. *Aniba, 2 vols. (Service des Anti-
quités de l'Égypte. Mission Archeologique de
Nubie 1929 - 1934, Gluckstadt, Hamburg and
NewYork, 1935, 1937)*.
- 37 - Winlock, H.E., *The Rise and Fall of the Middle
Kingdom in Thebes*, NewYork 1947.
- 38 - Zeissl, H., *Athlopen und Assyrer in Agypten,
Beitrage Zur Geschichte der agyptischen Spa-
tzeit (Agyptologische Forschungen, Heft 14)*,
Gluckstadt und Hamburg, 1944.

تصويب

السطر	الصفحة		
١ — ت	١٤	Iran	Isan

حدثت أخطاء مطبعية لانخني على النارى وأرجوه أن يتكرم
بمراجعة مايلي :

AJSL American Journal of
Archaeology etc

تصحح إلى

AJSL American Journal of Semitic
Languages and Literature,
Chicago & New York. 1895-1941
(continued by JNES)

انتظر بعده

		في طريق الزوال	في طريقة الزوال
٩	١٣٤	في طريق الزوال	في طريقة الزوال
٩	١٣٦	تذير	تضير
٥	١٤١	يهودا (١)	يهودا
١ — ت	١٤٩	العبرانيين	العبرانيين
٦	١٥١	نينوى	نينونى
٨	١٥٢	إلا أنه	والذى
١٥	١٥٤	الأشوريون	الأشوريين

١٥	١٥٥	يحملنا لمتقد	يحملنا
٥	١٥٦	أن	على أن
١٦	١٦٠	مستعدة	مستعد
١٢	١٦٥	عليها	على نوبة
١٢	١٦٩	نختنبو	نختنبو، نختنبوا
١٤	١٧٢	بلاده	بلاذ
١٩	١٧٢	بعض الحقائق لمجزم	بعض لمجزم
١١	١٧٤	جاءات	جاءا
١	١٧٥	هؤلاء	لاهؤلاء
٦	١٧٥	بالدورين	« الدورين »